التفاؤل

بوابة النجاح الكبرى

إعداد : علي بن محمد عبده المطري آل المقحفي
عَفَا اللهُ عَنْهُ وَغَفَرَ لهُ وأسْكَنَهُ فَسيحَ جَنَّاتِه

الطبعة الثانية

المقدمة

إن الْحَمْدُ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلِ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أن محمدًا عبده ورسوله. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾[١].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾[٢].

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾[٣].

"إِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كَلَامُ اللَّهِ وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَة، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ، وَكُلُّ ضَلالةٍ فِي النَّارِ.

أَمَّا بَعدُ:

فَإِنَّ قضيةَ البحثِ في الأسباب الرئيسة لحل المشكلات، أو عمل أي مشروعٍ من القضايا المهمة في التطوير، والتغيير، والرقي بالأمة. والقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، وما فيهما من توجيهات كريمة لا تخلو البتة من الإشارة بشكل مباشر، أو غير مباشر إلى كل ما يعين الإنسان، أو المجتمع، أو الأمة على التقدم والرقي.

---

(١) سورة آل عمران ، الآية، (١٠٢).

(٢) سورة النساء ، الآية، (١)

(٣) سورة الأحزاب ، الآيات، (٧٠-٧١).

ولذلك فإنَّ بعضَ المفسرين، والكتَّاب، والمفكرين يركزون على قصة العبد الصالح (ذي القرنين) التي حكاها القرآن الكريم، وكيف أنه قام بالبحث الدقيق في معرفة الأسباب الحقيقية لتحقيق أهدافه، فقد استطاع - بتوفيق الله تعالى - أن يفتح مشارق الأرض، ومغاربها، وأن يحقق انتصارات عسكرية عظيمة، ولذلك فهي درس عظيم للبحث الدقيق في معرفة الأسباب، وفي الأخذ بالأسباب للوصول إلى الأهداف المنشودة، وتحقيق النتائج الايجابية المشرفة.

وقصة ذي القرنين كما هو معروف جاءت في سورة الكهف التي وردت توجيهات نبوية شريفة كثيرة بقراءتها في يوم الجمعة، أو ليلتها، ولعل من أسرار تكرار قراءتها بشكل أسبوعي التأكيد على أهمية البحث الدقيق في أسباب المشكلات والقضايا التي دائماً ما تعترض طريق الإنسان، وتعيق التقدم والرقي، والمنافسة مع الأمم المتقدمة، والوصول إلى الحلول المناسبة لذلك.

وهذه القصة العظيمة ذات العبر، والمضامين الجليلة تشير إلى قضية جوهرية، ومهمة للغاية، وهي أن التمكين في الأرض، والاستخلاف فيها لا يتأتى بالعبادة بمفهومها الضيق الذي ربما يتبادر إلى ذهن بعضنا في قول الله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾[٤].

---

(٤) سورة النور، الآية ٥٥ .

إن التمكين في الأرض يأتي بالبحث الجاد عن الأسباب، والأخذ بها حسب التوجيه القرآني لذي القرنين، في قوله تعالى: ﴿ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا * فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴾[٥].

وهذا يوضِّحُ شمولَ العمل الصالح، بل ومن لوازمه، وأساسه الأخذ بكل الأسباب الكفيلة بالإصلاح، والتطور، والرقي بالأمة شريطة أن تكون وفق أوامر الله تعالى، واجتناب نواهيه.

على ذكر قصة ذي القرنين، بأن التمكين في الأرض كان الصفة البارزة في قصة الرجل الذي أراد الله تعالى أن يسوق لنا خبره، وأن يحكى لنا تاريخه، وهنا نرى أن التمكين في الأرض يبدأ نعمة من الله تعالى على من أراد من خلقه، فهو يمهد له ويعينه، ولكن على من يحظى بهذه النعمة أن يبذل قواه، وأن يأخذ بالأسباب، فإنه إن انكمشت يده وانقبضت، ولم يؤت السبب المطلوب منه ضاعت النعمة، ولم تبق له.

ثم قال - يرحمه الله - إن ذا القرنين جاء إلى قوم يشبهون حال الأمة الإسلامية اليوم من التواكل، فلما جاءهم قالوا له شاكين باكين: ﴿ قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا ﴾ أي: جائزة ومكافأة ﴿ عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴾، لم لا يحسنون بناء سد لهم؟ لأنهم عجزة!! فكان الرجل ذكياً تقياً قال: أنا مستغن عن جوائزكم، ومكافأتكم، وخَرْجكم: ﴿ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا * آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ ﴾[٦]، أي: قام وعمل واجتهد وأخذ بالأسباب، وحقق أعمال، ومشاريع ضخمة للغاية.

---

(٥) سورة الكهف، الآية ٨٤.

(٦) سورة الكهف، الآية ٩٥.

وبالنظر والتأمل في سيرة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يلحظ قيامه صلى الله عليه وآله وسلم في جميع تصرفاته، وحركاته، وفتوحاته بالاعتماد بعد الله تعالى على جميع الأسباب المتاحة، حيث لم يتواكل ويهمل أي سبب متاح يساعده في الوصول إلى أهدافه، ففي هجرته صلى الله عليه وسلم خرج واعتمد على كل وسائل الإخفاء عن قريش، حتى تحقق له بتوفيق الله تعالى الوصول إلى هدفه.

وكذلك أخذ الرسول صلى الله عليه وسلم في غزوة بدر بالأسباب المعينة لتحقيق أهدافه، وفي غزوة أحد لبس درعين، وفي غزوة الأحزاب حفر الخندق، وقد كانت سيرته العطرة تجسيدًا لهذا التوازن الرائع بين الإيمان بالله تعالى، والتوكل عليه، وبين الأخذ بالأسباب المشروعة المتاحة.

جرياً على خطى أهل العلم.

الإخلاص وصلاح النية :

قَالَ المولى تبارك تَعَالَى: ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ ﴾[٧]، وَقَالَ تعالى: ﴿ فَاعْبُدِ اللهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ * أَلَا للهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ﴾[٨]، وَقَالَ تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾[٩].

وجاء في الصحيحين عَنْ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ ـ رضي الله عنه ـ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا

---

(٧) سورة البينة ، الآية ٥ .

(٨) سورة الزمر ، الآية ٢ـ٣ .

(٩) سورة الأنعام ، الآية ١٦٢ـ ١٦٣ .

نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا، أَوْ إِلَى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا، فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ»[١٠].

وَلَهُمَا مِنْ حَدِيثِ جُنْدُبِ بْنِ عَبْدِ اللهِ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «مَنْ سَمَّعَ سَمَّعَ اللهُ بِهِ، وَمَنْ يُرَائِي يُرَائِي اللهُ بِهِ»[١١].

وَلِمُسْلِمٍ مِنْ حَدِيْثِ أَبِي هُرَيْرَة اقَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي، تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ»[١٢].

وَلِلتِرْمِذِي عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ اعَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم ، قَالَ: «ثَلَاثٌ لَا يُغِلُّ عَلَيْهِنَّ قَلْبُ مُسْلِمٍ: إِخْلَاصُ العَمَلِ للهِ، وَمُنَاصَحَةُ أَئِمَّةِ المُسْلِمِينَ، وَلُزُومُ جَمَاعَتِهِمْ، فَإِنَّ الدَّعْوَةَ تُحِيطُ مِنْ وَرَائِهِمْ»[١٣]. وَهُوَ صَحِيْحٌ لِغَيْرِهِ.

منزلة حديث إنما الأعمال بالنيات :

◙ قال النووي - رحمه الله -: أجمع المسلمون على عِظَم موقع هذا الحديث، وكثرة فوائده، وصحته.

◙ قال العراقي - رحمه الله -: هذا الحديث قاعدة من قواعد الإسلام حتى قيل: إنه: ثُلُث العلم، وقيل: رُبُعه، وقيل: خُمُسه، وقال الشافعيُّ وأحمدُ: إنه ثلث الإسلام.

---

(١٠) رواه البخاري، رقم: (١)، ومسلم، رقم: (١٥٥).

(١١) رواه البخاري، رقم: (٦٤٩٩)، ومسلم، رقم: (٤٧).

(١٢) رواه مسلم، رقم: (٢٩٨٥).

(١٣) رواه الترمذي، رقم: (٢٦٥٨).

◙ استحب العلماء أن تستفتح المصنفات بهذا الحديث، وممن ابتدأ به أول كتابه الإمام أبو عبدالله البخاري، وقال عبدالرحمن بن مهدي: ينبغي لكل من صنف كتابًا أن يبتدئ فيه بهذا الحديث؛ تنبيهًا للطالب على تصحيح النية.

◙ وعن الإمام أحمد - رحمه الله - قال: أصول الإسلام على ثلاثة أحاديث: حديث عمر: « إنما الأعمال بالنيات »، وحديث عائشة: « مَن أحدَث في أمرنا هذا ما ليس منه، فهو رَدٌّ »، وحديث النعمان بن بشير: « الحلال بيِّن، والحرام بيِّـن ».

◙ وقيل: ليس في أخبار النبي صلى الله عليه وسلم شيء أجمع وأغنى وأكثر فائدة من هذا الحديث.

غريب الحديث:

◙ « إنما» تفيد الحصر، وهو إثبات حكم الأعمال بالنيات.

◙ النية لغةً: القصد.

شرعًا: هي اعتقاد القلب فعل شيء، وعزمه عليه من غير تردد[.

شرح الحديث:

« إنما الأعمال بالنيات »؛ أي: إنما صحةُ الأعمال بالنيات، أو لا صحة لعمل إلا بنية، قال الخطابي: معناه أن صحة الأعمال ووجوب أحكامها إنما يكون بالنية؛ فإن النية هي المصرفة لها إلى جهاتها، وقال الحافظ العراقي: المراد بالأعمال هنا أعمال الجوارح كلها حتى تدخل في ذلك الأقوال؛ فإنها عمل اللسان، وهو من الجوارح.

قال ابن هبيرة - رحمه الله -: لا يقبل الله عملًا إلا بنية، حتى إن المسلم يضاعف له الثواب على أكله وشربه، وقيامه وقعوده ونومه ويقظته، على حسَب نيته في ذلك، وربما يجمع الشيء الواحد عدة وجوه من العبادات بالنية.

وقال ابن القيم - رحمه الله -: تداخل العبادات في العبادة الواحدة هو باب عزيزٌ شريف، لا يعرفه إلا صادق، حاذق الطلب، متضلع من العلم، عالي الهمة، بحيث يدخل في عبادة يظفر فيها بعبادات شتى، وذلك فضلُ الله يؤتيه من يشاء.

وقال ابن رجب - رحمه الله -: وأما النية بالمعنى الذي ذكره الفقهاء، وهو تمييز العبادات عن العادات، وتمييز العبادات بعضها عن بعض، فإن الإمساك عن الأكل والشرب يقع تارة حمية، وتارة لعدم القدرة، وتارة تركًا للشهوات لله عز وجل، فيحتاج في الصيام إلى النية.

وكذلك العبادات: كالصلاة والصيام، منها نفل، ومنها فرض.

وكذلك الصدقة: تكون نفلًا، وتكون فرضًا

« وإنما لكل امرئ»؛ أي: إنسان « ما نوى »؛ أي: جزاء ما نواه في عمله، من خير أو شر.

« فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأةٍ ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه» الهجرة: الترك، والهجرةُ إلى الشيء: الانتقال إليه عن غيره، وفي الشرع: تركُ ما نهى الله عنه

قال النووي: معناه: من قصد بهجرته وجه الله، وقع أجره على الله، ومن قصد دنيًا أو امرأة فهي حظه، ولا نصيب له في الآخرة بسبب هذه الهجرة.

\

سبب ورود الحديث:

قيل: إن الحديث سِيق بسبب رجل أراد التزوج من امرأة يقال لها: أم قيس، فهاجر من أجل ذلك، واستدل بالآتي:

روي عن عبدالله بن مسعود - رضي الله عنه - قال: «من هاجر يبتغي شيئًا فإنما له ذلك، هاجر رجل ليتزوج امرأة يقال لها: أم قيس، فكان يقال له: مهاجر أم قي

قلت: قد أنكر ذلك الحافظ ابن رجب رحمه الله وغيره من العلماء، فقال: وقد اشتهر أن قصة (مهاجر أم قيس) كانت سبب قول النبي صلى الله عليه وسلم: «من كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأةٍ ينكحها »، وذكر ذلك كثير من المتأخرين في كتبهم، ولم نرَ لذلك أصلًا يصح.

وقال ابن حجر - رحمه الله -: ليس فيه أن حديث الأعمال سيق بسبب ذلك، ولم أرَ في شيء من الطرق ما يقتضي التصريح بذلك، والله أعلم؛ اهـ

الفوائد من الحديث:

١ـ النية محلها القلب، واللفظ بها بدعة.

٢- أن مدار الأعمال على النيات؛ صحة وفسادًا، وكمالًا ونقصًا.

٣ـ في الحديث إشارة إلى أن من أراد الغنيمة صحح العزيمة، ومن أراد المواهب السَّنِية أخلص النية.

٤ـ أن الأمور بمقاصدها.

٥ـ الفرق بين العبادة والعادة هو النية.

٦ـ أن نية المؤمن تبلغ إلى حيث يبلغ عمله.

٧ـ أن الإنسان يعطى على نيته ما لا يعطى على عمله.

منطلقات وأسس مهمة:

إن العناية والاهتمام ببحث الأسباب الجوهرية التي تكمن وراء المشكلات والقضايا القائمة أمر في غاية الأهمية، لأنه يساعد كثيراً بإذن الله تعالى في وضع الأمور في نصابها، وضبطها مما يساعد على تحقيق التقدم والرقي المنشود بإذن الله تعالى، ومن أهم المنطلقات لذلك:

أولاً: الاهتمام والعناية بإعداد القادة الإداريين، وفق النظم الإدارية الحديثة، وإنشاء معاهد متخصصة لهم لتطوير قدراتهم، وتدريبهم على حسن القيادة والتوجيه.

ثانياً: الاهتمام والعناية بدراسة المشكلات القائمة دراسة علمية من قبل متخصصين في حل المشكلات، ومن ثم العمل على وضع الحلول الملائمة.

ثالثاً: تقوية جانب المتابعة والإشراف من الجهات الرقابية المختصة بالإشراف على القطاعات العامة، للتأكد من سلامة قيام كافة العاملين بمسؤولياتهم، ومحاسبة كل من ثبت تقصيره بالعقوبة المناسبة.

رابعاً: الاستفادة من خبرات وتجارب المجتمعات المتقدمة في حل المشكلات المماثلة، مع مراعاة فوارق العوامل المختلفة بين المجتمعات، وفي مقدمتها: الدينية، والاجتماعية، والاقتصادية، والثقافية.

يجب ضرورة تعاون المؤسسات التربوية المختلفة في توجيه الناشئة، والشباب، وكافة أفراد المجتمع، بأن لا يكتفوا بالاعتماد على غيرهم فيما يحتاجونه من شؤون حياتهم، بل عليهم العناية بالجدية، والمثابرة، وتحمل المسؤولية في كل أعمالهم، صغيرها، وكبيرها، حتى يصبحوا مجتمعاً، وأمة لها كيانها، ولها مكانتها.

لكي ينجح الإنسان بحياته، يجب أن يكون متفائلاً بها. ينظر المتفائل دائماً لحياته بطريقة إيجابية ويتوقع الخير والسرور كما أنه ينجح في تحقيق أمنياته بالتوافق النفسي والاجتماعي، ويكون أكثر إشراقاً بالمستقبل وبما حوله. وبالتالي هذه الحياة الإيجابية تؤثر بشكل مباشر على صحته النفسية والجسدية، بينما المتشائم يتوقع الشر واليأس والفشل وينظر إلى الحياة بمنظار سلبي التي تجعل حياته جحيماً

إنّ الأمل والتفاؤل من خير الصفات والسمات التي يجب أن يتمتع بها كُلُّ فردٍ في المجتمع، وذلك بغض النَّظرِ عن فئته العمرية؛ ويعود السبب في ذلك إلى أثر التفاؤل والأمل على الفرد والمجتمع، هذا الأثر يُحقق العديد من النتائج الإيجابية ومنها:

- إنّ التفاؤل والأمل من أفضل الأمور التي تقوي النّفس وتجعلها صامدة أمام عقبات المُجتمع، كما يعودان على المجتمع والفرد بكلِّ الخير. من أثر التفاؤل والأمل على الفرد والمجتمع هو النهوض بالنفس الإنسانية نحو التقدم والنجاح، وعلى عكس التشاؤم الذي يجلب الفشل، ويجعل من الإنسان عائقًا سلبيًا لنفسه وللمجتمع بأسره.

التفاؤل هو السلاح المُدمر لليأس، فالأمل يُقرب جميع الأمنيات حتّى لو كانت صعبةَ المنال، فمن الواجب التيقن أنّ الأمل موجود مهما حدث.

- إنّ الأمل والتفاؤل من أفضل الطّرق لمواجهة مشاكل الحياة، فالعزم والصبر مبعث لكل خير. بالتفاؤل والأمل يتم الحصول على كل الأمور المرجو تحقيقها، فالطاقة الإيجابية التي يمنحانها تعود على الفرد والمجتمع بكل خير.

- إن القرآن الكريم هو النبراس الذي يضيء الذنوب المظلمة، والمشعل الذي يجلي غياهب السبل الموحشة، ومهما جلت المصائب وعظمت الكوارث، فإنَّ في كتاب الله ما يحيلها إلى برد وسلام؛ لأنَّه نزل من لدن حكيم خبير، يقول المولى تبارك وتعالى: ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾[١٤]، فهو تعالى العالم بحال خلقه وما يصلح شؤونهم، فلذلك أنزل الله القرآن الكريم، ليكون دستوراً، ويكون مشعلاً يستضيء به النَّاسُ في هذه الحياةِ، كما قال تبارك وتعالى في الكريم: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ﴾[١٥]، وقال سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: ﴿ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾[١٦] ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢٥٧)﴾[١٧] .

فالقرآن هو شعلة ونور وهداية قال سبحانه: ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾[١٨]، فالقرآن الكريم، يهدي إلى أقوم الطرق وأعدلها في مجال العقيدة والتوحيد وصلة العبد بربه.

---

(١٤) سورة الملك ، الآية ١٤ .

(١٥) سورة الصف، الآية ٩ .

(١٦) سورة الحديد ، الآية ٩ .

(١٧) سورة البقرة ، الآية ٢٥٧.

(١٨) سورة الإسراء ، الآية ٩ .

وما يتعلق بأمر العبادة وهكذا يهدي للتي هي أقوم في مجال الاقتصاد، وفي مجال الريادة وفي مجال السياسة، وفي ما يصلح الأسرة، وينظم شؤون الأسرة فهو تنظيم عام وشامل للفرد والمجتمع.

إن التخبط الذي نلحظه اليوم في حياة البشرية ما هو إلا نتيجة حتمية لتنحية القرآن عن دور الريادة والقيادة جانباً، فالغرب مثلاً بما يمتلكه من إمكانيات ضخمة وحضارة هائلة، هو الذي اليوم يعاني من أزمات أخلاقية وأمراض نفسية لا تخفى على أدنى متابع، فلذلك كثر عندهم الشذوذ، وكثر عندهم الانتحار.

وكذلك كثرت عندهم الأمراضُ النفسيةُ، والأمراضُ الصحيةُ أيضاً لماذا؟

لأنَّهم يعيشون في فوضى، وكما قال الشاعر:

لا يَصلُحُ النَّاسُ فوضى لا سراةَ لهم .... ولا سراةَ إذا جُهالهُم سادوا

لذلك كان لزاماً علينا أن نسرع الفيئة والرجوع الى كتاب الله، ونهتدي بهديه؛ لأنه السبيل الوحيد لتقويم المعوج، وإصلاح الحال والمآل، ولما كانت الدنيا مجبولة على الأكدار مفطورة على التنغيص والمرء فيها يعتريه ما يعتريه من الهموم والأحزان بسبب المكدرات لما كان ذلك كذلك، جاء القرآن الكريم، ليأخذ بيد المؤمن إلى سبيل النجاة وشاطئ الأمان بما فيه من الآيات تحيي في نفسه الأمل، وتبعث في قلبه قرب الفرج، وأن الخيرات آتية، ولو بعد حين، وكما قال القائل:

لابـد مـن فـرج قِريــبٍ آتٍ ... يـُنسي القلوب مرارة النكبـاتِ

ويُعيد بهجتها سرورًا عامــرًا ... فترى الوجوه تفيض بالبسماتِ

وعدُ من الرحمن بشـــــرنا بـه ... فــاقرأ الم نشرح من الآيـــاتِ

ويقول تبارك وتعالى: ﴿ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا * إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴾[١٩].

ومن هنا جاء هذا البحث محاولة لإيضاح منهج القرآن الكريم في طرح موضوع عن التفاؤل، وسميته: **التفاؤل بوابة النجاح الكبرى**، وتلمساً لآياته التي تبعث في النفوسِ المكلومةِ والقلوبِ المحبطةِ باعثَ الأملِ، الذي يحيل الأتراح إلى أفراح، ويجلي حكمة الله في كل نافلة بما يطمئن قلب المؤمن ويجعله مُسَّلماً لأمر الله راضياً تمام الرضا متيقناً أتم اليقين أن الخير فيما قضاه وكتبه، وسوف نعرض بحول الله بعضاً من الآيات في كتاب الله التي تدعو إلى التفاؤل، وترشد إلى المنهج الصحيح الذي يجب أن يكون عليه المؤمن في أوقاتِ الأزمات، سواءً كان ذلك على المستوى الشخصي، أم على مستوى الأمة، والهيكل العام لهذه الدراسة سيكون ابتداء بالحديث عن معنى التفاؤل، ومشروعيته، وأهميته، ثم يكون التركيز بعد ذلك على صلب موضوع الدراسة، وهو الحديث عن أسلوب القرآن الكريم في تربية النفوس على التفاؤل، ويندرج تحت هذا المبحث المطلبان الآتيان:

المطلب الأول: إيراد نماذج عن تفاؤل الصالحين.

والمطلب الثاني: إشاعة التفاؤل في وقت الأزمات والمعضلات، وذلك من خلال الفروع الآتية:

الفرع الأول: التفاؤل بالنصر على أعداء الأمة.

الفرع الثاني: التفاؤل في حال الفقر وضيق العيش.

الفرع الثالث: منزلة التفاؤل من الإسلام.

الفرع الرابع: التفاؤل عند عدم الوفاق الزوج مثلاً.

---

(١٩) سورة الشرح ، الآيات ٥-٦ .

الفرع الخامس: التفاؤل بمغفرة الله، وعدم اليأس من رحمته.

الفرع السادس: فضل التفاؤل.

الفرع السابع: فوائد التفاؤل.

الفرع الثامن: ثمار التفاؤل.

الفرع التاسع: الثقة بالله.

أخـــــــــــــيراً:

"أسألُ اللهَ وحدَهُ أن يأخذَ إلى ما فيه الخير لنا في الدنيا والآخرة ،ويملأ قلوبَنا أُنْسَاً بكتابه، وتسليماً لأمره، ويقوينا لوعده، كما أسأله سبحانه وتعالى أن يجعلنا من أهل القرآن الكريم، الذين هم أهل الله وخاصته، ونسأله أن يرزقنا وإياكم حلاوةَ القرآنِ وأن يجعلَهُ ربيعَ قلوبِنَا وجلاءَ أحزاننا، وذهاب همومنا وغمومنا اللّٰهُمَّ أخرجنا به من الظلمات إلى النور واهدنا به للتي هي أقوم يا أرحم الراحمين"

وصلي اللّٰهُمَّ وسلم على نبينا محمد ..

كتبه: علي بن محمد المطري حامداً مصلياً

في: (٢٦ذوالحجة ١٤٤٥هـ).

المبحث الأول:

معنى التفاؤل وأهميته، ومشروعيته، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الاول: معنى التفاؤل.

المطلب الثاني: أهمية التفاؤل.

المطلب الثالث: مشروعية التفاؤل

المطلب الاول: معنى التفاؤل وفيه فرعان

الفرع الأول: معنى التفاؤل في اللغة.

الفرع الثاني: معنى التفاؤل في الاصطلاح.

المطلب الأول: التفاؤل في اللغة العربية:

التفاؤل: ضدّ الطّيرة والجمع فئول، وتفاءلت به[٢٠] .

والفأل: أن يكون الرّجل مريضاً، فيسمع آخر يقول: يا سالم، أو يكون طالب ضالّة فيسمع آخر يقول: يا واجد فيقول: تفاءلت بكذا، ويتوّجه له في ظنّه كما سمع أنّه يبرأ من مرضه أو يجد ضالّته. والفأل يكون فيما يحسن وفيما يسوء[٢١] .

إذاً الفَأْلُ: ضِدُّ الطِّيَرةِ (التَّشاؤُمِ)، والجَمعُ فُؤولٌ، وأفْؤُلٌ. وهو ما يُظَنُّ عندَه الخيرُ .

والتَّفاؤُلُ: مَصدَرٌ للفِعلِ تفاءَلَ، يقالُ: تفاءَلتُ به، وتفأَّلتُ به.

والتَّفاؤُلُ: ضِدُّ التَّشاؤُمِ، وقد يُستعمَلُ الفَألُ فيما يُكرَهُ، فيُقالُ: لا فألَ عليك، بمعنى: لا ضَيرَ عليك، ولا طَيرَ عليك، ولا شَرَّ عليك[٢٢] .

الفرع الثاني :معنى التفاؤل في الاصطلاح:

التَّفاؤُلُ: هو انشراحُ قَلبِ الإنسانِ وإحسانُه الظَّنَّ، وتوقُّعُ الخيرِ بما يسمَعُه مِنَ الكَلِمِ الصَّالحِ أو الحَسَنِ أو الطَّيِّبِ[٢٣] .

وقيل: هو صِفةٌ تجعَلُ توقُّعاتِ الفَردِ وتوجُّهاتِه إيجابيَّةً نحوَ الحياةِ بصِفةٍ عامَّةٍ؛ يستبشِرُ الخيرَ فيها، ويستَمتِعُ بالحاضِرِ، ويَحدوه الأمَلُ في مُستقبَلٍ أكثَرَ إشراقًا وأحسَنَ حالًا .

وقيل: هو استقراءُ المُستقبَلِ في ملامِحِ الحاضِرِ، والشُّعورُ بالتَّنبُّؤِ بما يأتي، وترقُّبُ ما سيحصُلُ للإنسانِ عِندَ سماعِه شيئًا حَسَنًا أو رؤيتِه له .

---

(٢٠) تهذيب اللغة، (١٥/ ٢٧١)وينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، (٥/ ١٧٨٨) المحكم والمحيط الأعظم (١٠/ ٤٠٥) .

(٢١) القاموس المحيط، (ص ١٠٤٠)، لسان العرب، (١١/ ٥١٣).

(٢٢) ينظر: تهذيب اللغة، (١٥/ ٢٧١) .

(٢٣) ينظر: نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، (٣/ ١٠٤٦)

الفأل هو الكلمة الصّالحة أو الكلمة الطّيّبة أو الكلمة الحسنة، روى البخاري في صحيحه بسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: « لاَ طِيَرَةَ، وَخَيْرُهَا الفَأْلُ» قَالَ: وَمَا الفَأْلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «الكَلِمَةُ الصَّالِحَةُ يَسْمَعُهَا أَحَدُكُمْ »[٢٤] .

قال ابن عبّاس- رضي الله عنهما- الفرق بين الفأل والطّيرة أنّ الفأل من طريق حسن الظّنّ بالله، والطّيرة لا تكون إلّا في السّوء فلذلك كرهت[٢٥].

قال الطّيبيّ: «معنى التّرخّص في الفأل والمنع من الطّيرة هو أنّ الشّخص لو رأى شيئا فظنّه حسنا محرّضا على طلب حاجته فليفعل ذلك. وإن رآه بضدّ ذلك فلا يقبله بل يمضي لسبيله. فلو قبل وانتهى عن المضيّ فهو الطّيرة الّتي اختصّت بأن تستعمل في الشّؤم)[٢٦].

التفاؤل من الإيمان بالله :التفاؤل من الإيمان .. وهو من صفات المؤمنين لأن المؤمن يعلم يقينًا أن الأمر كله بيد الله، وأن كل ما يقضيه الله في حق عباده خير، حتى وإن لم نعرف الحكمة فيه .. يقول تعالى: (وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ)[٢٧]..

---

(٢٤) رواه البخاري، رقم: (٥٧٥٤)، ورقم: (٥٧٥٥)، ومسلم، ورقم: (٢٢٢٣) .

(٢٥) ينظر: فتح الباري لابن حجر، (١٠/ ٢١٥).

(٢٦) المرجع السابق .

(٢٧) سورة هود ، الآية ١٢٣ .

التفاؤل سنة نبوية:

التفاؤل سنة نبوية، وصفة إيجابية للنفس السوية، يترك أثره على تصرفات الإنسان ومواقفه، ويمنحه سلامة نفس وهمة عالية، ويزرع فيه الأمل، ويحفزه على الهمة والعمل، والتفاؤل ما هو إلا تعبير صادق عن الرؤية الطيبة والإيجابية للحياة .

قليلاً من التفاؤل قد يصنع ألف طريقاً للسعادة .

إنّي صنعتُ من التّفاؤلِ مَركباً ... وَشددتُ من عزمِ اليَقينِ شراعَه.

أبْحرتُ فيــه علَـى الإلهِ توكُّلي ... مَــا خابَ مــن لله مــدّ ذراعَـــه.

وأجمع تعريف للتفاؤل هو: التفاؤل صفة تجعل توقعات الفرد وتوجهاته ايجابية نحو الحياة بصفة عامة ويستبشر بالخير فيها ويستمتع بالحاضر ويحدوه الامل في مستقبل اكثر اشراقا واحسن حالا.

استراحة : كن حسن الظن بربك مع الأخذ بالأسباب للوصول إلى الأهداف

التفاؤل هو الثقة والأمل في تحقيق النجاح والتحسين في المستقبل، يعتقد الأشخاص المتفائلين أن الأمور ستتحسن وأن النتائج الإيجابية ستحدث.

أما التشاؤم فهو الاعتقاد السلبي والشك في تحقيق النجاح والتحسين في المستقبل، يعتقد الأشخاص المتشائمون أن الأمور ستسوء وأن النتائج السلبية ستحدث.

المطلب الثاني أهمية التفاؤل:

التفاؤل صفة تجعل توقعات الفرد وتوجهاته إيجابية، نحو: الحياة بصفة عامة ويستبشر بالخير فيها، ويستمتع بالحاضر، ويحدوه الأمل في مستقبل أكثر إشراقاً وأحسن حالاً.

التفاؤل يجدد شباب القلب:

إنّ التفاؤل يجدِّد شباب القلب، ويزيد من قوة الإنسان على الحب والانطلاق والإقبال على الحياة، كذلك فإنه عامل مهم لنجاح أي مشروع يقدم عليه الإنسان.

فأحوج ما يكون الناس إليه في ظل هذه الظروف خاصة من يبعث في نفوسهم التفاؤل والأمل، وحسن الظن بالله، والتوكل عليه، والرضا بقضاء الله وقدره، واجتناب التشاؤم واليأس والقنوط، وبث الأخبار التي فيها تثبيط العزائم، ونشر الخوف والهلع بين الناس، قال المولى تبارك وتعالى: ﴿وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ ۖ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾[٢٨] ، وقال تعالى: ﴿ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾[٢٩]، وقال جل وعلا: ﴿إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾[٣٠] .

وفي الحديث القدسي قال الله تعالى: «أنا عند ظن عبدي بي، فليظن بي ما شاء»[٣١] ولا ينافي التفاؤل الأخذ بالأسباب الحسية والاحتياطات والعمل

---

(٢٨) سورة يوسف ، الآية ٨٧ .

(٢٩) سورة التوبة ، الآية ٤٠ .

(٣٠) سورة الانفال ، الآية ٧٠

(٣١) رواه أحمد، برقم: (١٦٠١٦)، والدارمي، رقم: (٢٧٧٣)، وابن حبان، رقم: (٦٣٣)، والحاكم، رقم:(٧٦٠٣) وصححه الألباني في صحيح الجامع، رقم: (٤٣١٦) .

بالتعليمات التي يرشد إليها أهل الاختصاص، ولنثق فيما تتخذه الدولة من إجراءات، ولنلزم التحصينات الشرعية، كالأوراد الشرعية عند النوم، وفي الصباح والمساء، ونزول المنزل، ولنكثر من الدعاء، فبذلك كله يحصل الشفاء، ويرتفع البلاء بإذن الله ،وتكمن أهمية التفاؤل في حياة المسلم.

التفاؤل من الصفات الحميدة التي كان يُحبُّها رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ، وهو من آثار حُسْنِ الظن بالله -تعالى-، والرجاءِ فيه، بتوقُّع الخير بما يسمعه من الكلم الطيب، ويُعتبر التفاؤل من الصفات الرئيسة لأي إنسان ينشد السعادة والنجاح.

وللتفاؤل قيمة اجتماعية مميزة؛ إذْ يرغب الناس في صحبة المتفائل، في الوقت الذي يَفِرُّون فيه من المتشائم، كما أنهم يميلون إلى سماع الأخبار والأحاديث في التفاؤل أكثر من أحاديث التشاؤم، بل كثيراً ما يُوصي الناس بعضهم البعض بالتحلي بصفة التفاؤل، والابتعاد عن التفكير التشاؤمي، وتعظم الحاجة إلى التفاؤل في أوقات الأزمات والشدائد، فأوْقِدْ جذوةَ التفاؤل، وعِشْ في أملٍ وعمل، ودعاء وصبر، ترتجي بعضَ الخير، وتحذر من الشر.

وإن سأل سائل: ما هو التفاؤل؟

فيقال له التفاؤل: هو توقُّع حصول الخير في المستقبل، وبضد ذلك المتشائم التي يتوقَّع حصول الشر.

النصوص الدالة على مشروعية التفاؤل:

قوله -صلى الله عليه وسلم-: "لاَ طِيَرَةَ، وَخَيْرُهَا الْفَأْلُ". قَالُوا: وَمَا الْفَأْلُ؟ قَالَ: "الْكَلِمَةُ الصَّالِحَةُ يَسْمَعُهَا أَحَدُكُمْ[٣٢]".

وفي رواية: " لا عَدْوَى ولا طِيَرَةَ، ويُعْجِبُنِي الفَأْلُ الصَّالِحُ: الكَلِمَةُ الحَسَنَةُ[٣٣].

وفي رواية: "وَيُعْجِبُنِي الْفَأْلُ". قَالُوا: وَمَا الْفَأْلُ؟ قَالَ: "كَلِمَةٌ طَيِّبَةٌ[٣٤]"

التحذير من التشاؤم:

كان النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ يُحبُّ أن يُستبشر بالخير، وكان ينهي قومَه عن كلمة "لو"؛ لأنها تفتح عمل الشيطان، فهي من أوسع أبواب التشاؤم، يتَّضح ذلك في توجيهه -صلى الله عليه وسلم-: "اسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَلاَ تَعْجَزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ، فَلاَ تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا. وَلَكِنْ قُلْ: قَدَرُ اللَّهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ؛ فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ[٣٥]" .

وكان منهجه في التفاؤل يتجلَّى في تطبيقه لقول الله -تعالى-: ﴿وَعَسى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾[٣٦].

---

(٣٢) تقدم تخريجه صفحة ١٣ .

(٣٣) رواه البخاري، رقم: (٥٧٥٦) .

(٣٤) رواه البخاري، رقم: (٥٧٧٦)

(٣٥) رواه مسلم، رقم: (٢٦٦٤) .

(٣٦) سورة البقرة ، الآية ٢١٦ .

بل جعل النبيُّ -صلى الله عليه وسلم- اليأسَ من الكبائر؛ فلمَّا سأله رجل عن الكبائر؟ أجابه بقوله: "الشِّرْكُ بِاللهِ، واليأس مِنْ رَوْحِ الله، وَالْقُنُوطُ مِنْ رَحْمَةِ الله"[٣٧] رواه الطبرانيُّ في الكبير وصحَّحه ابنُ كثيرٍ.

أعلى درجات التفاؤل:

إنَّ أعلى درجات التفاؤل هو التفاؤل في أوقات الأزمات، ولحظات الانكسارات، وساعات الشدائد، فتَتَوَقَّع الخيرَ وأنت لا ترى إلاَّ الشر، والسعادةَ وأنت لا ترى إلاَّ الحُزن، وتَتَوقَّع الشفاءَ عند المرض، والنجاحَ عن الفشل، والنصرَ عند الهزيمة، وتتوقَّع تفريجَ الكروب ودَفْعَ المصائب عند وقوعها، فالتفاؤل في هذه المواقف يُولِّد مشاعر الرضا والثقة والأمل.

صفات المتفائل:

ومن صفات المتفائل: أنه منبسط الأسارير، مشرق الوجه، واسع الصدر، مبتسم الثغر.

قاموسه: الأمل، والنجاح، والسعادة، والانتصار، والارتقاء، والتعاون، والحب، والتوكل على الله -تعالى-، وحُسن الظن به.

أعظم مصدر للتفاؤل:

أعظم مصدرٍ للتفاؤل هو القرآن الكريم، الذي يمنحنا التفاؤل والفرح والسرور، ويعطينا الأمل: فمن أسرف على نفسه بالمعاصي ووقع في فخ الشيطان؛ فعليه أن يتدبَّر قوله -تعالى-: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لاَ تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ

---

(٣٧) رواه الطبراني في الكبير، رقم: (٨٧٨٣)، والبيهقي، رقم: (١٠١٩)، وقال الهيثمي في مجمع الفوائد: إسناده حسن مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، (٧/ ١١٦) .

اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾[٣٨]، وسيشعر بالفرحة والسرور، والبِشْر والحبور.

والذي خسر ماله؛ إذا قرأ الآيةَ الكريمة: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾[٣٩] كيف سيكون أثرها عليه؟

وهذا الذي يدعو اللهَ -تعالى-، ولم يتحقَّق دعاؤه، إذا قرأ قولَه -تعالى-: ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ﴾[٤٠] ؛ فالخير قد يكون في الشر، والسعادة قد تكون في الشدة، والفرح قد يكون في الحُزن.

بل كل المصائب والشدائد إذا ما قُورنت برحمة الله وفضله هانت وتلاشت، قال الله -تعالى-: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾[٤١].

فتلك البشرى للمتفائلين الواثقين برحمة الله.

التفاؤل في حياة الأنبياء:

إنَّ الأنبياء -عليهم السلام- هم سادات المتفائلين، واقرؤوا -إنْ شئتم- قصصَ القرآن؛ لتروا التفاؤلَ بادياً في تعاملهم مع الأزمات والمحن.

وقد ضرب يعقوب -عليه السلام- أروع الأمثلة في التفاؤل: فقد ادعى إخوة يوسف بأنَّ الذئب أكله، وابنه الآخَر اتُّهم بالسرقة وسُجِن، كما أخبروه، وعلى

---

(٣٨) سورة الزمر، الآية ٥٣ .

(٣٩) سورة يونس ، الآية ٥٨ .

(٤٠) سورة البقرة ، الآية ٢١٦ .

(٤١) سورة البقرة ، الآيات ١٥٦- ١٥٧ .

الرغم من مرور السنوات الطويلة، إلاَّ أنه لم يفقد الأمل من رحمة الله -تعالى-، تأمَّلوا ماذا كان ردُّ فِعله؟ وبماذا أمر أبناءَه؟ قال لهم:

﴿يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلاَ تَيْئَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لاَ يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الكَافِرُونَ﴾[٤٢] .

والمتأمِّل في سيرة النبي -صلى الله عليه وسلم-؛ يجدها مليئة بالتَّوكل على الله، وحُسنِ الظَّن به -سبحانه- وهما أساسا التفاؤل، فلا عجب فهو إمام المتفائلين وسيدهم، ومن أوضح الأمثلة على ذلك:

لمَّا خرج -صلى الله عليه وسلم- لغزوة خيبر سمع كلمةً -من أحد أصحابه- فأعجبته؛ فقال: "أَخَذْنَا فَأْلَكَ مِنْ فِيكَ"[٤٣] أي: تفاءَلْنا من كلامك الحَسَن تيمُّناً به.

والتفاؤل سلوك ملازمٌ للنبي -صلى الله عليه وسلم- ومُتأصِّل فيه، حيث كان يتفاءل بالأسماء الحسنة، لِمَا لها من دلالة إيجابية على النفوس.

ولما أتى المدينة كانوا يسمونها: "يثرب"، وهي كلمة ليست محمودة؛ فغيَّر اسمَها، وسمَّاها: "طابةَ"، أو سمَّاها: "المدينة"؛ وهذا هو عين التفاؤل.

وعَنِ ابْنِ عُمَرَ - رضي الله عنهما: "أَنَّ ابْنَةً لِعُمَرَ كَانَتْ يُقَالُ لَهَا: عَاصِيَةُ. فَسَمَّاهَا رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-: جَمِيلَةَ"[٤٤] فهذا الاسم هو المناسب لأنوثة هذه الفتاة."

وعن عَبَّادِ بنِ تَمِيمٍ عن عَمِّهِ قال: "خَرَجَ النَّبِيُّ -صلى الله عليه وسلم- إلى الْمُصَلَّى يَسْتَسْقِي، وَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ، فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ، وَقَلَبَ رِدَاءَهُ[٤٥]" فَعَل ذلك تفاؤلاً بتحوُّل حال الجَدْب إلى الخِصْب.

---

(٤٢) سورة يوسف ، الآية ٨٧ .

(٤٣) رواه أبو داود، رقم: (٣٩١٧)، وأحمد، رقم: (٩٠٤٠)، وصححه الألباني في صحيح الجامع، رقم: (٢٢٥) .

(٤٤) رواه مسلم، رقم: (٢١٣٩) .

وفي الحديبية لمَّا جاء سُهَيلُ بنُ عَمْرٍو يُفاوِض النبيَّ عن قريش، فتفاءل رسول الله -صلى الله عليه وسلم- باسمه، وقال: "لَقَدْ سَهُلَ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ"[٤٦]. فهذا تفاؤل مُسْتَوحى من المقام.

وتأمَّل حالَه -صلى الله عليه وسلم- وهو في قَرْنِ الثَّعَالِبِ يمشي مهموماً بعد أنْ طردَه بنو عبدِ ياليلَ وآذوه ورجموه حتى أدموه، والملأ من قريش مصمِّمون على منع عودته إلى مكة، وقد جاءه مَلَك الجبال فقال: "إنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عليهم الأَخْشَبَيْنِ"، فأجابه -صلى الله عليه وسلم- وكلُّه تفاؤل وأمل، وصبر، ورحمة، وبُعد نظر، واستشراف للمستقبل: "بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللهُ مِنْ أَصْلاَبِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ، لاَ يُشْرِكُ بِهِ شيئاً"[٤٧]

ولكي يَصِلَ بنا التفاؤل إلى شاطئ السعادة والنجاح: لا بد أن يقترن بالجدية وبالعمل الدؤوب، وبمزيد من السعي والفاعلية، وإلاَّ كان هذا التفاؤل مُجرَّد أمنياتٍ وأحلامٍ وضربٍ من الأوهام، فالإغراق في التفاؤل بدون عمل، يُعتبر هروباً من الواقع، وقراءةً خاطئة له.

نشر الأمن والطمأنينة من التفاؤل وهي من منهج الأنبياء عليهم السلام.

إن من منهج الأنبياء عليهم السلام نشر الأمن والطمأنينة في نفوس المؤمنين، وهذا هو القصد من بعثتهم، وهو الدعوة إلى توحيد الله عز وجل وإفراده بالعبادة، التي يتحقق بهما الأمن والطمأنينة لهذا شرط إبراهيم الخليل عليه السلام في دعوته بأن يجعل البلد الحرام آمنا ويرزق أهله من الثمرات بالإيمان بالله واليوم

---

(٤٥) رواه البخاري، رقم: (١٠٢٧) .

(٤٦) رواه البخاري، رقم: (٢٧٣١) .

(٤٧) رواه البخاري، رقم: (٣٢٣١)، ومسلم، رقم: (١٧٩٥) .

الآخر، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾[٤٨].

وهذا شعيب ـ عليه السلام ـ يطمأن موسى ـ عليه السلام ـ، ويأمنه من خوفه، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾[٤٩] وهذا القول من الشيخ الكبير لموسى، صادف مكانه، وطابق مقتضاه، فقد كان موسى- عليه السلام- أحوج ما يكون في ذلك الوقت إلى نعمة الأمان والاطمئنان، بعد أن خرج من مصر خائفا .

وهكذا تتكرر قصص الأنبياء مع أقوامهم بالدعوة إلى النجاة من الخوف والقلق وذلك عن طريق التقرير بأن الله واحد لا شريك له، وهو المستحق للعبادة قال تعالى: ﴿وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾[٥٠] وبتحقيق العبودية الخالصة يكون الأمن والطمأنينة.

ومن معاني الطمأنينة في لغة العرب: السكون، والوثوقية، والاستئناس، والاستيطان بالأرض ولا يكون إلا مع الأمان، والإخبات، وكلها جاءت في كتب اللغة.

وقَولُه تَعالَى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهمُ بِذِكْرِ الله﴾[٥١]، معناهُ: إذا ذُكِرَ اللهُ بوَحْدانِيتِّه آمَنُوا به غَيْرَ شاكِّينَ. وقَوْلُه تَعَالى: ﴿ قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ﴾[٥٢]، قَالَ الزّجَّاجُ: مَعْناهُ مُسْتَوْطِنِينَ الأَرْضَ.

---

(٤٨) سورة البقرة، الآية ١٢٦ .

(٤٩) سورة القصص، الآية ٢٥ .

(٥٠) سورة البقرة، الآية ١٦٣ .

(٥١) سورة الرعد، الآية ٢٨ .

(٥٢) سورة الإسراء، الآية ٩٥ .

قال ابن فارس[٥٣]: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ﴾[٥٤] أي: على وجهٍ، لأن العبد يجب عليه طاعة الله جل ثناؤه عند السراء والضراء، فإذا أطاعه عند السراء وعصاهُ عند الضراء فذاك ممن عبد الله على حرف، ألا ترى أنه قال: ﴿فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ﴾[٥٥]، وإنما تجب على العبد طاعة الله عز وجل على كل حال .

فوائد التفاؤل وثمراته:

أهم فوائد التفاؤل:

١ـ أنه يجعلنا متوكِّلين على الله -تعالى-، ونُحْسِن الظن به سبحانه، ويبعث في نفوسنا الرجاء، ويقوِّي عزائمنا، ويُجدِّد فينا الأمل، ويدفعنا لتجاوز المِحَن، ويُعوِّدنا الاستفادة من المحنة لتنقلب إلى منحة، وتتحول المصيبة إلى غنيمة، ولا ننسى أنَّ التفاؤل شعبةٌ من شعب الإيمان، فالمؤمن يفرح بفضل ربه وبرحمته، ولو لم يفعل. ذلك ويئس؛ فإنَّ إيمانه سينقص ولا ريب.

٢ـ يمنحنا التفاؤل القدرةَ على مواجهة المواقف الصعبة، واتخاذ القرار المناسب، ويجعلنا أكثرَ مرونةً في علاقاتنا الاجتماعية، وأكثرَ قدرةً على التعايش مع الناس؛ لذا ترى الناسَ يُحبون المتفائلين ويخالطونهم، وينفرون من المتشائمين.

٣ ـ أنه يمنحنا السعادة، سواء البيت، أو العمل، أو بين الأصدقاء والأحبة، بل إن الدراسات العلمية المعاصرة تربط بين التفاؤل، وبين الصحة النفسية والعقلية

---

(٥٣) مجمل اللغة لابن فارس، (ص ٢٢٦) .

(٥٤) سورة الحج ، الآية ١١ .

(٥٥) سورة الحج ، الآية ١١

والبدنية، ومن هنا كان التفاؤل من أعظم أسلحة الإنسان التي يتسلَّح بها من جميع الأمراض، النفسية والبدنية، والعقلية، والقلبية.

والمتفائلون سرعان ما يبرؤون من أمراضهم؛ مقارنةً بغيرهم من المتشائمين، ويقال: إنَّ التفاؤل مريح لعمل الدماغ: فالطاقة المبذولة من الدماغ -لحظة التفاؤل- خلال عشر ساعات؛ أقل بكثير من الطاقة المبذولة -لحظة التشاؤم- لمدة خمس دقائق.

لذا يجب أن نربي أنفسنا على التفاؤل في أصعب الظروف، وأقسى الأحوال، فهو منهج لا يستطيعه إلاَّ أفذاذ الرجال.

فالمتفائلون هم الذين يصنعون التاريخ، ويسودون الأمم، ويقودون الأجيال.

أمَّا اليائسون والمتشائمون، فلن يستطيعوا أن يبنوا حياةً سوية، وسعادةً حقيقية في داخل ذواتهم، فكيف يصنعونها لغيرهم، أو يُبَشِّرون بها سواهم؟ وفاقد الشيء لا يعطيه.

اخي وعزيزي القارئ الكريم سوف ألخص لك أهمية التفاؤل في نقاط لتحصل على فائدة أرقى وأفضل.

أهمية التفاؤل في الإسلام:

حثت الشريعة الشرعيّة على التفاؤل، ونبذ التشاؤم واليأس والقنوط ، وأشار إلى أنّ غياب التفاؤل نابع من غياب الفقه في الدين، ومن القصور في فهم مقاصد التشريع.

وفيما يلي بيان لأهميّة التفاؤل:

أولاً: إنها عقيدة لدى المسلم؛ فهو ناشئ من حسن ظنّه بالله تعالى، وتوكله عليه، ويقينه بأن ربّ الخير لا يأتي إلا بالخير.

ثانياً: يعمل على تقوية الثقة بالله -عزّ وجلّ- والاعتماد عليه، ويغرس معاني اليقين به سبحانه، وأنّ كل ما يحصل للإنسان هو تقدير العزيز العليم. إنه أمرٌ مُسْتَحَسِنٌ؛ باعتبارها حافزًا لهم على تحقيق الأهداف وتقوية الأفضل دائمًا.

ثالثًا: يغرس الطمأنينة في النفوس؛ ومن خلال صدق توكلها على الله، وتوقّعها لأفضل الخيارات في كل الظروف والأحوال، وذلك بعد الأخذ بالأسباب.

آياتٌ حَاثّةٌ على التفاؤل والاستبشار، هناك الكثير من الآيات القرآنية التي تدعو المسلم ليكون من المتفائلين المستبشرين، ومنها ما يأتي:

١ـ قول الحق -عز وجل- في سورة يوسف: ﴿وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ ۖ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾[٥٦]، فقد حرم الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم اليأس، وأنه قرينٌ للكفر، والمسلم فيحملُ من اليقين بالله ما يجعله يستبشر دائمًا بما هو خيرٌ.

٢ـ آيات تدعو إلى نبذ التشاؤم، وفي سياق نبذ التشاؤم، والدعوة إلى السكون والثقة بالله تعالى؛ جاء على لسان الحبيب المصطفى -صلى الله عليه وسلم- قول الله -تعالى-: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ﴾[٥٧].

وفي هذه التربية للمسلمين دعوة لتقويّة الإيمان بالله سبحانه وتعالى، وربط الأسباب والنتائج بأسبابها، بعد التوكل على الله.

التفاؤل في السنة النبوية:

ورد التفاؤل في السنة النبوية في أحاديث كثيرة، كيف لا!! وقد كان الرسول الأعظم، -صلى الله عليه وسلم- يدعو إلى التفاؤل، ويحث عليه؛ وهذا من حسن

---

(٥٦) سورة يوسف ، الآية ٨٧ .

(٥٧) سورة التوبة، الآية ٤٠ .

ظنّه بالله وتوكّله عليه، ولقد ذُكِرْت السيرة النبويّة بهذه المعاني؛ ومن الأحاديث الواردة في هذا الشأن ما يأتي:

١ــ عن أبي هُرَيْرَة -رَضِي الله عَنْهُ- أنّ رَسُولَ الله -صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ- قال: (إِذَا بَعَثْتمْ إِلَى رَسُولٍ فَاجْعَلُوهُ حَسَنُ الْوَجْهِ حَسَنُ الاسمِ)[٥٨] ؛ وفي هذا الحديثُ واضحٌ أنّه -صلى الله عليه وسلم- كان يُحبّ الفأل الحسن.

٢ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللّه صَلّى اللّه عَلَيْهِ وسلّمَ يَقُولُ: لَا طِيَرَةَ وَخَيْرُهَا الْفَأْلُ، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللّه وَمَا الْفَأْلُ؟ قَالَ: (الْكَلِمَةُ الصّالِحَةُ يَسْمَعُهَا أَحَدُكُمْ) [٥٩] .

٣ـ عَنْ أَنَسٍ -رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ-: (أَنّ رَسُولَ اللّه -صلى الله عليه وسلم- أَتَى خَيْبَرَ لَيْلاً وَكَانَ إِذَا أَتَى قَوْمًا بِلَيْلٍ لَمْ يُغِرْ بِهِمْ حَتّى يُصْبِحَ؛ فَلَمّا أَصْبَحَ خَرَجَتْ الْيَهُودُ بِمَسَاحِيهِمْ وَمَكَاتِلِهِمْ، فَلَمّا رَأَوْهُ قَالُوا: مُحَمّدٌ وَاللّهِ، مُحَمّدٌ وَالْخَمِيسُ ـيَعْنِي الْجَيْشَ- فَقَالَ النّبِيُّ -صلى الله عليه وسلم-: خَرِبَتْ خَيْبَرَ؛ إِنّا إِذَا نَزَلْنَا بِسَاحَةِ قَوْمٍ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ)[٦٠].

وتبين بجلاء كيف استبشر -صلى الله عليه وسلم- بأن مدينتهم ستخرب، ويصدق العلو والنصر للمسلمين.

كن متفائلاً بالخير دائماً تجده

مهما كانت حياتك معقدة،و أهدافك غير واضحة المعالم تيقن أن تفاؤلك بالخير هو الذي يجعلك تستمر، مهما تعثرت ضع في قلبك أن القادم أفضل؛ لأن التفاؤل

---

(٥٨) رواه البزار، رقم: (٨٦٣٠)، والطبراني في الأوسط، رقم: (٧٧٤٧) وصححه الألباني في صحيح الجامع(٤١٣) .

(٥٩) تقدم تخريجه صفحة ١٣ .

(٦٠) رواه البخاري، رقم: (٦١٠)، ورقم: (٢٩٤٥)، ومسلم، رقم: (١٣٦٥) .

هو سر استمرار الحياة، فلولا تفاؤلنا بأن أهدافنا ستتحقق لما أكملناها وسرنا في طريق تحقيقها فكن متفائلاً.

كن متفائلاً وأحسن الظن بالله، وكن واثقاً بالحليم الكريم الرحيم ، فلا يعقب الأحزان إلا "سعادة" ولا يعقب الحرمان إلا "عطاء". ﴿ سَيَجعَلُ ٱللَّهُ بَعدَ عُسرٍ يُسْراً﴾[الطلاق:٧][٦١].

المطلب الثالث مشروعية التفاؤل:

التفاؤل صفة إيجابية للنفس السوية، يترك أثره على تصرفات الإنسان ومواقفه، ويمنحه سلامة نفس وهمة عالية، ويزرع فيه الأمل، ويحفزه على الهمة والعمل، والتفاؤل ما هو إلا تعبير صادق عن الرؤية الطيبة والإيجابية للحياة .

التفاؤل من الصفات الحميدة التي كان يُحبُّها رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ، وهو من آثار حُسْنِ الظن بالله تعالى، والرجاءِ فيه، بتوقُّع الخير بما يسمعه من الكلم الطيب، ويُعتبر التفاؤل من الصفات الرئيسة لأي إنسان ينشد السعادة والنجاح.

وللتفاؤل قيمة اجتماعية مميزة؛ إذْ يرغب الناس في صحبة المتفائل، في الوقت الذي يَفِرُّون فيه من المتشائم، كما أنهم يميلون إلى سماع الأخبار والأحاديث المتفائلة أكثر من المتشائمة؛ بل كثيراً ما يُوصي الناس بعضهم البعض بالتحلي بصفة التفاؤل، والابتعاد عن التفكير التشاؤمي، وتعظم الحاجة إلى التفاؤل في أوقات الأزمات والشدائد، فأوْقِدْ جذوةَ التفاؤل، وعِشْ في أملٍ وعمل، ودعاء وصبر، ترتجي بعضَ الخير، وتحذر من الشر.

وإن سأل سائل: ما تعريف التفاؤل؟

فيقال له:

---

(٦١)سورة الطلاق ، الآية (٧) .

التفاؤل: هو توقُّع حصول الخير في المستقبل، وبضد ذلك المتشائم التي يتوقَّع حصول الشر.

ومن النصوص الدالة على مشروعية التفاؤل:

١ـ قوله صلى الله عليه وسلم: «لاَ طِيَرَةَ، وَخَيْرُهَا الْفَأْلُ». قَالُوا: وَمَا الْفَأْلُ؟ قَالَ: «الْكَلِمَةُ الصَّالِحَةُ يَسْمَعُهَا أَحَدُكُمْ[٦٢]» .

وفي رواية: «لاَ عَدْوَى وَلاَ طِيَرَةَ، وَيُعْجِبُنِي الْفَأْلُ الصَّالِحُ، الْكَلِمَةُ الْحَسَنَةُ» سبق تخريجه وفي رواية: «وَيُعْجِبُنِي الْفَأْلُ». قَالُوا: وَمَا الْفَأْلُ؟ قَالَ: «كَلِمَةٌ طَيِّبَةٌ[٦٣]»

قال ابن عباس - رضي الله عنهما: (الفرق بين الفأل والطِّيَرة: أنَّ الفأل من طريق حُسْنِ الظنِّ بالله، والطِّيَرة لا تكون إلاَّ في السوء فلذلك كُرِهَت)[٦٤].

٢ـ ثبت أن النبيَّ صلى الله عليه وسلم كان يُحبُّ أن يُستبشر بالخير، وكان ينهى قومَه عن كلمة (لو)؛ لأنها تفتح عمل الشيطان، فهي من أوسع أبواب التشاؤم، يتَّضح ذلك في توجيهه صلى الله عليه وسلم: «اسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَلاَ تَعْجَزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ، فَلاَ تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا. وَلَكِنْ قُلْ: قَدَرُ اللَّهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ؛ فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ[٦٥]» .

٣ـ كان منهج النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ التفاؤل، ويتجلَّى ذلك في تطبيقه لقول الله تعالى: ﴿ وَعَسى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ ﴾[٦٦] ؛ بل جعل النبيُّ ـ صلى الله

---

(٦٢) رواه البخاري، رقم: (٥٧٥٤)، ورقم: (٥٧٥٥)، ومسلم، رقم: (٢٢٢٣) .

(٦٣) رواه البخاري، رقم: (٥٧٧٦) .

(٦٤) فتح الباري، لابن حجر، (١٠/ ٢١٥).

(٦٥) رواه مسلم، رقم: (٢٦٦٤) .

(٦٦) سورة البقرة ، الآية ٢١٦ .

عليه وسلم ـ اليأسَ من الكبائر؛ فلمَّا سأله رجل عن الكبائر؟ أجابه بقوله: «الشِّرْكُ بِاللهِ، وَالإِيَاسُ مِنْ رَوْحِ اللهِ، وَالْقُنُوطُ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ[٦٧]»

اخي العزيز المتفائل إنَّ أعلى درجات التفاؤل هو التفاؤل في أوقات الأزمات، ولحظات الانكسارات، وساعات الشدائد، فتَتَوَقَّع الخيرَ وأنت لا ترى إلاَّ الشر، والسعادةَ وأنت لا ترى إلاَّ الحُزن، وتَتَوقَّع الشفاءَ عند المرض، والنجاحَ عن الفشل، والنصرَ عند الهزيمة، وتتوقَّع تفريجَ الكروب ودَفْعَ المصائب عند وقوعها، فالتفاؤل في هذه المواقف يُولِّد مشاعر الرضا والثقة والأمل.

والتفاؤل له أساسان:

الأول: حُسن الظن بالله تعالى؛ لأن التشاؤم سوء ظن بالله بغير سبب مُحقَّق. والمسلمُ مأمور بحسن الظن بالله تعالى على كل حال. والثاني: التوكل على الله تعالى: وهو من أسباب النجاح.

صفات المتفائل:

من صفاته أنه منبسط الأسارير، مشرق الوجه، واسع الصدر، مبتسم الثغر. قاموسه: الأمل، والنجاح، والسعادة، والانتصار، والارتقاء، والتعاون، والحب، والتوكل على الله تعالى، وحُسن الظن به.

ـ أعظم مصدرٍ للتفاؤل:

أعظم مصدر للتفاؤل هو القرآن الكريم، الذي يمنحنا التفاؤل والفرح والسرور، ويعطينا الأمل: فمن أسرف على نفسه بالمعاصي ووقع في فخ الشيطان؛ فعليه أن يتدبَّر قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لاَ تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ

---

(٦٧) رواه الطبراني في الكبير، رقم: (٨٧٨٣)، والبيهقي، رقم: (١٠١٩)، وقال الهيثمي في مجمع الفوائد: إسناده حسن مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، (٧/ ١١٦) .

اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾[٦٨]، وسيشعر بالفرحة والسرور، والبِشْر والحبور.

والذي خسر ماله؛ إذا قرأ الآيةَ الكريمة: ﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴾[٦٩]، كيف سيكون أثرها عليه؟

وهذا الذي يدعو اللهَ تعالى، ولم يتحقَّق دعاؤه، إذا قرأ قولَه تعالى: ﴿ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ ﴾[٧٠] فالخير قد يكون في الشر، والسعادة قد تكون في الشدة، والفرح قد يكون في الحُزن.

بل كل المصائب والشدائد إذا ما قُورنت برحمة الله وفضله هانت وتلاشت، قال الله تعالى: ﴿ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾[٧١]. فتلك البشرى للمتفائلين الواثقين برحمة الله.

وتأمَّل حالَه صلى الله عليه وسلم وهو في (قَرْنِ الثَّعَالِبِ) يمشي مهموماً بعد أنْ طردَه بنو عبدِ ياليلَ وآذوه ورجموه حتى أدموه، والملأ من قريش مصمِّمون على منع عودته إلى مكة، وقد جاءه مَلَك الجبال فقال: إنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عليهم الأَخْشَبَيْنِ، فأجابه صلى الله عليه وسلم - وكلُّه تفاؤل وأمل، وصبر، ورحمة، وبُعد نظر، واستشراف للمستقبل: «بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللهُ مِنْ أَصْلاَبِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ، لاَ يُشْرِكُ بِهِ شيئاً[٧٢]»

---

(٦٨) سورة الزمر، الآية ٥٣ .

(٦٩) سورة يونس، الآية ٥٨ .

(٧٠) سورة البقرة، الآية ٢١٦ .

(٧١) سورة البقرة، الآيات ١٥٦- ١٥٧ .

(٧٢) رواه البخاري، رقم: (٣٢٣١)، ومسلم، رقم: (١٧٩٥) .

أيها القراء الكرام.. ولكي يَصِلَ بنا التفاؤل إلى شاطئ السعادة والنجاح: لابد وأن يقترن بالجدية وبالعمل الدؤوب، وبمزيد من السعي والفاعلية، وإلاَّ كان هذا التفاؤل مُجرَّد أمنياتٍ وأحلامٍ وضربٍ من الأوهام، فالإغراق في التفاؤل بدون عمل؛ يُعتبر هروباً من الواقع، وقراءةً خاطئة

للتفاؤل فوائدُ كثيرةٌ ومتنوعة، لو علمناها لزال عنا كثير من الأحزان والهموم والتشاؤم، ومن أهم فوائد التفاؤل: أنه يجعلنا متوكِّلين على الله تعالى، ونُحْسِن الظن به سبحانه، ويبعث في نفوسنا الرجاء، ويقوِّي عزائمنا، ويُجدِّد فينا الأمل، ويدفعنا لتجاوز المِحَن، ويُعوِّدنا الاستفادة من المحنة لتنقلب إلى منحة، وتتحول المصيبة إلى غنيمة، ولا ننسى أنَّ التفاؤل شعبةٌ من شعب الإيمان، فالمؤمن يفرح بفضل ربه وبرحمته، ولو لم يفعل ذلك ويئس؛ فإنَّ إيمانه سينقص ولا ريب.

ويمنحنا التفاؤل القدرةَ على مواجهة المواقف الصعبة، واتخاذ القرار المناسب، ويجعلنا أكثرَ مرونةً في علاقاتنا الاجتماعية، وأكثرَ قدرةً على التعايش مع الناس؛ لذا ترى الناسَ يُحبون المتفائلين ويخالطونهم، وينفرون من المتشائمين.

ومن الفوائد العظيمة للتفاؤل: أنه يمنحنا السعادة، سواء البيت، أو العمل، أو بين الأصدقاء والأحبة؛ بل إن الدراسات العلمية المعاصرة تربط بين التفاؤل، وبين الصحة النفسية والعقلية والبدنية، ومن هنا كان التفاؤل من أعظم أسلحة الإنسان التي يتسلَّح بها من جميع الأمراض: النفسية والبدنية، والعقلية، والقلبية.

والمتفائلون سرعان ما يبرؤون من أمراضهم؛ مقارنةً بغيرهم من المتشائمين، ويقال: إنَّ التفاؤل مريح لعمل الدماغ: فالطاقة المبذولة من الدماغ -لحظة التفاؤل - خلال عشر ساعات؛ أقل بكثير من الطاقة المبذولة - لحظة التشاؤم - لمدة خمس دقائق.

يجب أن نربي أنفسنا على التفاؤل في أصعب الظروف، وأقسى الأحوال، فهو منهج لا يستطيعه إلاَّ أفذاذ الرجال.

فالمتفائلون هم الذين يصنعون التاريخ، ويسودون الأمم، ويقودون الأجيال.

أمَّا اليائسون والمتشائمون، فلن يستطيعوا أن يبنوا حياةً سوية، وسعادةً حقيقية في داخل ذواتهم، فكيف يصنعونها لغيرهم، أو يُبَشِّرون بها سواهم؟ وفاقد الشيء لا يعطيه للغير.

الثاني : التوكل على الله تعالى.

والتوكل: هو اعتماد القلب على الله تعالى في استجلاب المصالح ودفع المضار، **ومعناه:** تفويض الأمر لله ـ سبحانه وتعالى ـ ، والاستعانة به في جميع الأمور، وربط الأشياء بمشيئته جل وعلا، وهو: صفة إيمانية، ويقين، وثقة.

والتوكل مقرون بالسعي والحركة، وعند مبادئ الأمور، وفي سائر الأحوال، ولا يتحقق معناه بغير عمل، فمن أراد الرزق أو النجاح، بذل الجهد متوكلًا على الله، وترك العمل تواكل وهو مذموم، قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾[٧٣] .

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا ﴾[٧٤]

عقد فصل من أخبار المتشائمين من أخبار المتفائلين.

---

(٧٣) سورة الطلاق ، الآية ٣ .

(٧٤) سورة الفرقان ، الآية ٥٨ .

المطلب الثاني: إشاعة التفاؤل في وقت الأزمات والشدائد والمعضلات.

يجب علينا النظر والتأمل إلى كتاب الله في كل أمورنا، ونأخذ منه الدروس والعبر ونستفيد من حوادث الزمان وسنن الله في الأفراد والشعوب والمجتمعات وكيف كان الأمل بالله والثقة به والتفاؤل سببًا للنجاة والتغيير والتحول إلى حياة أفضل وكيف تحققت الأمنيات واستجيبت الرغبات من رب الأرض والسموات..

- لما جاءت إبراهيم عليه السلام البشرى بالولد في سنٍ كبير أبدى تعجبه فقال: ﴿قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَى أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴾[٧٥] فماذا كان جوابهم: ﴿ قالوا بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلا تَكُنْ مِنْ الْقَانِطِينَ قال وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلاَّ الضَّالُّونَ ﴾[٧٦] .

- ويعقوب عليه السلام وقد فقد ولديه وبصره أربعين عامًا، وما زال أمله بالله أن يردهما إليه وأن يجمعهما به فكان يوصي أبناءه قائلًا لهم: ﴿ يَا بَنِيَّ اذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلاَ تَيْأَسُواْ مِن رَّوْحِ اللّهِ إِنَّهُ لاَ يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾[٧٧] وحقق الله أمل يعقوب ورجاءه، وَرَدَّ عليه بصره وولديه.. لم يتطرق اليأس إلى قلبه لحظة واحدة لأن قلبه موصول بالله متوكلٌ عليه واثقٌ من فرجه وقدرته ورحمته.

---

(٧٥) سورة الحجر، الآية ٥٤ .

(٧٦) سورة الحجر، الآيات ٥٥- ٥٦ .

(٧٧) سورة يوسف، الآية ٨٧ .

وهذا موسى ـ عليه السلام ـ وقومه وقد تبعهم فرعون وجنوده حتى إذا وصلوا إلى شاطئ البحر وفرعون من خلفهم قال اليائسون والمتشائمون ﴿ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴾[٧٨] ، فقال لهم نبي الله موسى ـ عليه السلام ـ في ثقة وتفاؤل ويقين: ﴿ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴾[٧٩] فأمره الله سبحانه أن يضرب بعصاه البحر، فانشق نصفين وكان كل فرق كالطود العظيم ومشى مع قومه في طريقٍ يبساً.

إن الأمور وإن تعقدت، فيما يبدوا للناس والخطوب وإن اشتدت، والعسر وإن زاد، وإن المصائب وإن توالت والفتن وإن تعددت وكثرت، فإن المسلم ينبغي له أن يتفاءل بالخير والفرج واليسر بعد العسر ،لأنه يدرك أن كل شيء في هذا الكون لا يجري إلا بإرادة الملك العلام ذي الجلال والإكرام .

إن علينا أن نتفاءل بالخير مهما كانت الظروف التي تمر بها مجتمعاتنا وأوطاننا وأمتنا ،فسواد الليل يأتي بعده ضياء الصباح، وإن البرق والرعد مهما كانت شدته وخاف الناس من سطوته، فإنه يأتي محملًا بالأمطار والخير، وعلى العبد أن يحسن الظن بربه سبحانه فتلك عبادة الأوابين، وعليه كذلك أن يحسن العمل ويتقرب إليه بالصالحات، فهو سبحانه أرحم به من نفسه، وهو القادر على كشف الضر ودفع البلاء وتبديل الأحوال، وما من شيء يقع أو يحدث في الأرض أو في السماء إلا بأمره سبحانه وتعالى القائل ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾[٨٠] .

إذا اشتملت على اليأسِ القلوبُ ... وضاق لما بهِ الصدرُ الرحيبُ
أَوْطَنَتِ الْمَكَارِهُ وَاطْمَأَنَّتْ ... وَأَرْسَتْ فِي أَمَاكِنِهَا الْخُطُوبُ

---

(٧٨) سورة الشعراء ، الآية ٦١ .

(٧٩) سورة الشعراء ، الآية ٦٢ .

(٨٠) سورة الأنعام ، ٥٩ .

ولم تـر لانكشافِ الضرِ وجها ولا أغنـى بحـيلتـهِ الـأريـبُ
أتــاك على قـنـوطٍ منك غوثٌ يمــنُ به اللطيــفُ المستجيــبُ
وكـل الحــادثاتِ وإن تنــاهت فـموصـولٌ بها الفــرجِ القريب

أخي القارئ الكريم - فما أحوج الناس اليوم إلى اتباع سيرة نبينا ـ صلى الله عليه وسلم ـ : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُم فِي رسولِ اللهِ أُسوةٌ حَسنةٌ لمَنْ كَانَ يرجو اللهَ واليومَ الآخرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثيراً ﴾[٨١] .

إن واقع أمة الإسلام اليوم، وما هي فيه من محن ورزايا، ليستدعي إحياء صفة التفاؤل، تلك الصفة التي تعيد الهمة لأصحابها، وتضيء الطريق لأهلها، والله الموفق.

كن بَلْسَماً

كن بَلْسَماً إنْ صارَ دهرُك أرقماً وحلاوةً إنْ صـارَ غيرُكَ عَلْقَما
إنّ الحياةَ حَبـَـتْكَ كُـلّ كـنوزِها لا تَبْخلَنّ على الحياةِ ببعضِ ما
أحسنْ وإنْ لمْ تُجـــزَ حتى بالثنا أيّ الجزاءِ الغيثُ يبغي إن هَمَى؟
مَنْ ذا يُكـافئُ زهرةً فـوّاحـــةً أو مـنْ يُثـيبُ البلبلَ المـترنِّمـا؟

قصة عنوانها: التفاؤل سرّ النجاح على الرغم من صعوبة المواد الدراسية:

التفاؤل سرّ النجاح على الرغم من صعوبة المواد الدراسية، لم يكن لدى محمد أدنى شك من أنه سينجح ويحقق ما يريد، فقد كان يسمع كلمات التشاؤم من أصدقائه ويشعر بالانزعاج الكبير؛ لأنهم يتدفقون بالطاقة السلبية، ويقولون كلماتٍ كثيرةٍ لا تليق بالنفسية المتفائلة، لهذا لم يستمع محمد لهم، ولم يركن إلى الكسل والخمول واليأس الذي كان يسكن في نفوس الجميع، لأنه يعلم جيدًا بينه وبين نفسه أن التفاؤل هو سبيل النجاح، وهو سنة الأنبياء الكرام، التفاؤل نهج

---

(٨١) سورة الأحزاب، الآية ٢١.

الأشخاص الناجحين الذين يظنون بالله كل الخير، ولا يتوقعون إلا الخير، ويحتفظون بأملٍ دائمٍ يسكن نفوسهم، ولا يحاولون أبدًا أن يبثوا التشاؤم في الآخرين أو يكثروا من الشكوى التي لا يوجد أي فائدة منها، وهذا كله منح العبرة لمحمد كي لا يخاف من الامتحانات وصعوبتها، وفي أول يومٍ من الامتحانات دخل إلى قاعة الامتحان بعزيمة وأمل وتفاؤل وثبات، وصمّم على أن يضع كل ما في وسعه كي ينجح وظلّ متفائلًا بأنّه سيكون من المتفوقين.

بعد ظهور النتائج، كانت نتيجة محمد هي النتيجة الأفضل على الإطلاق، وذهبت كل سخرية الزملاء من تفاؤله هباءً منثورًا لأنّه تفوق عليهم، وفي الوقت الذي حافظ فيه على تفاؤله ورباطة جأشه وتوقعه للأفضل، حصل على ما توقع وهو التفوق والنجاح، وحصل زملاؤه على ما توقعوا وهو الفشل والسقوط، فالإنسان يستطيع أن يصنع الأمل والتفاؤل لنفسه بأن يحسن ظنه بربه.

التفاؤل يصنع الحياة

قصة أخرى بعنوان: التفاؤل من الإنسان والشفاء من الرحمَن.

في أحد المدن كان يعيش شاب مع أسرته بسعادة كبيرة، وكان يتبوأ مركزًا مرموقًا ويتطور في عمله دائمًا؛ وكان مقبلًا على الحياة ولديه طموحات وآمال كثيرة وكان يملك روح التفاؤل والمرح لهذا يحتفظ دومًا بابتسامة جميلة يُحبّها الجميع. في يوم شعر الشاب ببعض الأعراض المتعبة التي أجبرته على أخذ إجازة من العمل وظن الشاب أن هذه الأعراض ستزول تلقائيًا وأن ما يشعر به هو نزلة برد أو إنفلونزا، لكن المرض ظل يشتد عليه حتى اضطر للذهاب إلى الطبيب، ومجرد أن شرح الأعراض للطبيب شك الطبيب بمرض ما لكنه لم يجزم بإصابة الشاب بالمرض إلا بعد أن طلب منه إجراء بعض الفحوصات، عندما ذهب الشاب إلى الطبيب وعرض عليه نتيجة الفحوصات كان الخبر الصاعق بانتظاره، فالشاب مصاب

بسرطان الدم وعليه أن يبدأ بالعلاج الكيميائي فورًا، وأخبره الطبيب أنه في مرحلة متقدمة من المرض وربما لن يكون أمامه الكثير من الوقت ليعيش. على الرغم ممّا قاله الطبيب للشاب؛ وعلى الرغم من نظرات الشفقة التي كان ينظر بها الناس له وهم يتوقعون موته في أية لحظة، ظل محتفظًا بروح التفاؤل وقرّر أن يخضع للعلاج ويُحاول به مهما كان الظرف صعبًا؛ لأنّ إرادة الله فوق كل شيء؛ وفعلاً بعد مرور عدة أشهر من العلاج شُفي الشاب تمامًا وتحقق تفاؤله بالشفاء.

"والعبرة من هذه القصة هي جملة واحدة" تفاءل بما يريد سيتحقق"

التفاؤل سر السعادة والنجاح والرزق:

التفاؤل سرّ السعادة في إحدى المزارع الجميلة كان يعيش فلاح نشيط يزرع أرضه في بداية كل موسم؛ ويُحافظ عليها من كلّ شيء؛ ويرش الزرع بالمبيدات الحشرية ويحميها من القوارض واللصوص، في أحد المواسم تأخر المطر كثيرًا مما دعا جميع المزارعين الذين يملكون مزرعة مجاورة الفلاح النشيط أن يمتنعوا عن زراعة أرضهم؛ لأنهم كانوا متأكدين من أن الزرع لن ينمو وسيموت كله ولن يأتي المطر، لكنّ الفلاح النشيط حرث أرضه وبذرها وظلّ متفائلًا بأن المطر لا بدّ سيهطل قريبًا وأنّ الزرع سينمو وسيقطف ثماره، ولن يخسر أبدًا وستُصبح أرضه خضراء، ظلّ الفلاح يدعو الله أن يهطل المطر أن لا يذهب تعبه سدى وكان على يقين بأنّ تفاؤله بقدوم المطر لن يخيب؛ وفي غمرة كل هذا استيقظ الفلاح النشيط على أجمل صوت كان ينتظره بفارغ الصبر وهو صوت المطر؛ فعلًا نزل المطر أخيرًا وسقى الزرع واخضرّت الأرض وامتلأت بالثمار والزهور واللون الأخضر الجميل؛ وكان التفاؤل صادقًا جدًا، لقد ندم جميع الفلاحين اللذين لم يزرعوا أرضهم وتعلموا من الفلاح النشيط أن يتفاءلوا دومًا مهما كانت الظروف.

قُــل لــلذي مــلأَ التشــاؤم قلبــهُ ومضى يضيقُ حولنا الآفاقا
سرُّ السعادةِ حُسن ظنِّك بالذي خلق الحياةَ وقسّم الأرزاقـا

جاء هذا البحث محاولة لإيضاح منهج القرآن الكريم في طرح موضوع التفاؤل، وتلمسًا لآياته التي تبعث في النفوس المكلومة، والقلوب المحبطة باعث الأمل، الذي يحيل الأتراح إلى أفراح، ويجلي حكم الله في كل نازلة بما يطمئن قلب المؤمن ويجعله مسلمًا لأمر الله.

التفاؤل في زمن اليأس:

إن التفاؤل روح تسري في الروح؛ فتجعل الفرد قادراً على مواجهة الحياة وتوظيفها، وتحسين الأداء، ومواجهة الصعاب، والناس يتفاوتون في ملكاتهم وقدراتهم، ولكنَّ الجميع قادرون على صناعة التفاؤل، فالجبرية المطلقة انتحار، واعتقاد المرء أنه ريشة في مهب الريح، أو رهن للطبائع والأمزجة التي رُكّب عليها أو ورثها عن والديه، أو تلقاها في بيئته الأولى، وأنه ليس أمامه إلا الامتثال، كل ذلك يعتبر إهداراً لكرامته الإنسانية، فلا بد من قرار بالتفاؤل، فالتفاؤل قرار ينبثق من داخل النفس هذا أولاً.

ثانياً: المظهر والشكل الموحي بالثقة في المشي والحركة، والالتفات والقيام، والقعود والنظر، والكلام والمشاركة مهم؛ فلا تتوهم أن الناس ينظرون إليك بازدراء، واثق الخطوة يمشي ملكاً، وحتى تلك العيوب أو الأخطاء في مظهرك وشكلك وحركتك عليك ألاّ تقف عندها طويلاً، ولا تعرْها اهتماماً زائداً.

ثالثاً: تدرّب على الابتسامة، وكن جاهزاً لتضحك باعتدال، فتبسّمك في وجه أخيك صدقة، والبسمة تصنع في قلبك وحياتك الكثير خصوصاً إذا كانت

ابتسامة حقيقية يتوافق فيها القلب مع حركة الوجه والشفتين، وليست ابتسامة ميكانيكية.

إن النكت الطريفة في حياة الناس حقيقة قائمة يصنعونها أو يروونها، فالوقورون والمشاهير، والعلماء والساسة، ومن يحافظون على مهابتهم أمام الناس يتبادلون الطرائف والظرف والنكت في مجالسهم الخاصة وأحاديثهم وبيوتهم، وليالي سهرهم وسمرهم، وأحياناً النكت الثقيلة، وقد كان الشافعي – رضي الله عنه – يقول: "ليس من المروءة الوقار في البستان".

ولا شك أن لكل شيء قدراً، فليس المقصود أن يتحول الإنسان إلى كائن ضاحك، لا هم له إلا الضحك، ولا بد من وضع الأمر في نصابه، ولكن ينبغي أيضاً أن نتذكر أن الإنسان هو المخلوق الوحيد الذي جُبل على الضحك؛ فهي إحدى خصائصه، وعليه ألّا يهدره[٨٢].

ونحن نرى ما نرى من الابتلاءات والشدائد التي تمر به أمة الإسلام من قتل وتشريد، وبعد عن الإسلام وهجر له، وشماتة بالمسلمين، وما رافق ذلك من المعاصي والذنوب، وبالتالي الفتن والمصائب هنا وهناك؛ لابد أيضاً أن نفتح أعيينا على الجوانب المشرقة التي تحققت للأمة في العقدين الأخيرين على مستوى الشعوب على الأقل؟! فمن ذا الذي ينكر هذا الخير العميم الذي انتشر في بلاد الإسلام؟

ومن الذي يكابر في هذه الأفواج الكبيرة العائدة إلى الله، أو الداخلة في دين الله – تعالى-؟!

كم هم حفظة القرآن؟

كم هم المشتغلون بحفظ السنة؟

---

(٨٢) موقع الإسلام اليوم من مقال ل د. سلمان بن فهد العودة.

ألم تر عينك أفواج الشباب التي تعتكف في الحرمين في العشر الأواخر من رمضان؟

ألم تسمع عن أخبار المجاهدين الذين رووا أرض الجهاد بدمائهم في فلسطين، وأفغانستان، والشيشان، وكشمير، والعراق وغيرها من البلاد؟!

متى كان الشباب يعلنون أن أغلى أمانيهم أن يموت أحدهم شهيداً؟!

كم هن النساء اللاتي عدن إلى الحجاب وهن في وسط الفتن، رغم قوة الصوارف والمغريات؟!

إن هذه مكاسب كبرى يجب أن تكون رافعةً لهمتنا، ومبشرةً لنا بأن عمل من سبقنا من المصلحين – رغم ضعف إمكانياتهم، وقلة اتصالاتهم – أعطى ثماراً يانعة.

إن بشائر النصر تلوح في الأفق، وهي – بمقياس الزمن الطويل – ليست ببعيدة – بإذن الله، ولكننا – أحياناً – نستعجل، وربنا لا يعجل لعجلتنا.

يقال هذا، وتُذكر هذه البشائر؛ ونحن جميعاً نعلم أن في الأمة جوانب كثيرة تحتاج إلى إصلاح، نعم لكن لماذا نستمر في جلد ذواتنا، وتحطيم ما شُيِّد من جهود كبيرة، وكأننا لا نملك أي بصيص من الأمل؟! قلب نظرك أخي في صفحات التاريخ فستجد أن الأمة مر بها أنواع من الفتن والابتلاءات أضعفتها، وأنهكتها فترة من الزمن، ولكنها عادت بعد ذلك قويةً، وحسبنا هنا أن نشير إلى إحدى الابتلاءات الكبار التي تعرضت لها الأمة وهي غزو التتار، ونسوق كلام عالمين أرّخا ورصدا مشاعر الأمة في تلك الفتنة العمياء الصماء، أحدهما أدرك أولها، والآخر أدرك آخرها.

أما الذي أدرك أولها فهو العلامة ابن الأثير في كتابه "الكامل"حيث يقول في أحداث سنة ٦١٧هـ:

"لقد بقيت عدة سنين معرضاً عن ذكر هذه الحادثة استعظاماً لها، كارهاً لذكرها، فأنا أقدم رجلاً وأؤخر أخرى، فمن الذي يسهل عليه نعي الإسلام والمسلمين؟ ومن الذي يهون عليه ذكر ذلك؟

فيا ليت أمي لم تلدني، و يا ليتني مت قبل حدوثها وكنت نسياً منسياً، إلا أني حثني جماعة من الأصدقاء على تسطيرها، وأنا متوقف، ثم رأيت أن ترك ذلك لا يجدي نفعاً، فنقول: هذا الفصل يتضمن ذكر الحادثة العظمى، والمصيبة الكبرى التي عقمت الأيام عن مثلها، عمت الخلائق وخصت المسلمين، فلو قال قائل: إن العالم مذ خلق الله – سبحانه وتعالى آدم وإلى الآن لم يبتلوا بمثلها لكان صادقاً، فإن التواريخ لم تتضمن ما يقاربها ولا ما يدانيها.

ومن أعظم ما يذكرون من الحوادث ما فعله بختنصر ببني إسرائيل من القتل وتخريب البيت المقدس وما البيت المقدس بالنسبة إلى ما خرب هؤلاء الملاعين من البلاد التي كل مدينة منها أضعاف البيت المقدس، وما بنو إسرائيل بالنسبة إلى من قتلوا فإن أهل مدينة واحدة ممن قتلوا أكثر من بني إسرائيل، ولعل الخلق لا يرون مثل هذه الحادثة إلى أن ينقرض العالم، وتفنى الدنيا إلا يأجوج ومأجوج، وأما الدجال فإنه يبقي على من اتبعه ويهلك من خالفه، وهؤلاء لم يبقوا على أحد بل قتلوا النساء والرجال والأطفال، وشقوا بطون الحوامل، وقتلوا الأجنة فإنا لله وإنا إليه راجعون، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم"[٨٣].

وهذا الوصف من ابن الأثير وهو بعد لم يدرك تلك الفاجعة العظمى والنكبة الكبرى لسقوط بغداد، ونهاية الخلافة الإسلامية الكبرى، يقول ذلك وهو لم يعلم بتجاوز التتار بلاد العراق إلى بلاد الشام، وما تبع ذلك من مآس ومصائب، والتي وصفها إمام آخر وقف على أحداثها يصفها ويشخص فيها أحوال الناس، ويصور

---

(٨٣) الكامل في التاريخ، (١٠/ ٣٣٣).

مشاعرهم ومواقفهم بدقه وخبرة؛ وحين يقول شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله: "فينبغي للعقلاء أن يعتبروا بسنة الله وأيامه في عباده ودأب الأمم وعاداتهم، لاسيما في مثل هذه الحادثة العظيمة التي طبق الخافقين خبرُها، واستطار في جميع ديار الإسلام شررها، وأطلع فيها النفاق ناصية رأسه، وكشر فيها الكفر عن أنيابه وأضراسه، وكاد فيها عمود الكتاب أن يجتث ويخترم، وحبلُ الإيمان أن ينقطع وينصرم، ودارُ المؤمنين أن يحل بها البوار، وأن يزول هذا الدين باستيلاء الفجرة التتار، وظن المنافقون والذين في قلوبهم مرض أنْ ما وعدهم الله، ورسوله إلا غرورا، وأن لن ينقلب حزب الله ورسوله إلى أهليهم أبداً، ونزلت فتنة تركت الحليم فيها حيران، وأنزلت الرجل الصاحي منزلة السكران، وتركت اللبيب لكثرة الوساوس ليس بالنائم ولا اليقظان، وتناكرت فيها قلوب المعارف والإخوان حتى بقي للرجل بنفسه شغل عن أن يغيث اللهفان، وميز الله فيها أهل البصائر والإيقان من الذين في قلوبهم مرض أو نفاق أو ضعف إيمان، ورفع بها أقواماً إلى الدرجات العالية، كما خفض بها أقواماً إلى المنازل الهاوية، وكفّر بها عن آخرين أعمالهم الخاطئة، وحدث من أنواع البلوى ما جعلها قيامه مختصرة من القيامة الكبرى... وفرّ الرجل فيها من أخيه، وأمه وأبيه، إذْ كان لكل امرئ منهم شأن يغنيه، وكان من الناس من أقصى همته النجاة بنفسه لا يلوي على ماله ولا ولده ولا عرسِه، وبليت فيها السرائر، وظهرت الخبايا التي كانت تكنها الضمائر، وتبين أن البهرج من الأقوال والأعمال يخون صاحبه أحوج ما كان إليه في المآل[٨٤]".

ثم لا بد أن نعلم أن من حكم الابتلاء: تمحيص الصفوف، تكفير الذنوب، وهذا أمرٌ بين، فكم هم الدخلاء على الصف الإسلامي الذين لا يعرفهم إلا الندرة

---

(٨٤) مجموع الفتاوى، (٢٨/ ٤٢٧) .

من الناس، فإذا جاءت مثل هذه المحن والابتلاءات ميّزت الطيب من الخبيث، وشرح ذلك يطول جداً.

هذا دين الله الذي تكفّل بنصره، وأمرنا بأن نسعى لذلك، ولم يكلفنا أن نحصد ثمرة النصر، بل هذه لم تطلب من الأنبياء والرسل – عليهم الصلاة والسلام.

تأمل أخي.. لقد مات النبي – صلى الله عليه وسلم – وهو لم يفتتح من بلاد الإسلام القائمة اليوم إلا ما يشكل الربع تقريباً أو أقل، ولكن تابع أصحابه والتابعون لهم بإحسان الفتوحات، فوصلوا إلى حدود الصين شرقاً، وإلى جنوب فرنسا غرباً، وكل ذلك محسوب ومضاف إلى رصيده.

فالواجب علينا أن نتبنى مشروعات دعوية تقوم على العمل المؤسسي – إن أمكن – لأن ذلك أدعى لاستمرارها وبقائها، إذ لن يؤثر عليها موت شخص أو سجنه، بل هي تسير وفق خطة وسياسة واضحة يتلقاها اللاحق عن السابق.

وإني لأعجب من مسلم يقرأ قوله – تعالى-: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ* إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ* وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [٨٥]، كيف يدب اليأس إلى قلبه؟

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية فيما نقله عنه ابن عبد الهادي في اختيارات ابن تيمية: وهذا يشكل على بعض الناس، فيقول: الرسل قد قتل بعضهم فكيف يكونون منصورين؟ فيقال: القتل إذا كان على وجهٍ فيه عزة الدين وأهله كان هذا من كمال النصر، فإن الموت لا بد منه، فإذا مات ميتةً يكون بها سعيداً في الآخرة فهذا غاية النصر، كما كان حال نبينا – صلى الله عليه وسلم -، فإنه استشهد طائفة من أصحابه فصاروا إلى أعظم كرامة، ومن بقي كان عزيزاً منصوراً، وكذلك كان الصحابة يقولون للكفار: أخبرنا نبينا أنّ من قتل منا دخل

---

(٨٥) سورة الصافات ،، الآيات ١٧١ -١٧٣ .

الجنة، ومن عاش منّا ملك رقابكم، فالمقتول إذا قتل على هذا الوجه كان ذلك من تمام نصره، ونَصْرِ أصحابه، ومن هذا الباب حديث الغلام الذي رواه مسلمٌ لما اتبع دين الراهب، وترك دين الساحر، وأرادوا قتله مرة بعد مرة فلم يستطيعوا، حتى أعلمهم بأنه يقتل إذا قال الملك: بسم الله رب الغلام، ثم يرميه، ولما قتل آمن الناس كلهم، فكان هذا نصراً لدينه"[٨٦].

وفي ظل هذه الفتن، وتتابع هذه المصائب؛ يجب ألا تشغلنا هذه الفتن عن عباداتنا الخاصة بيننا وبين ربنا، فالضرورة تتأكد بوجوب العناية بإصلاح القلب، وهذا يتحقق بأمور منها:

أ – التعلق بالله – عز وجل – دائماً، واللجوء إليه، وكثرة الإلحاح عليه بالدعاء، فإن الله – تعالى- نعى على قومٍ أصيبوا بالضراء، فلم يكن ذلك سبباً في تضرعهم قال – تعالى-: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلنَآ إِلَى أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاء وَالضَّرَّاء لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ* فَلَوْلا إِذْ جَاءهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾[٨٧]

فما أحوجنا إلى اللجوء والتضرع إلى ربنا تبارك وتعالى في كشف ضرنا، وإصلاح أحوالنا، والاستغاثة به في طلب النصر، وكبت العدو وخذلانه.

ب- لا بد لكل واحدٍ منا من عبادة يلازمها، ويكثر منها، مع العناية ببقية العبادات، فإن للعبادة أثراً عظيماً في سكون القلب، واستقرار النفس.

وسبب ذلك – والله أعلم – أنه في زمن الفتن يخف أمر الدين، ويقل الاعتناء بأمره، ولا يبقى لأحد اعتناء إلا بأمر دنياه، ومعاشه، ونفسه وما يتعلق به.

---

(٨٦) اختيارات ابن تيمية، (ص٧٠-٧١) .

(٨٧) سورة الانعام ، الآيات ٤٢-٤٣ .

فمن فتح عليه في نوافل الصلوات، أو في الصيام، أو في الصدقة، أو في قراءة القرآن، أو في غيرها من العبادات؛ فليلزمها، وليكثر منها، فإنها من وسائل الثبات بإذن الله – تعالى-.

ج – الإقبال على قراءة القرآن بتدبر، وقراءته قراءة المستشفى به، الطالب للهدى منه، المحرك لقلبه به، فإن ذلك من أعظم الأدوية وأنفعها للقلب خصوصاً في هذه الأزمنة التي انفرط عقد الفتن ولا حول ولا قوة إلا بالله[٨٨] .

نسأل الله تعالى أن يعلي شأن هذه الأمة، وأن ينصر دينه إنه ولي ذلك والقادر عليه

النفس التواقة دائماً تتوق إلى الأفضل.

أخي الكريم: ثق بالله وتوكل عليه واجعله عند ظنك الحسن، من سيرة خلفاء المسلمين وحكامهم الخليفة الراشد الأموي عمر بن عبد العزيز، مما يروى عنه من مأثور القول أنه قال: إن لي نفساً تواقة، تاقت إلى فاطمة وتزوجتها، وتاقت إلى الإمارة فوليتها ..وتاقت نفسي إلى الخلافة فأدركتها .. وقد تاقت إلى الجنة فأرجوا إن أدركها إن شاء الله[٨٩].

نفس الإنسان العظيم الكبير دائماً تطلب معالي الأمور، والإنسان الذي يطلب معالي الأمور لا يمكن أن يجد أمراً أعلى من أن يحقق ما يريده الله تبارك وتعالى، يقول: تاقت نفسي إلى الإمارة فنلت الإمارة، فوجدتها ليست بالشيء الذي يملأ نفسي، ثم تاقت إلى الخلافة فنلتها، ولكن لم أجد الخلافة تملأ نفسي، فتاقت النفس إلى جنة الله تبارك وتعالى.

---

(٨٨) مستفاد بتصرف من كتاب: "الأمة بين سنتي الابتلاء والعمل" (ج ١ / ص ٦٥).

(٨٩) رواه أبو نعيم في الحلية، (٥/ ٣٣١)، وينظر: إحياء علوم الدين، (٣/ ٣٥٥)، والطبقات الكبرى ط العلمية (٥/ ٣١٣)، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، (٢١/ ٤٤٥)، و سير أعلام النبلاء ط الرسالة، (٥/ ١٣٤) .

المال لا يغني النفس، والمتاع لا يغني النفس، قال صلى الله عليه وسلم: (لو كان لابن آدم واديان من ذهب لتمنى ثالثاً)[٩٠]

عندما يكون الإنسان فقيراً فيحصل على بيت، إذا به يريد بيتاً أحسن منه، وعندما يكون غنياً ويشتري قصراً، إذا به يريد قصراً أحسن منه، عندما يملك الإنسان الشيء من أمور الدنيا بعد ذلك لا يحترمه، لأن نفس الإنسان دائماً تريد الأعلى، ولذلك أدبنا القرآن الكريم بأدبين:

الأدب الأول: فيما يتعلق في أمور الدنيا، قال تعالى: ﴿وَلا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنيَا﴾[٩١].

أخي الكريم: عندما تنظر في أمور الدنيا إلى من هو أقل منك صحة وعافية ومالاً، فعند ذلك تحمد الله على نعمه العظيمة، وآلائه الجسيمة.

أما فيما يتعلق بأمر الآخرة فعليك النظر إلى الغني، الذي ينفق ماله في سبيل الله، وإلى المجاهد، الذي يبذل نفسه في سبيل الله، وإلى العالم، الذي يبذل وقته في سبيل الله، وتطَّلَع دائماً لأن تكون واحداً من هؤلاء؛ ولذلك يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: (لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله مالاً فهو يسلطه على هلكته في الحق، ورجل آتاه الله علماً فهو يقضي به بين الناس) [٩٢].

هذان الاثنان يتطلع إليهما الذي يحسن النية، فيتمنى أن يكون له مثل ذلك الغني المنفق في سبيل الله، ومثل ذلك العالم الذي يعلم الخلق وهو صادق في نيته، ولكنه لا يستطيع أن يحقق ذلك، له مثل أجرهم، كما أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم أن خير الناس من آتاه الله علماً، فهو يسلطه على هلكته في الحق، ومن آتاه

---

(٩٠) رواه البخاري (٦٤٣٩)، ومسلم (١٠٤٨).

(٩١) سورة طه، الآية ١٣١.

(٩٢) رواه البخاري، رقم: (١٤٠٩)، ومسلم، ورقم: (٨١٦).

مالاً، ثم الذي يتمنى مثل ما لهذين فإنه ينال مثل أجرهما، (فهما في الأجر سواء)[٩٣] كما يقول الرسول صلى الله عليه وسلم.

والذي لا يؤتى مالاً ولا يؤتى في هذه الدنيا ما يتصرف فيه، ثم يتمنى أن يكون له مثل مال فلان المجرم السيئ من المال، يفسد كفساده، فهما في الوزر سواء، هذا لم ينل من الدنيا شيئاً يحقق به ما يطلبه من أهواء وشهوات، ثم ينال في الآخرة مثل إثم هذا الإنسان الآثم الفاجر.

ففي مجال الدنيا ينبغي للمسلم ألا يشغل نفسه كثيراً، وألا ينظر إلى من هو أعلى منه، وفي مجال الآخرة ينبغي أن تتطلع همته إلى المنازل العالية، ﴿ إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ، أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِهِ، كُلُّ دَرَجَتَيْنِ مَا بَيْنَهُمَا كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ ﴾[٩٤].

إنّي صنعتُ من التّفــاؤلِ مَركباً ... وَشددتُ من عزمِ اليَقينِ شراعَه.
أبْحرتُ فيــه علــى الإلهِ توكُّلي ... مَـا خـابَ من لله مــدّ ذراعَــه.

السيدة آسية بنت مزاحم رضي الله عنها:

امرأة فرعون.. نموذج للتفاؤل وقدوة في الأمل والصبر والتضحية والدعوة واليقين:

جاء في كتاب الله تعالى ﴿قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ لا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا ﴾[٩٥] وكان هذا على لسان آسيا، ففي الوقت الذي التقط فيه آل فرعون تابوت موسى ـ عليه السلام ـ من الساحل وحملوه إلى فرعون، وقفت امرأة فرعون تدافع

---

(٩٣) رواه ابن ماجه، رقم: (٤٢٢٨)، وأحمد، رقم: (١٨٠٢٤)، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه، رقم: (٤٢٢٨)، وصحيح الترغيب، (١/ ١١٠).

(٩٤) رواه البخاري، رقم: (٧٤٢٣).

(٩٥) سورة القصص، الآية ٩.

عن الطفل الصغير، وتذب دونه وتحبب آل فرعون، وقد حنن الله قلبها عليه وعطفه وحببه إليها، كأشد ما يكون الحب ﴿قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ﴾، فرجت نفعه وتوسمت فيه الخير، فتركه فرعون، وكان موسى ـ عليه السلام ـ سبباً في انتفاعه به وإنقاذها من الكفر إلى الإيمان ومن الضلال إلى النور، ورفع منزلتها ومقامها في الدنيا والآخرة.

وإن هذا الخطاب الرائع في متانته ورقته وإقناعه: ﴿قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ لا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا﴾[٩٦] له أثر في أعظم طاغية عرفه التأريخ البشري، وقد حمت موسى ـ عليه السلام ـ بتعاطفها وحبها.

وفي قول آسيا امرأة فرعون: ﴿قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ﴾ فضل الفأل الحسن، وقد نالها ما رجت من النفع؛ أما في الدنيا فهداها الله به، وجعل لها أحسن الثناء في الآخرين بقوله تعالى: ﴿وضرب الله مثلا لِلذِين آمنوا امرأت فِرعون إِذ قالت ربِ ابنِ لِي عِندك بيتا فِي الجنةِ ونجِنِي مِن فِرعون وعملِهِ ونجِنِي مِن القومِ الظالِمِين﴾[٩٧] فاستعملها الله سبحانه وتعالى بطاعته وصبرها .

ولقد ظهرت آسيا بنت مزاحم في حياة موسى عليه السلام صاحبة دور، وأي دور!؛ إنه دور الأم والمربية والحاضنة ثم المؤمنة بالرسالة المتبرئة من فرعون وعمله، الداعية إلى الله تعالى أن يغنيها عن قصرها في الدنيا ببيت في الجنة.

إن آسيا بنت مزاحم كانت نموذجا في الثبات وصلابة الإيمان وقوة المعتقد، ولم يضرها كفر زوجها وطغيانه، إذ كانت مؤمنة بالله لأن من أحكام الله في خلقه ﴿أَلَّا تزِر وازِرةٌ وِزرَ أَخرى﴾[٩٨] .

---

(٩٦) سورة القصص ، الآية ٩ .

(٩٧) سورة التحريم ، الآية ١١ .

(٩٨) سورة النجم ، الآية ٣٨ .

ليس عندنا كثير معلومات عن المرأة الصالحة " آسية بنت مزاحم " – امرأة فرعون - ، وكل ما ورد عنها من تفصيلات فمن الإسرائيليات، والتي لم تثبت بنص صحيح فيما نعلم .

لكن يظهر – والله تعالى أعلم – أنها ممن كان يخفي إيمانه عن فرعون ثمَّ عُرف أمرها ، وهذا بعض ما ورد فيها ، مع بعض الشروحات :

١- قال الله تعالى : ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتاً فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾[٩٩] .

٢-عن أبي موسى رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا آسية امرأة فرعون ومريم بنت عمران وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام .)[١٠٠] .

٣-عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال : خط رسول الله صلى الله عليه وسلم في الأرض أربعة خطوط قال تدرون ما هذا فقالوا الله ورسوله أعلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل نساء أهل الجنة خديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون ومريم ابنة عمران رضي الله عنهن أجمعين)[١٠١] .

٤- عن أنس ـ رضي الله عنه ـ أنَّ النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ:(قال حسبك من نساء العالمين مريم ابنة عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وآسية امرأة فرعون)[١٠٢]

---

(٩٩) سورة التحريم ، الآية ١١ .

(١٠٠) رواه البخاري، رقم: (٣٤١١)، ومسلم، رقم: (٢٤٣١) .

(١٠١) رواه أحمد، رقم: (٢٦٦٨)، وصححه الألباني في " صحيح الجامع " (١١٣٥) .

(١٠٢) رواه الترمذي، رقم: (٣٨٧٨) ،وصححه وأحمد، رقم: (١٢٣٩١)، وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي، رقم: (٣٨٧٨) .

٥- قال الحافظ ابن حجر : ومن فضائل آسية امرأة فرعون أنها اختارت القتل على الملك والعذاب في الدنيا على النعيم الذي كانت فيه وكانت فراستها في موسى عليه السلام صادقة حين قالت قرة عين لي)"[١٠٣]

النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ يعلم الصحابة التفاؤل.

لم يكتفِ النبي صلى الله عليه وسلم بتحقق سمة التفاؤل في شخصه، بل كان يربي أصحابه عليها ويعلمهم إياها، ففي أشد المواقف وأصعبها كان صلى الله عليه وسلم يغرس في نفوس أصحابه الضعفاء والمضطهدين التفاؤل والأمل، وعدم اليأس، واليقين بموعود الله ونصره لعباده المؤمنين.

- عن عدي بن حاتم قال: بينما أنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ أتاه رجل، فشكا إليه الفاقة، ثم أتاه آخر فشكا إليه قطع السبيل، فقال: يا عدي! هل رأيت الحيرة؟، قلتُ: لم أرها، وقد أنبئت عنها، فقال: إن طالت بك حياة لترين الظعينة -المرأة- ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف أحدا إلا الله، قلتُ في نفسي: فأين دعّار طيئ -قطاع الطريق- الذين سعروا في البلاد؟!، ولئن طالت بك حياة لتفتحن كنوز كسرى، قلتُ: كسرى بن هرمز؟! قال: كسرى بن هرمز!!، ولئن طالت بك حياة، لترين الرجل يخرج ملء كفه من ذهب أو فضة، يطلب من يقبله فلا يجد أحدًا يقبله منه.

قال عدي: «فرأيتُ الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف إلا الله، وكنت فيمن افتتح كنوز كسرى بن هرمز، ولئن طالت بكم حياة لترون ما قال النبي أبو القاسم صلى الله عليه وسلم يخرج ملء كفه[١٠٤]».

---

(١٠٣) فتح الباري، رقم: (٦ / ٤٤٨) .

(١٠٤) رواه البخاري (٣٥٩٥) .

- وعن خَباب بْنِ الأَرَتِّ ـ رضي الله عنه ـ قال: شكونا إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة، قلنا له: ألا تستنصر لنا، ألا تدعو الله لنا؟، قال:(كان الرجل فيمن قبلكم يحفر له في الأرض، فيجعل فيه، فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيشق باثنتين، وما يصده ذلك عن دينه، ويُمشَّط بأمشاط الحديد ما دون لحمه من عظم أو عصب، وما يصده ذلك عن دينه، والله ليتمن هذا الأمر، حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت، لا يخاف إلا الله، أو الذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون)[١٠٥] .

قال الحافظ في الفتح: « يحتمل أن يريد صنعاء اليمن، وبينها وبين حضرموت من اليمن أيضاً مسافة بعيدة نحو خمسة أيام، ويحتمل أن يريد صنعاء الشام والمسافة بينهما أبعد بكثير[١٠٦] » .ومن خلال غزوة الأحزاب وما فيها من ظروف عصيبة شديدة، وحصار جماعي من مختلف قبائل العرب واليهود بجيش يبلغ عشرة آلاف مقاتل، وشدة البرد والجوع والخوف، والمعاناة الشديدة في حفر الخندق، مع ذلك كله كان صلى الله عليه وسلم يغرس في أصحابه التفاؤل والأمل، فيعدهم ويبشرهم بفتح الشام وفارس واليمن ـ"

- فعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال:(أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفر الخندق، قال وعرض لنا فيه صخرة لم تأخذ فيها المعاول، فشكوناها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجاء فأخذ المعول ثم قال: باسم الله، فضرب ضربة ، فكسر ثلث الحجر، وقال : الله أكبر، أعطيت مفاتيح الشام، والله إني لأبصر قصورها الحمر من مكاني هذا، ثم قال : باسم الله، وضرب أخرى، فكسر ثلث الحجر، فقال : الله أكبر، أعطيت مفاتيح فارس، والله إني لأبصر المدائن،

---

(١٠٥) رواه البخاري (٣٦١٢)(٦٩٤٣) .

(١٠٦) فتح الباري لابن حجر، (٦/ ٦١٩) .

وأبصر قصرها الأبيض من مكاني هذا، ثم قال: باسم الله، وضرب ضربة أخرى، فقلع بقية الحجر، فقال: الله أكبر، أعطيت مفاتيح اليمن، والله إني لأبصر أبواب صنعاء من مكاني هذا)[١٠٧] .

وفي مقابل اعتنائه صلى الله عليه وسلم بتعليم أصحابه وتربيتهم على التفاؤل الذي يبعث على الأمل والعمل، والصبر والثبات على الدين، كان يحذرهم من النظرة التشاؤمية التي تقعدهم عن العمل والدعوة، وتدفعهم للإحباط واليأس الذي لا يرى في الناس أملاً لصلاح أو هداية، فقال صلى الله عليه وسلم: (إذا قال الرجل: هلك الناس فهو أهلكُهُم)[١٠٨] .

أهلكهم على وجهين مشهورين: رفع الكاف وفتحها، والرفع أشهر، قال الحميدي في الجمع بين الصحيحين: «الرفع أشهر ومعناه أشدهم هلاكا، وأما رواية الفتح فمعناها هو جعلهم هالكين، لا أنهم هلكوا في الحقيقة[١٠٩]».

إن المتأمِّل في سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم يجدها نبعًا ثريًّا لكل الأخلاق الطيبة، والصفات النبيلة، وكيف لا تكون سيرة ـ نبينا وحبيبنا ـ صلى الله عليه وسلم ـ كذلك وقد اصطفاه الله على بني آدم، وختم به أنبياءه ورسله .. فما أحوجنا إلى اتباع هديه ـ صلى الله عليه وسلم ـ في التفاؤل بل في حياته وأخلاقه كلها، قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً﴾[١١٠] .

---

(١٠٧) رواه احمد، رقم: (١٨٦٩٤)، والنسائي في السنن الكبرى، رقم: (٨٨٥٨)، والروياني في المسند (٤١٠)، والبيهقي في دلائل النبوة، رقم: (٤٢١/٣).

(١٠٨) رواه مسلم، رقم: (٢٦٢٣) .

(١٠٩) الجمع بين الصحيحين (٣/ ٢٨٧) .

(١١٠) سورة الأحزاب ، الآية ٢١ .

نماذِجُ وأحوال مِن التَّفاؤُلِ عِندَ النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم:

كان النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم يحِبُّ التَّفاؤُلَ وما يحمِلُ معناه بصُوَرِه كافَّةً، ويكرَهُ التَّشاؤُمَ وما يحمِلُ معناه بصُوَرِه كافَّةً، وهذا كثيرٌ متواتِرٌ عنه صلَّى اللهُ عليه وسلَّم؛ فمِن صُوَرِه:

أنَّ النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم لَمَّا جاء سُهَيلُ بنُ عَمرٍو وقد أرسلَتْه قُرَيشٌ للمفاوَضةِ، قال: «لقد سَهُل لكم مِن أمْرِكم»[١١١] .

١ـ تفاؤُلُه صلَّى اللهُ عليه وسلَّم وبِشْرُه وتبسُّمُه؛ فعن جريرٍ رَضِيَ اللهُ عنه قال: ((ما حجَبَني النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم مُنذُ أسلَمْتُ، ولا رآني إلَّا تبسَّمَ في وَجهي، ولقد شكَوتُ إليه أنِّي لا أثبُتُ على الخَيلِ، فضَرَب بيَدِه في صَدري، وقال: اللَّهُمَّ ثَبِّتْه واجعَلْه هاديًا مَهْدِيًّا))[١١٢] .

٢ـ تفاؤُلُه صلَّى اللهُ عليه وسلَّم وتبسُّمُه واستبشارُه بالرُّؤى يراها في نومِه:

-عن أنسِ بنِ مالِكٍ، قال: قال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: ((رأيتُ ذاتَ ليلةٍ فيما يرى النَّائِمُ كأنَّا في دارِ عُقبةَ بنِ رافِعٍ، فأُتِينا برُطَبٍ من رُطَبِ ابنِ طابٍ، فأوَّلتُ الرِّفعةَ لنا في الدُّنيا والعاقبةَ في الآخِرةِ، وأنَّ دينَنا قد طابَ))[١١٣] .

٣- تفاؤُلُه صلَّى اللهُ عليه وسلَّم يومَ العَقَبةِ بإيمانِ من أعرَضَ عن دَعوتِه، ودعاؤُه لهم رَغمَ ما أصابه يَومَها من الحُزنِ وشِدَّةِ الكَربِ؛ لعَدَمِ إجابتِهم ما طلبَه لهم من الخيرِ.

-عن ابنِ شِهابٍ، حَدَّثني عُروةُ بنُ الزُّبَيرِ أنَّ عائشةَ زوجَ النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم حدَّثَتْه أنَّها قالت لرَسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: ((يا رسولَ اللهِ، هل أتى

---

(١١١) رواه البخاري (٢٧٣١).

(١١٢) رواه البخاري، رقم: (٣٠٣٥)، ورقم: (٦٠٨٩)، ومسلم، رقم: (٢٤٧٥) .

(١١٣) رواه مسلم، رقم: (٢٢٧٠).

عليكَ يومٌ كان أشَدَّ من يومِ أُحُدٍ؟ فقال: لقَدْ لَقِيتُ مِن قَومِكِ، وكانَ أَشَدَّ ما لَقِيتُ منهم يَومَ العَقَبَةِ؛ إذْ عَرَضْتُ نَفْسِي على ابنِ عبدِ يَالِيلَ بنِ عبدِ كُلَالٍ، فلم يُجِبْني إلى ما أرَدْتُ، فانطَلَقْتُ وأنا مَهمومٌ على وَجْهي، فلم أسْتَفِقْ إلَّا بقَرنِ الثَّعَالِبِ، فرَفَعْتُ رَأسي فإذا أنا بسَحابةٍ قد أظَلَّتني، فنَظَرْتُ فإذا فيها جِبْريلُ، فناداني، فقال: إنَّ اللهَ عزَّ وجَلَّ قد سمِعَ قَولَ قَومِك لك، وما ردُّوا عليك، وقد بَعَث إليك ملَكَ الجِبالِ لتَأمُرَه بما شِئتَ فيهم، قال: فناداني مَلَكُ الجِبالِ وسَلَّم عَلَيَّ، ثمَّ قال: يا محمَّدُ، إنَّ اللهَ قد سمِعَ قَولَ قَومِك لك، وأنا مَلَكُ الجِبالِ وقد بعثَني ربُّك إليكَ لتَأمُرَني بأمْرِك، فما شِئتَ، إنْ شِئتَ أن أُطبِقَ عليهم الأخشَبَينِ، فقال له رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: بل أرجو أن يُخرِجَ اللهُ من أصلابِهم من يعبُدُ اللهَ وَحدَه لا يُشرِكُ به شيئًا)) [١١٤] .

٤- تفاؤُلُه صلَّى اللهُ عليه وسلَّم بالنَّصرِ والعَونِ والتَّمكينِ وانتشارِ الدِّينِ في أشَدِّ لحَظاتِ الألمِ والاستِضعافِ.

-عن خَبَّابِ بنِ الأرَتِّ، قال: ((شَكَونا إلى رَسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم وهُو مُتوسِّدٌ بُردَةً له في ظِلِّ الكَعْبةِ، قُلنا له: ألَا تَسْتَنْصِرُ لنا؟ ألَا تَدْعو اللهَ لنا؟ قال: كان الرَّجلُ فيمَنْ قبلَكم يُحفَرُ له في الأرْضِ، فيُجعَلُ فيه، فيُجاءُ بالمِنشارِ فيُوضَعُ على رأسِهِ فيُشَقُّ باثنتَينِ، وما يصُدُّه ذلك عن دِينِه، ويُمشَطُ بأمشاطِ الحَديدِ ما دُونَ لَحمِه مِن عظْمٍ أو عَصَبٍ، وما يصُدُّه ذلك عن دِينِه، واللهِ لَيُتِمَّنَّ هذا الأمرَ، حتَّى يَسيرَ الرَّاكبُ مِن صَنْعاءَ إلى حَضْرَمَوتَ، لا يَخافُ إلَّا اللهَ أو الذِّئبَ على غَنَمِه، ولكنَّكم تَستعجِلونَ)) [١١٥] .

---

[١١٤] رواه البخاري، رقم: (٣٢٣١)، ومسلم، رقم: (١٧٩٥) .

[١١٥] رواه البخاري، رقم: (٣٦١٢)، ورقم: (٦٩٤٣) .

٥- تفاؤُلُه صلَّى اللهُ عليه وسلَّم مع ما يبلُغُه من معانَدةِ قَومٍ وإصرارِهم على كُفرِهم، ورجاؤُه الخيرَ والهِدايةَ لهم.

-عن أبي هُرَيرةَ رَضِيَ اللهُ عنه، قال: ((قَدِم طُفَيلُ بنُ عَمرٍو الدَّوسيُّ وأصحابُه على النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، فقالوا: يا رسولَ اللهِ، إنَّ دَوسًا عَصَت وأَبَت، فادْعُ اللهَ عليها، فقيل: هلَكَت دَوسٌ! قال: اللَّهُمَّ اهْدِ دَوسًا وَأْتِ بهم))[١١٦].

٦- تفاؤله صلَّى الله عليه اللهُ عليه- وسلَّم في الشِّدَّةِ والجَدْبِ بتَحويلِ الرِّداءِ في صلاةِ الاستِسقاءِ رَجاءَ تحويلِ حالِ العُسرِ لليُسرِ.

-عن عبَّادِ بنِ تَميمٍ، عن عمِّه، قال: ((خرج النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم يستسقي، فتوجَّه إلى القِبلةِ يدعو، وحَوَّلَ رداءَه، ثمَّ صلَّى ركعتَينِ جَهَر فيهما بالقِراءةِ))[١١٧] .

قال المُهلَّبُ: (وتحويلُ الرِّداءِ إنَّما هو على وَجهِ التَّفاؤُلِ بتَحويلِ الحالِ عمَّا هي عليه)[١١٨]

نماذِجُ من التَّفاؤُلِ عِندَ الأنبياءِ والمُرسَلينَ:

تفاؤُلُ موسى عليه السَّلامُ رَغْمَ تآمُرِ الملأِ عليه وخروجِه إلى مَدْيَنَ دونَ طَعامٍ أو كِساءٍ أو صَديقٍ أو بَيتٍ، لكِنَّه أمَلَ في اللهِ سُبحانَه أن يَهدِيَه إلى السَّبيلِ الصَّحيحِ، والطَّريقِ القويمِ.

---

(١١٦) رواه البخاري، رقم: (٣٩٣٧)، ومسلم، رقم: (٢٥٢٤).

(١١٧) رواه البخاري، رقم: (١٠٢٤)، ومسلم، رقم: (٨٩٤).

(١١٨) شرح صحيح البخاري لابن بطال، (١٠/٣) .

قال تعالى: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ * وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾[١١٩].

- وتفاؤُلُه أيضًا حينَ حاصَره فِرعَونُ وجنودُه وكادوا أن يُدرِكوه ومَن معه حتَّى ظنُّوا أنَّهم مُدرَكونَ، ولم يكُنْ أمامَهم سِوى البَحرِ، فثبَّتهم موسى بفَألِه الحَسَنِ وحُسنِ ثِقتِه باللهِ سُبحانَه.

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ * قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾[١٢٠].

- تفاؤُلُ يَعقوبَ عليه السَّلامُ بعَودةِ ابنِه يُوسُفَ وأخيه إليه، وفي هذا يقول الله تعالى على لسان يعقوب عليه السلام: ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا﴾[١٢١]، وقال: ﴿يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾[١٢٢].

- تفاؤُلُ نُوحٍ عليه السَّلامُ بإيمانِ قَومِه، وثباتُه على دَعوتِهم حتَّى لَبِث فيهم ألفَ سَنةٍ إلَّا خمسينَ عامًا يأمُلُ في إيمانِهم، ويرجو اللهَ لهم، ويحثُّهم على الاستِغفارِ ويُغريهم بالغُفرانِ والقَبولِ دونَ كَلَلٍ أو إحباطٍ.

قال تعالى ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا * فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا * وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا * ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا * ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ

---

(١١٩) سورة القصص، الآية ٢١-٢٢.

(١٢٠) سورة الشعراء، الآيات ٦١ – ٦٢.

(١٢١) سورة يوسف، الآية ٨٣.

(١٢٢) سورة يوسف، الآية ٨٧.

إِسْرَارًا * فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾[١٢٣] .

- تفاؤُلُ إبراهيمَ عليه السَّلامُ حينَ عَزَم قومُه على إلقائِه في النَّارِ، فلم يفزَعْ عليه السَّلامُ أو يتردَّدْ في يقينِه برَبِّه، بل أكَّد ثِقتَه به سُبحانَه، وجعَل كامِلَ توكُّلِه عليه، واللهُ عزَّ وجَلَّ لا يُضيعُ عَبدًا توكَّل عليه.

عن ابنِ عَبَّاسٍ: حَسْبُنا اللهُ ونِعْمَ الوكيلُ قالها إبراهيمُ عليه السَّلامُ حينَ أُلقِيَ في النَّارِ، وقالها محمَّدٌ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم حينَ قالوا: (إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ)[١٢٤]،[١٢٥].

- تفاؤُلُ أيُّوبَ عليه السَّلامُ بشِفاءِ مَرَضِه، مع طولِ زَمانِه، وشِدَّةِ ما عاناه فيه، فلم يجزَعْ، ولم يترُكْ نَفسَه -عليه السَّلامُ- فريسةً للتَّشاؤُمِ واليأسِ في شِفاءِ اللهِ سُبحانَه.

قال تعالى: ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ﴾[١٢٦] .

نماذِجُ مِن التَّفاؤُلِ عِندَ الصَّحابةِ:

- تفاؤُلُ عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عنه بفَتحِ نِهاوَنْدَ لَمَّا أرسَل إليه سعدُ بنُ أبي وقَّاصٍ يسألُه المشورةَ في غَزوِها، وكان أرسَل إليه قَريبَ بنَ ظَفَرٍ، فتفاءل عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عنه باسمِه.

---

(١٢٣) سورة نوح ، الآية ٥ - ١٢ .

(١٢٤) سورة آل عمران ، الآية ١٧٣ .

(١٢٥) رواه البخاري، رقم: (٤٥٦٣) .

(١٢٦) سورة الأنبياء ، الآيات ٨٣ – ٨٤ .

قال ابنُ حَجَرٍ في ترجمةِ قَريبِ بنِ ظَفَرٍ: (وكان رسولَ سَعدِ بنِ أبي وقَّاصٍ إلى عُمَرَ في قِصَّةِ فَتحِ نِهاوَنْدَ، فلمَّا وَصَل إلى عُمَرَ تفاءَل باسمِه واسمِ أبيه، وقال: ظَفَرٌ قَريبٌ!)[١٢٧]

- تفاؤُلُ عَلِيِّ بنِ أبي طالبٍ رَضِيَ اللهُ عنه بانفراجِ أزمةِ أهلِ العِراقِ بألَّا يمُرَّ عليهم فيها إلَّا وقتٌ يسيرٌ، وتبشيرُهم بذلك.

عن محمَّدِ بنِ كَعبٍ القُرَظيِّ: أنَّ أهلَ العِراقِ أصابهم أزمةٌ، فقام بينهم عليُّ بنُ أبي طالِبٍ رَضِيَ اللهُ عنه فقال: (يا أيُّها النَّاسُ، أبشِروا فو اللهِ إنِّي لأرجو ألَّا يمُرَّ عليكم إلَّا اليَسيرُ حتَّى تَرَوا ما يَسُرُّكم من الرَّخاءِ واليُسرِ)[١٢٨] .

- تفاؤُلُ سَعدِ بنِ أبي وقَّاصٍ رَضِيَ اللهُ عنه برَسولِه العائِدِ مِن عِندِ قائدِ الفُرسِ يَزْدَجَرْدَ والتُّرابُ على عُنُقِه؛ رغبةً مِن يَزْدَجَرْدَ في إهانتِه، فرأى سَعدُ بنُ أبي وقَّاصٍ أنَّ هذا التُّرابَ مَدعاةٌ للتَّفاؤلِ وبُشرى للظَّفَرِ بتُرابِ أرضِهم.

والقِصَّةُ ذَكَرها ابنُ خَلْدونَ، وفيها: (فقال يَزْدَجَرْدُ: لو قتَل أحَدٌ الرُّسُلَ قَبْلي لقَتَلْتُكم. ثمَّ استَدعى بوِقْرٍ مِن تُرابٍ وحُمِل على أعظَمِهم، وقال: ارجِعوا إلى صاحِبِكم وأعلِموه أنِّي مُرسِلٌ رُسْتُمَ حتَّى يَدفِنَكم أجمعينَ في خَندَقِ القادِسيَّةِ، ثمَّ يُدَوِّخَ بلادَكم أعظَمَ من تدويخِ سابورَ. فقام عاصِمُ بنُ عُمَرَ فحَمَل التُّرابَ على عُنُقِه، وقال: أنا أشرَفُ هؤلاء، ولمَّا رجع إلى سَعدٍ فقال: أبشِرْ؛ فقد أعطانا اللهُ تُرابَ أرضِهم)[١٢٩] .

فتأمَّلْ كيف استخلَصَ سَعدٌ رَضِيَ اللهُ عنه البُشرى والتَّفاؤلَ مِن قَلبِ المحنةِ، وكان له ما استَبشَر، وتحقَّق النَّصرُ للمُسلِمينَ؟!

---

(١٢٧) .الإصابة في تمييز الصحابة (لابن حجر١٨٤/٩) .

(١٢٨) إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة للبوصيري، (٤٥٨/٧) .

(١٢٩) ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر)) لابن خلدون (٥٢٨/٢).

- وكان الزُّبَيرُ عليه دَينٌ فأوصى ولَدَه عبدَ اللهِ يومَ الجَمَلِ بسَدادِه، قال عبدُ اللهِ بنُ الزُّبَيرِ: فجَعَل يُوصيني بدَينِه ويقولُ: يا بُنَيَّ إنْ عَجَزتَ عنه في شَيءٍ فاستَعِنْ عليه مَولايَ! قال: فواللهِ ما دَرَيتُ ما أراد حتَّى قُلتُ: يا أبتِ مَن مولاكَ؟ قال: اللهُ. قال: فواللهِ ما وقَعْتُ في كُربةٍ مِن دَينِه إلَّا قُلتُ: يا مولى الزُّبيرِ اقْضِ عنه دَينَه، فيقضيه! فقُتِل الزُّبَيرُ رَضِيَ اللهُ عنه، وحَسَب عبدُ اللهِ ما عليه من الدَّينِ فوَجَد دَينَه أَلْفَيْ أَلْفٍ ومِئَتَي أَلفٍ، فقضاها عنه ابنُه عبدُ اللهِ! [١٣٠].

نماذِجُ مِن التَّفاؤُلِ عِندَ السَّلَفِ:

- سُلَيمانُ بنُ يَحيى بنِ مُعاذٍ كاتِبُ عبدِ اللهِ بنِ طاهِرٍ يُبَشِّرُه بالتَّفاؤُلِ حينَ شكا إليه بلاءً يتوَقَّعُه.

قال التَّنوخيُّ : (شكا عبدُ اللهِ بنُ طاهِرٍ إلى سُلَيمانَ بنِ يحيى بنِ مُعاذٍ كاتِبِه بلاءً خافه وتوقَّعه، فقال له: أيُّها الأميرُ لا يَغلِبَنَّ على قَلبِك إذا اغتَمَمْتَ ما تَكرَهُ دونَ ما تحِبُّ؛ فلعَلَّ العاقبةَ تكونُ بما تحِبُّ، وتُوَقَّ ما تَكرَهُ، فتكونُ كمن يَستسلِفُ الغَمَّ والخَوفَ! قال: أمَا إنَّك قد فرَّجْتَ عنِّي ما أنا فيه!)[١٣١]

نماذِجُ مِن التَّفاؤُلِ عِندَ العُلَماءِ المُتَقَدِّمينَ:

تفاؤُلُ ابنِ تيميَّةَ بالنَّصرِ على المَغولِ، وحَثُّه النَّاسَ على حَربِهم، وبَثُّه الأمَلَ في صُفوفِ المُسلِمينَ، مع شِدَّةِ خَوفِهم من قُوَّتِهم، وشديدِ بَطشِهم، وهَولِ ما سَمِعوه عنهم.

قال ابنُ كثيرٍ: (ووصَل التَّتَرُ إلى حِمصٍ وبَعْلَبَكَّ، وعاثوا في تلك الأراضي فَسادًا، وقَلِق النَّاسُ قلَقًا عظيمًا، وخافوا خوفًا شديدًا، واختبطَ البَلَدُ لتأخُّرِ قُدومِ

---

[١٣٠] رواه البخاري (٣١٢٩) .

[١٣١] الفرج بعد الشدة للتنوخي، (١/ ١٥٥) .

السُّلطانِ ببقيَّةِ الجيشِ، وقال النَّاسُ: لا طاقةَ لجَيشِ الشَّامِ مع هؤلاء المِصْريِّينَ بلقاءِ التَّتارِ؛ لكثرتِهم، وإنما سبيلُهم أن يتأخَّروا عنهم مرحلةً مرحلةً، وتحدَّث النَّاسُ بالأراجيفِ، فاجتمع الأمراءُ يومَ الأحَدِ المذكورِ بالميدانِ الأخضَرِ، وتحالفوا على لقاءِ العَدُوِّ، وشجَّعوا أنفُسَهم، ونودِيَ بالبلَدِ أنْ لا يرحَلْ أحَدٌ منه، فسَكَن النَّاسُ، وجلس القُضاةُ بالجامِعِ، وحلَّفوا جماعةً من الفُقَهاءِ والعامَّةِ على القِتالِ، وتوجَّه الشَّيخُ تَقيُّ الدِّينِ بنُ تَيميَّةَ إلى العَسكَرِ الواصِلِ من حَماةَ، فاجتمع بهم في القُطَيِّفةِ، فأعلمَهم بما تحالَف عليه الأمراءُ والنَّاسُ من لقاءِ العَدُوِّ، فأجابوا إلى ذلك، وحلَفوا معهم، وكان الشَّيخُ تَقيُّ الدِّينِ بنُ تيميَّةَ يحلِفُ للأُمَراءِ والنَّاسِ: إنَّكم في هذه الكَرَّةِ منصورونَ على التَّتارِ! فيقولُ له الأُمَراءُ: قُلْ: إن شاءَ اللهُ. فيقولُ: إن شاءَ اللهُ، تحقيقًا لا تعليقًا!)[١٣٢].

- تفاؤُلُ نُورِ الدِّينِ زِنْكِي بفَتحِ بَيتِ المَقدِسِ:

قال ابنُ الأثيرِ: (ولمَّا كان الجُمُعةُ الأُخرى رابِعَ شَعبانَ صلَّى المُسلِمونَ فيه الجُمُعةَ، ومعهم صلاحُ الدِّينِ، وصلَّى في قُبَّةِ الصَّخرةِ، وكان الخطيبُ والإمامُ مُحيي الدِّينِ بنُ الزَّكيِّ، قاضي دِمَشقَ، ثمَّ رَتَّب فيه صلاحُ الدِّينِ خَطيبًا وإمامًا برَسمِ الصَّلَواتِ الخَمسِ، وأمَرَ أن يُعمَلَ له مِنبَرٌ، فقيل له: إنَّ نورَ الدِّينِ محمودًا كان قد عَمِل بحَلَبٍ مِنبرًا أمَرَ الصُّنَّاعَ بالمبالغةِ في تحسينِه وإتقانِه، وقال: هذا قد عَمِلْناه ليُنصَبَ ببيتِ المقدِسِ، فعَمِله النَّجَّارونَ في عِدَّةِ سِنينَ لم يُعمَلْ في الإسلامِ مِثلُه! فأمَر بإحضارِه، فحُمِل من حَلَبٍ ونُصِب بالقُدسِ، وكان بَينَ عَمَلِ المِنبَرِ وحَمْلِه ما يزيدُ على عشرينَ سنةً! وكان هذا من كَراماتِ نورِ الدِّينِ، وحُسنِ مَقاصِدِه، رَحِمه اللهُ)[١٣٣].

---

(١٣٢) البداية والنهاية لابن كثير، (٢٣/١٨)

(١٣٣) الكامل في التاريخ لابن الأثير (٣٧/١٠).

التفاؤل في حال تكالب الأعداء على الأمة وقلة المعين:

ويكون ذلك من خلال الأساليب الاتية:

أولاً: التفاؤل بقرب النصر على الأعداء.

التفاؤل وحُسن الظن بالله في هذه الأحداث مطلب شرعي مهم جداً، ولكن:

- حين يقع الإنسان في التعلق بالأسباب غير الصحيحة، كأن يرجو النصرة ممن عُرفوا بخذلانهم الدائم للمسلمين ومسارعتهم في أعداء الإسلام، ولا يراعي السنن الإلهية كذلك، أو يظن أن كل المعيقات سترتفع فجأة، أو يظن أن التمكين للأمة سيكون خلال أيام أو أسابيع؛ فهذا قد يصاب بنكسة نفسية -وربما إيمانية- بعد أن يعيش نشوة البدايات كما رأينا ذلك في العقد الأخير.

أكثر من يصحّ لهم الاستبشار بنصر الله القريب، هم العاملون لنصرة دينه ومدافعة أعدائه، فهؤلاء إذا أخلصوا لله وتوكلوا عليه وساروا على أنوار الوحي، فالله معهم، وسينصرهم، ويحق لهم التفاؤل الشديد بقرب ذلك.

مع التنبيه إلى أن النصر مراتب ودرجات، والنصر الجزئي لا يستلزم النصر الكلي مباشرة ولا يستلزم انتفاء الآلام الشديدة؛ فنصر يوم بدر غير نصر فتح مكة، فالأول نصر البدايات والثاني نصر التمكين.

فيوم بدر أعقبه انكسار أُحُد ثم حصار الأحزاب ثم ألم الحديبية ثم في النهاية جاء فتح مكة ودخل الناس في دين الله أفواجا،

وكان ذلك كله مسبوقاً بالصبر الطويل في مكة على الابتلاءات التي زكّى الله بها نفوسهم وثبّت بها عقيدتهم.

*هذه الأحداث قد تطول وتتطور وتتمدد، ولا أشك أن عاقبتها خير لهذه الأمة، ولكنها والله أعلم ستكون مصحوبة بكثير من الآلام والمصاعب، فمن كان ينتظر أملاً بلا ألم فليكمل نومه وأحلامه.

* المطلوب من كل هذا الكلام ليس ترك التفاؤل ولا ترك العمل، بل بالعكس، نحتاج إلى مزيد منهما، ولكن بضبط تعريف التفاؤل وبترشيد العمل.

* التفاؤل المطلوب هو حسن الظن بالله:

- بأنه سينصر دينه ويعلي كلمته دون اشتراط للزمن أو استكراه للسنن -فهي غالبة، وأنه لن يضيع أجر العاملين المخلصين، وأنه مع الصابرين، وأنه يؤيد جنده ويثبتهم وينصرهم، وأنه لا يترك الظالمين المفسدين في الأرض دون عقاب في الدنيا قبل الآخرة.

وأما العمل فلا بد أن يكون غير مشروط بتحقيق النصر الآني، بل يكون منطلقاً من مبدأ (الفرض والواجب، عبوديةً لله ونصرةً للمسلمين) ومن يُعرّف العمل بهذه الصيغة يكون عصياً على الانكسار والإحباط.

* وبإذن الله تعالى لعله يتيسر تسجيل فيديو أتحدث فيه عن هذا المعنى بصورة مفصّلة.

ثانياً :عدم اليأس.

لا يجوز للمسلم أن ييأس ويقنط من رحمة الله تعالى، وقد حثنا الله عز وجل على الدعاء في آيات كثيرة من كتابه العزيز، قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي

قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾[١٣٤] .

ثالثًا : اليقين.

اليقين بأن العاقبة للمتقين، وأن النصر للمؤمنين، اليقين بأن اللادينيين والذين يكرهون تطبيق شريعة رب العالمين لن يذوقوا طعم التمكين؛ لأن الله تعالى قال ذلك، ولأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبر بذلك.

﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ * هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾[١٣٥] .

المصباح الذي أناره محمد صلى الله عليه وسلم، تألَّب عليه أصحاب أبي لهب واتباع عبدالله بن سلول يطفئونه، ولكن هيهات هيهات شعلة الإسلام لن تطفئها نفخة مهما كبرت فالله عز وجل أكبر واجل،

وقال صلى الله عليه وسلم: "إن الله تعالى زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زُوي لي منها[١٣٦]" .

اليقين بأن دولة الباطل ساعة ودولة الحق إلى قيام الساعة، فالباطل ينتفش ويظهر، لكن إذا قابل الحق سرعان ما يزول: ﴿ وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوُا الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾[١٣٧] ﴿ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾[١٣٨] .

---

(١٣٤) سورة البقرة ، الآية ١٨٦ .

(١٣٥) سورة الصف ، الآيات ٨- ٩.

(١٣٦) رواه مسلم (٢٨٨٩) .

(١٣٧) سورة الفتح ، الآية ٢٢ .

(١٣٨) سورة النساء ، الآية ٧٦ .

رابعاً: السيرة النبويّة.

السيرة النبوية والتفاؤل والبُشْارات في وقت المِحَن:

اليأس محطّم للآمال ومُثبِّط للعزائم، وهو حالة نفسيَّة تعتري الإنسان تحت شدة الفتن والمِحن، وكثرة الابتلاء، وتسلُّط الأعداء والظالمين، وقد يصل اليأس بصاحبه إلى القنوط وانقطاع الأمل، وفي ذلك سوء ظن بالله عز وجل، قال الله تعالى: ﴿وَلاَ تَيْأَسُواْ مِن رَّوْحِ اللّهِ إِنَّهُ لاَ يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾[١٣٩].

قال ابن كثير: "ندب يعقوب ـ عليه السلام ـ بنيه على الذهاب في الأرض، يستعلمون أخبار يوسف وأخيه بنيامين.. ونَهَّضهم وبَشَّرهم وأمرهم ألا ييأسوا من روح الله، أي: لا يقطعوا رجاءهم وأملهم من الله فيما يرومونه ويقصدونه، فإنه لا يقطع الرجاء، ويقطع اليأس من الله إلا القوم الكافرون[١٤٠]. ونبينا صلى الله عليه وسلم كانَ مُتَفَائِلاً في كل أموره، واثقاً بربه في جميع أوقاته، مُحسناً بِهِ الظّنّ في كلّ أحواله، وكانت حياته ـ رغم ما فيها مِن شدة وبلاء ـ مليئة بالأمل والتفاؤل، وحُسن الظَّن بِالله، وقوة اليقين بنصر الله، وكان دائماً يبشر أصحابه بالنصر والأمْن، والغِنى والسَعَة، رغم ما بهم من بلاء وفقر واستضعاف.

---

(١٣٩) سورة يوسف ، الآية ٨٧ .

(١٤٠) تفسير ابن كثير ط العلمية (٤/ ٣٤٨) .

-عن عدي بن حاتم قال: بينما أنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ أتاه رجل، فشكا إليه الفاقة، ثم أتاه آخر فشكا إليه قطع السبيل، فقال: يا عدي! هل رأيت الحيرة؟، قلتُ: لم أرها، وقد أنبئت عنها، فقال:

(إن طالت بك حياة لترين الظعينة -المرأة- ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف أحدا إلا الله، قلتُ في نفسي: فأين دعّار طيئ -قطاع الطريق- الذين سعروا في البلاد؟!، ولئن طالت بك حياة لتفتحن كنوز كسرى، قلتُ: كسرى بن هرمز؟! قال: كسرى بن هرمز!!، ولئن طالت بك حياة، لترين الرجل يخرج ملء كفه من ذهب أو فضة، يطلب من يقبله فلا يجد أحدًا يقبله منه.)[١٤١].

قال عدي: "فرأيتُ الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف إلا الله، وكنت فيمن افتتح كنوز كسرى بن هرمز، ولئن طالت بكم حياة لترون ما قال النبي أبو القاسم صلى الله عليه وسلم: «الرجل يخرج ملء كفه من ذهب أو فضة»[١٤٢].. ولم تكن هذه البشارات التي يبشر بها النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه، مخفية مستورة، بل كانت مُعْلنة ظاهرة، يعلمها الكفار كما كان يعلمها المسلمون، حتى كان الأسود بن المطلب (مِن أشد المعاندين والمستهزئين بالنبي صلى الله عليه وسلم) وجلساؤه، إذا رأوا أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم تغامزوا بهم، وقالوا: قد جاءكم ملوك الأرض الذين يرثون كسرى وقيصر، ثم يُصَفِّرون ويُصَفِّقون.

- وعن خَباب بْنِ الأَرَتِّ رضي الله عنه قال: (شكونا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوسد بُرْدَة (واضع رأسه بُرْدة وهي كِساء مُرَبع) له في ظل الكعبة، قلنا له: ألا تستنصر لنا، ألا تدعو الله لنا؟ قال: «كان الرجل فيمن

---

(١٤١) رواه البخاري، رقم: (٣٥٩٥)، ومسلم، رقم: (١٠١٦).

(١٤٢) رواه البخاري، رقم: (٣٥٩٥).

قبلكم يحفر له في الأرض، فيجعل فيه، فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيشق باثنتين، وما يصده ذلك عن دينه، ويُمشَّط بأمشاط الحديد ما دون لحمه من عظم أو عصب، وما يصده ذلك عن دينه، والله ليتمن هذا الأمر، حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت، لا يخاف إلا الله، أو الذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون»[١٤٣]

ففي أشد المواقف وأصعبها كان النبي صلى الله عليه وسلم يغرس في نفوس المُبْتَلِين والضعفاء والمضطهدين الأمل والبُشرى واليقين بفرج الله ونصره لعباده المؤمنين. والسيرة النبوية زاخرة بالمواقف والأحداث التي تبين مدى التفاؤل والأمل، والثقة واليقين بنصر الله عز وجل، الذي كان يتحلى به النبي صلى الله عليه وسلم ويغرسه في نفوس أصحابه والمسلمين من بعدهم، ومن ذلك:

١ ـ الهجرة النبوية:

في الهجرة النبوية من مكة إلى المدينة، أخذ النبي صلى الله عليه وسلم بالأسباب الظاهرة والمتاحة، إلا أن المشركين انطلقوا خلفه يرصدون الطرق، ويفتشون في الجبال، حتى وصلوا إليه وهو في غار ثور، حتى سمع النبي صلى الله عليه وسلم واصاحبه سير أقدامهم وكلامهم، وهنا خاف أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ على النبي صلى الله عليه وسلم، فقال للنبي صلى الله عليه وسلم: (لو أن أحدهم نظر تحت قدميه لأبصرنا! فقال صلى الله عليه وسلم: «يا أبا بكر! ما ظنك باثنين الله ثالثهما»[١٤٤] .

---

(١٤٣) رواه البخاري، رقم: (٣٦١٢) .

(١٤٤) رواه البخاري، رقم: (٣٦٥٣)، ومسلم، رقم: (٢٣٨١) .

قال النووي: "معناه: ثالثهما بالنصر والمعونة والحفظ والتسديد، وهو داخل في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾[١٤٥]،[١٤٦] .

وقال ابن الجوزي: "وقوله: «ما ظنك باثنين الله ثالثهما» أي: بالنصرة والإعانة، أفتظن أن يخذلهما، فرده من النظر إلى الأسباب إلى المُسَبِّب[١٤٧].

وقال الشيخ ابن عثيمين: "فقال أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ: يا رسول الله لو نظر أحدهم إلى قدميه لأبصَرَنا، لأننا في الغار تحته، فقال: «ما ظنك باثنين الله ثالثُهما»، وفي كتاب الله أنه قال: {لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا}[١٤٨] ، فيكون قال كلاهما، أي: قال: «ما ظنُّكَ باثْنَيْنِ اللهُ ثالثُهما»، وقال: {لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا}. فقوله: «ما ظنك باثنين الله ثالثهما» يعني: هل أحد يقدر عليهما بأذية أو غير ذلك؟ والجواب: لا أحد يقدر، لأنه لا مانع لما أعطى الله ولا معطي لما منع، ولا مذل لمن أعزَّ ولا معز لمن أذل: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[١٤٩] وفي هذه القصة:

دليل علي كمال توكل النبي صلي الله عليه وسلم علي ربه، وانه معتمد عليه، ومفوض إليه أمره، وهذا هو الشاهد من وضع هذا الحديث في باب اليقين والتوكل[١٥٠].

---

(١٤٥) سورة النحل ، الآية ١٢٨ .

(١٤٦) شرح النووي على مسلم، (١٥/ ١٥٠) .

(١٤٧) كشف المشكل من حديث الصحيحين، (١/ ١٤) .

(١٤٨) سورة التوبة ، الآية ٤٠ .

(١٤٩) سورة آل عمران ، الآية ٢٦ .

(١٥٠) شرح رياض الصالحين، (١/ ٥٦٤) .

٢ـ غزوة بدر:

مع أن المعادلة العسكرية في غزوة بدر لم تكن متكافئة، فقريش كان عددها ألفاً، معهم مائتا فرَس، في حين كان عدد المسلمين ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً، وما كان معهم إلا فَرَسان، ومع ذلك يقول النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه غارساً فيهم الأمل والتفاؤل والوثوق واليقين بنصر الله عز وجل لهم، رغم أنهم أقل في العدد والعدة من عدوهم: «سيروا وأبشروا، فإن الله قد وعدني إحدى الطائفتين، والله لكأني أنظر إلى مصارع القوم»[١٥١].

٣ ـ غزوة الأحزاب:

رغم ما حدث للمسلمين في غزوة الأحزاب مِن تعب شديد في حفر الخندق، وجوع وخوف وشدة برد، وحصار المشركين لهم في المدينة، وخيانة اليهود، وتخذيل المنافقين وإرجافهم، واشتداد الكرب، حتى قال الله تعالى مصوراً حالهم حينئذٍ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا * إِذْ جَاؤُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتْ الأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا * هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالا شَدِيدًا﴾[١٥٢]، ـ رغم ذلك كله ـ كان النبي صلى الله عليه وسلم يغرس في أصحابه التفاؤل والأمل، والثقة واليقين بنصر الله عز وجل، ويَعِدُهم ويُبشرهم بفتح الشام وفارس واليمن.

عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: (أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفر الخندق، قال وعرض لنا فيه صخرة لم تأخذ فيها المعاول، فشكوناها إلى

---

(١٥١) زاد المعاد في هدي خير العباد، (٣/ ١٥٥) سير أعلام النبلاء ط الحديث، (١/ ٣٣٧) .

(١٥٢) سورة الاحزاب ، الآيات ٩-١١ .

رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجاء فأخذ المعول ثم قال: «باسم الله» ، فضرب ضربة، فكسر ثلث الحجر، وقال: «الله أكبر، أُعْطِيتُ مفاتيح الشام، والله إني لأبصر قصورها الحمر من مكاني هذا» ، ثم قال: «باسم الله» ، وضرب أخرى، فكسر ثلث الحجر، فقال: «الله أكبر، أعطيت مفاتيح فارس، والله إني لَأُبْصِر المدائن، وأُبْصِر قصرها الأبيض من مكاني هذا» ، ثم قال: «باسم الله» ، وضرب ضربة أخرى، فقلع بقية الحجر، فقال: «الله أكبر، أُعْطيتُ مفاتيح اليمن، والله إني لأبصر أبواب صنعاء من مكاني هذا[١٥٣]»

ولما بشر النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه بهذه البشريات قال المنافقون: إن محمداً يعدنا بكنوز كسرى وقيصر، ولا يأمن أحدنا أن يخرج إلى قضاء حاجته.

وقد نصر الله عز وجل المسلمين في غزوة الأحزاب انتصاراً عظيما، وتحقق لهم كل ما بشرهم به النبي صلى الله عليه وسلم. وقد روى البيهقي السنن الكبرى قوله صلى الله عليه وسلم: "«والذي نفسي بيده، ليفرّجنّ الله عنكم ما ترون من شدّة، وإني لأرجو أن أطوف بالبيت العتيق آمنًا، وأن يدفع الله إليّ مفاتيح الكعبة، وليهلكنّ الله كسرى وقيصر، ولتُنفقُنّ كنوزهما في سبيل الله[١٥٤]»

٤ ـ غزوة خيبر:

عن أنس رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه و سلم خرج إلى خيبر فجاءها ليلا، وكان إذا جاء قوما بليل لا يغير عليهم حتى يصبح، فلما أصبح خرجت يهود بمساحيهم ومكاتلهم (آلات زراعية)، فلما رأوه

---

(١٥٣) رواه احمد (١٨٦٩٤) والروياني في المسند (٤١٠)والنسائي في السنن الكبرى (٨٨٥٨) والبيهقي في دلائل النبوة (٤٢١/٣)

(١٥٤) رواه البيهقي في السنن الكبرى (١٧٨٦٣).

قالوا: محمد والله، محمد والخميس (الجيش)، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: « خربت خيبر، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المُنْذَرين[١٥٥]»

قال ابن حجر في "فتح الباري": "قال السهيلي: يُؤْخَذُ مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ التَّفَاؤُلُ لِأَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا رَأَى آلَاتِ الْهَدْمِ مَعَ أَنَّ لَفْظَ الْمِسْحَاةِ مِنْ سَحَوْتُ إِذَا قَشَّرْتُ أُخِذَ مِنْهُ أَنَّ مَدِينَتَهُمْ سَتَخْرَبُ[١٥٦].

التفاؤل في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم.

سيرة النبي صلى الله عليه وسلم فيها الكثير من المواقف التي تبعث على البُشرى والتفاؤل، وتُجدد الأمل، وتقوي اليقين، وتؤكد على حصول التمكين لأمتنا، والنصر لها على أعدائها، على الرغم مما عانته وتعانيه من ابتلاءات في بعض المراحل والأوقات، فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوى لي منها[١٥٧]» .

فالتفاؤل والأمل مِن هَدْي نبينا صلى الله عليه وسلم، ـ التفاؤل والأمل ـ نِبراسٌ يضيء الطريق والحياة، وفجرٌ ساطِعٌ في دياجِير الكُرُبات والابتلاءات، وعلى ذلك ربَّى النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه، فكانوا يرون أن المِحن والابتلاءات ليست إلا سحابة عن قليلٍ ستزول وتنقشع بفضل الله تعالى ورحمته، قال الله تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا * إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾[١٥٨] .

قال السعدي: "بشارة عظيمة، أنه كلما وُجِدَ عُسْرٌ وصعوبة، فإن اليسر يقارنه ويصاحبه، حتى لو دخل العُسر جُحْر ضبٍّ لدخل عليه اليُسر، فأخرجه كما قال

---

(١٥٥) رواه البخاري (٤١٩٧) ومسلم (١٣٦٥) .

(١٥٦) فتح الباري لابن حجر، (٧/ ٤٦٨) .

(١٥٧) رواه مسلم، رقم: (٢٨٨٩) .

(١٥٨) سورة الشرح، الآيات ٥-٦ .

تعالى: ﴿سَيَجْعَلُ اللهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾[١٥٩] ، وكما قال النبي صلى الله عليه وسلم: «وإن الفرج مع الكرب، وإن مع العسر يسر[١٦٠]»[١٦١].

فكلّ شدّة فرجُها آتٍ وقريب، فالله عز وجل بيده مقادير الأمور، وهو سبحانه الذي يكشف الضرّ، ويجعل بعد العُسر يسرًا، وبعد الضيق فرجًا ومخرجاً لكل أزمة ومِحْنة، قال الله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا اسْتَيْئَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ وَلاَ يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾[١٦٢]. وليس المقصود بالبُشرى والأمل في سيرة وهَدْي النبي صلى الله عليه وسلم الاستسلام للمِحن حتى يأتي الفرج، لكنّ المقصود هو النظرة إلى المِحن والابتلاءات بعين الأمل الذي يبعث على العمل، لا بِعَيْن اليَأْس الذي يدفع إلى الإحباط والكسل، ومِن ثم فالمسلم يظل متمسكا بدينه ثابتا عليه، مؤدياً لواجبه في العمل على نُصرة الإسلام وإنْ كثُرت المحن والشدائد، قال الله تعالى: ﴿يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[١٦٣] ، وقال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ﴾[١٦٤] .

السيرة النبوية زاخرة بالمواقف والأحداث التربوية، التي نحتاج أن ننهل منها ونستضيء بنورها في حياتنا، قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً﴾[١٦٥] .

---

(١٥٩) سورة الطَّلاق ، الآية ٧ .

(١٦٠) رواه أحمد، رقم: (٢٨٠٣)، والبيهقي في شعب الإيمان، رقم: (١٠٤٣) وأبو نعيم في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (١/ ٣١٤)والطبراني في الكبير، رقم: (١١٢٤٣) وصححه الألباني في صحيح الجامع، رقم: (٦٨٠٦) .

(١٦١) تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن (ص: ٩٢٩) .

(١٦٢) سورة يوسف ، الآية ١١٠ .

(١٦٣) سورة آل عمران ، الآية ١٧١ .

(١٦٤) سورة الأنفال ، الآية ٦٠ .

(١٦٥) سورة الأحزاب ، الآية ٢١ .

قال ابن كثير: "هذه الآية أصل كبير في التأسي برسول الله صلى الله عليه وسلم في أقواله وأفعاله وأحواله، ولهذا أُمِرَ الناسُ بالتأسي بالنبي صلى الله عليه وسلم يوم الأحزاب في صبره ومصابرته، ومرابطته ومجاهدته، وانتظاره الفرج من ربه عز وجل[١٦٦].

نشر الأمن والطمأنينة من منهج الأنبياء عليهم السلام.

إن من منهج الأنبياء عليهم السلام نشر الأمن والطمأنينة في نفوس المؤمنين، وهذا هو القصد من بعثتهم، وهو الدعوة إلى توحيد الله عز وجل وإفراده بالعبادة، التي يتحقق بهما الأمن والطمأنينة لهذا شرط إبراهيم الخليل عليه السلام في دعوته بأن يجعل البلد الحرام آمنا ويرزق أهله من الثمرات بالإيمان بالله واليوم الآخر، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾[١٦٧].

وهذا شعيب عليه السلام يطمأن موسى عليه السلام، ويأمنه من خوفه، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾[١٦٨] وهذا القول من الشيخ الكبير لموسى، صادف مكانه، وطابق مقتضاه، فقد كان موسى- عليه السلام- أحوج ما يكون في ذلك الوقت إلى نعمة الأمان والاطمئنان، بعد أن خرج من مصر خائفاً.

وهكذا تتكرر قصص الأنبياء مع أقوامهم بالدعوة إلى النجاة من الخوف والقلق وذلك عن طريق التقرير بأن الله واحد لا شريك له، وهو المستحق للعبادة قال

---

(١٦٦) تفسير ابن كثير، (٦/ ٣٩١) .

(١٦٧) سورة البقرة ، الآية ١٢٦ .

(١٦٨) سورة القصص ، الآية ٢٥ .

تعالى: ﴿وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾[١٦٩]، ومن معاني الألوهية أنها تعبيد الخلق، وتحقيق العبودية الخالصة يكون الأمن والطمأنينة.

ومن معاني الطمأنينة في لغة العرب: السكون، والوثوقية، والاستئناس، والاستيطان بالأرض ولا يكون إلا مع الأمان، والإخبات، وكلها جاءت في كتب اللغة، فالطُّمَأْنِينَةُ: السُكُونُ، وأَطْمَأَنَّ: سَكَنَ، واطمأن إليه: سكن إليه ووثق به، اطْمأَنّ الرّجل، واطمأنّ قَلْبُهُ، واطمأنَّتْ نَفْسُه إذا سَكَنَ واستأنس.

وَقيل فِي تَفْسِير قَوْله تَعَالَى: ﴿يا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ [١٧٠]، هِيَ الَّتِي قد اطمأنت بِالْإِيمَان وأخبتت لربّها.

وَقَوله تَعَالَى: ﴿وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾[١٧١] ، أَي: ليسكن إِلَى المعاينة بعد الْإِيمَان بِالْغَيْبِ. والاسمُ: الطُّمأنينة.

أَخْبَتَ إِلَى ربه _ أَي: اطمأَنَّ إِلَيْهِ، قَالَ أَبو إِسحق فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلاةَ﴾[١٧٢]؛ أَي إِذا سَكَنَتْ قُلُوبُكُمْ[١٧٣].

وقَولُه تَعالَى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهمُ بِذِكْرِ الله﴾[١٧٤] ، معناهُ إذا ذُكِرَ اللهُ بوَحْدانِيتِّه آمَنُوا به غَيْرَ شاكِّينَ. وقَوْلُه تَعَالى: ﴿ قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ﴾[١٧٥] ، قَالَ الزّجَّاجُ: مَعْناهُ مُسْتَوْطِنِينَ الأَرْضَ[١٧٦].

---

(١٦٩) سورة البقرة ، الآية ١٦٣.

(١٧٠) سورة الْفجْر ، الآية ٢٧ .

(١٧١) سورة الْبَقَرَة ، الآية ٢٦٠ .

(١٧٢) سورة البقرة ، الآية ١٠٣ .

(١٧٣) التفسير الوسيط - مجمع البحوث، (٢/ ٨٩٨) التفسير البسيط، (٧/ ٦٣).

(١٧٤) سورة الرعد ، الآية ٢٨ .

(١٧٥) سورة الإسراء ، الآية ٩٥ .

(١٧٦) معاني القرآن وإعرابه للزجاج، (٣/ ٢٦١) .

قال ابن فارس: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ﴾ أي: على وجهٍ، لأن العبد يجب عليه طاعة الله جل ثناؤه عند السراء والضراء، فإذا أطاعه عند السراء وعصاهُ عند الضراء فذاك ممن عبد الله على حرف، ألا ترى أنه قال: ﴿فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ﴾[١٧٧]،[١٧٨]، وإنما تجب على العبد طاعة الله عز وجل على كل حال.

ومن مصادر الاطمئنان؛ الإيمان بالله عز وجل:

قال تعالى في سورة البقرة: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾[١٧٩] قال الحسن وقتادة وسعيد بن جبير والربيع: سأل ليزداد يقينا إلى يقينه[١٨٠]، أي إن الإيمان كاف لا يحتاج معه إلى تنقير وبحث.

قال القرطبي رحمه الله: "والطمأنينة: اعتدال وسكون، فطمأنينة الأعضاء معروفة، كما قال عليه السلام: (ثم اركع حتى تطمئن راكعاً) الحديث ،وطمأنينة القلب هي أن يسكن فكره في الشيء المعتقد"[١٨١].

ويدخل في الإيمان بالله عز وجل أركانه المتقررة في حديث جبريل ـ عليه السلام ـ وهي إجابة الرسول صلى الله عليه وسلم له بأن الإيمان: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ[١٨٢]» فَجَعَلَ ذَلِكَ كُلَّهُ دِينًا

---

(١٧٧) سورة الحج ، الآية ١١ .

(١٧٨) مجمل اللغة لابن فارس، (ص: ٢٢٦) .

(١٧٩) سورة البقرة. الآية ٢٦٠.

(١٨٠) تفسير القرطبي (٣/ ٢٩٨) .

(١٨١) تفسير القرطبي (٣/ ٣٠٠).

(١٨٢) رواه مسلم، رقم: (٨) .

إنّ الإيمان بالله بالنسبة لبقية الأصول والفروع كأصل الشجرة بالنسبة للسوق والفروع، فهو أصل الأصول، وقاعدة الدّين، وكلما كان حظ المرء من الإيمان بالله عظيماً كان حظه في الإسلام كبيراً.

ولا يخفى على كل مسلم أهمية الإيمان، وعظم شأنه، وكثرة عوائده وفوائده على المؤمن في الدنيا والآخرة، بل إن كل خير في الدنيا والآخرة متوقف على تحقق الإيمان الصحيح، فهو أجل المطالب، وأهم المقاصد، وأنبل الأهداف، وبه يحيا العبد حياة طيبة سعيدة، وينجو من المكاره والشرور والشدائد، وينال ثواب الآخرة ونعيمها المقيم وخيرها الدائم المستمر الذي لا يحول ولا يزول .قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[١٨٣].

ومن مصادر الطمأنينة أيضاً طاعة الله عز وجل فيما أمر به ونهى عنه، فَإِنَّ قَلْبَ الْمُؤْمِنِ يَطْمَئِنَّ إِلَى الْحَلَالِ وَيَضْطَرِبُ عِنْدَ الْحَرَامِ، ولذلك كانت شعب الإيمان كثيرة، أعلاها: لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، وقد ألف فيها علماء الحديث ودونوها في كتبهم تحت مسمى: (شعب الإيمان)، وهي في مجموعها تدل على أن الإيمان لا ينفك عن السلوك، أي: عن سلوك الإنسان كله في علاقته مع ربه ونفسه والناس، ومع الكون المحيط به أيضا، إذ أن كل هذه العلاقات محكومة بأوامر تشريعية، وسنن كونية، وكلما اختلت اختل معها نظام تلك العلاقات فأدت إلى انعدام الطمأنينة.

ومن مصادر الطمأنينة شكر الله عز وجل على ما أنعم به علينا من نعم ظاهرة وباطنة، وهذا الشكر هو الذي يقيد النعم، ومن أهمها الأمن والطمأنينة، والإمداد بشتى صنوف الأطعمة، قال تعالى: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ الَّذِي

---

(١٨٣) سورة النحل ، الآية ٩٧ .

أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾[١٨٤] قال ابن كثير رحمه الله: " أرشدهم إلى شكر هذه النعمة العظيمة فقال: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ﴾، أي: فليوحدوه بالعبادة، كما جعل لهم حرما آمنا وبيتا محرما، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾[١٨٥]، وقوله: ﴿الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ﴾، أي: هو رب البيت، وهو الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف، أي: تفضل عليهم بالأمن والرخص فليفردوه بالعبادة وحده لا شريك له، ولا يعبدوا من دونه صنما ولا ندا ولا وثنا. ولهذا من استجاب لهذا الأمر جمع الله له بين أمن الدنيا وأمن الآخرة، ومن عصاه سلبهما منه، كما قال تعالى: ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾[١٨٦]،[١٨٧].

هذا مثل أريد به أهل مكة، فإنها كانت آمنة مطمئنة مستقرة يتخطف الناس من حولها، ومن دخلها آمن لا يخاف، وقيل أيضا "والمعنى جعل أهلها مثلاً لأهل مكة خاصة، أو لكل قوم أنعم الله عليهم فأبطرتهم النعمة، ففعلوا ما فعلوا فبدل الله بنعمتهم نقمة ودخل فيهم أهل مكة دخولاً أولياً.

ومن التفسير الإشاري إشارة إلى أن قَرْيَةً هي قرية شخص الإنسان كانَتْ آمِنَةً، أي: آهلة وهو الروح الإنساني مُطْمَئِنَّةً بذكر الله يَأْتِيها رِزْقُها من المواهب مِنْ كُلِّ مَكانٍ روحاني وجسماني فَكَفَرَتْ النفس الأمارة فَأَذاقَهَا اللَّهُ لِباسَ الْجُوعِ، وهو

---

(١٨٤) سورة قريش ، الآيات ٣- ٤ .

(١٨٥) سورة النمل ، الآية ٩١ .

(١٨٦) سورة النحل ، الآية ١١٢ .

(١٨٧) تفسير ابن كثير ت سلامة، (٨/ ٤٩٢) .

انقطاع مواد التوفيق فأكلوا من جيفة الدنيا وميتة المستلذات وَالْخَوْفِ وهو خوف الانقطاع عن الله".

قال الإمام الألوسي في تفسيره: وقيل: يفهم من كلام بعضهم أن الاطمئنان أثر الأمن ولازمه من حيث إن الخوف يوجب الانزعاج وينافي الاطمئنان،...وذكر الإمام أن الآية تضمنت ثلاث نعم جمعها قولهم:

ثلاثة ليس لها نهاية ... الأمن والصحة والكفاية

فآمنة إشارة إلى الأمن ومُطْمَئِنَّةً إلى الصحة ويَأْتِيها رِزْقُها إلخ إلى الكفاية[١٨٨].

وفي الختام نقرر حقيقة تدعونا نحن المؤمنين إلى الشعور بالأمن والطمأنينة، وهي: أن هناك قوة واحدة في هذا الوجود هي قوة الله، وأن هناك قيمة واحدة في هذا الكون، هي قيمة الإيمان.

فمن كانت قوة الله معه فلا خوف عليه، ولو كان مجرداً من كل مظاهر القوة، ومن كانت قوة الله عليه فلا أمن له ولا طمأنينة، ولو ساندته جميع القوى، ومن كانت له قيمة الإيمان فله الخير كله، ومن فقد هذه القيمة فليس بنافعه شيء أصلاً.

التفاؤل في حال الفقر وضيق العيش.

إن الرزق والأجل قرينان مضمونان ، فما دام الأجل باقياً كان الرزق آتياً .

تعتبر قضية الرزق من القضايا التي تشغل بال كثير من الناس، وتُسبِّب لبعضهم همًّا وغمًّا، وخوفًا وجزعًا؛ وذلك لِما قد يحيط بهذه القضية من وهمٍ ولَبْسٍ في أذهانهم - لا في حقيقة الأمر - ولِما قد يكون لهم حولها من تصورات خاطئة؛ ما يورث عندهم ضعف الإيمان، وقلة الثقة واليقين في الخالق الرزاق سبحانه.

---

(١٨٨) تفسير الألوسي = روح المعاني، (٧/ ٤٧٧) .

لذا؛ فمن المهم جدًّا تسليط الضوء على جوانبَ من هذه القضية؛ لتبديد ما يحيطها من لبس، ودفع ما يكتنفها من أوهام؛ حتى تسكن وتهدأ النفوس المضطربة، وتطمئن وترتاح القلوب المنزعجة.

الإضاءة الأولى: الرزق مُقَدَّر ومضمون.

إن الخالق جل وعلا قدَّر وقسم لكل مخلوق حظَّه ونصيبه من الرزق، ضمن مجموع ما كتب من مقادير الخلائق كلها، وذلك قبل أن يخلق السماوات والأرض؛ ففي الحديث عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((كتب الله مقاديرَ الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة))[١٨٩]

وإذا تمَّ الإنسان في بطن أمه أربعة أشهر، أرسل الله تعالى إليه الْمَلَكَ وأمره بنفخ الروح فيه، وكتابة ما قسم له من رزق وأَجَلٍ، وعمل ومصير؛ وهذا ما أخبر به نبينا صلى الله عليه وسلم إذ قال: ((يُجمَع خَلْقُ أحدكم في بطن أمه أربعين يومًا نطفة، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يُرسَل إليه الْمَلَكُ فينفخ فيه الروح، ثم يُؤمَر بكَتْبِ أربع كلمات؛ بكتب رزقه، وأجَلِه، وعمله، وشقي أو سعيد))[١٩٠] .

وبهذا فإن الرب الكريم سبحانه وتعالى قد ضمِن لكل إنسان - بل لكل مخلوق - رزقه؛ فلا يضيع ولا ينتقص؛ قال الله تعالى: ﴿ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ * فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ ﴾[١٩١]، وقال تعالى: ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا

---

(١٨٩) رواه مسلم، رقم: (٢٦٥٣) .

(١٩٠) رواه البخاري، رقم: (٣٢٠٨)، ومسلم، رقم: (٢٦٤٣) باختلاف يسير.

(١٩١) سورة الذاريات ، الآيات ٢٢- ٢٣ .

كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾[١٩٢]، وقال: ﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾[١٩٣]، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: (لو أن ابن آدم هرب من رزقه كما يهرُب من الموت، لأدركه رزقه كما يُدْرِكُه الموت)[١٩٤] .

فلا يليق بالمؤمن إذًا إلا أن يقوِّيَ يقينه في ربه الكريم جل وعلا، فيطمئن قلبه، وتسكن نفسه، ويهدأ باله؛ قيل لحاتم رضي الله عنه: عَلَام بنيتَ عملك؟ قال: على أربع؛ أحدها: علمتُ أن لي رزقًا لا يجاوزني إلى غيري، كما لا يجاوز رزق أحد إليَّ، فوثقت به.

والثاني: علمت أن عليَّ فرضًا لا يؤديه غيري، فأنا مشغول به.

والثالث: علمت أن ربي يراني كل وقت فأستحي منه.

والرابع: علمت أن لي أجلًا يبادرني فأنا أبادره[١٩٥] .

الإضاءة الثانية: الرزق مقرون بالأجل.

جعل الله تعالى رِزْقَ الإنسان مقرونًا بأجله، فلا ينفد نصيبه من الرزق، إلا بانقضاء أجَلِه، ولا يزال يُرزَق ما دام حيًّا، فلِمَ الخوف والقلق؟!

جاء في الحديث عن جابر رضي الله عنهما، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: (يا أيها الناس، إن أحدكم لن يموت حتى يستكمل رزقه، فلا تستبطئوا الرزق، ، فخُذُوا ما حلَّ لكم، وذَروا ما حرم الله)[١٩٦] ..

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: "فرِّغ خاطرك للهَمِّ بما أُمِرت به، ولا تشغله بما ضُمِن لك؛ فإن الرزق والأجل قرينان مضمونان، فما دام الأجل باقيًا، كان الرزق

---

(١٩٢) سورة هود ، الآية ٦ .

(١٩٣) سورة العنكبوت ، الآية ٦٠ .

(١٩٤) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، (٧/ ٩٠) وحسنه الألباني في صحيح الجامع، (٥٢٤٠) .

(١٩٥) تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين للسمرقندي (ص: ٥٩٢) .

(١٩٦) رواه ابن ماجه، رقم: (٢١٤٤) وصححه الألباني في صحيح الجامع، رقم: (٢٧٤٢) .

آتيًا، وإذا سدَّ عليك بحكمته طريقًا من طُرُقه، فتح لك برحمته طريقًا أنفعَ لك منه، فتأمل حال الجنين يأتيه غذاؤه وهو الدم، من طريق واحدة وهو السرة، فلما خرج من بطن الأم، وانقطعت تلك الطريق فتح له طريقين اثنين، وأجرى له فيهما رزقًا أطيبَ وألذَّ من الأول؛ لبنًا خالصًا سائغًا، فإذا تمت مدة الرضاع، وانقطعت الطريقان بالفطام، فتح طرقًا أربعة أكملَ منها؛ طعامان، وشرابان؛ فالطعامان من الحيوان والنبات، والشرابان من المياه والألبان"[١٩٧] .

الإضاءة الثالثة: رزق الله واسع.

يضيق مفهوم الرزق عند كثير من الناس؛ إذ يحصُرونه في المال فقط، والحقيقة أن مفهوم الرزق أوسع من ذلك، وما المال إلا جزء يسير منه، وصنف واحد من أصنافه العديدة.

فالرزق هو كل ما يوصله الرزاق سبحانه لعباده من عطايا ومواهبَ كثيرة ومتعددة، لا تُعَدُّ ولا تُحصَى، منها ما هو أعظم قيمة ونفعًا من المال؛ فالصحة والعافية، والسلامة من الأمراض رزق، والزوجة الصالحة رزق، والذرية الطيبة رزق، والجار الصالح رزق، والإخوان الذين يسندونك وتسندهم رزق، والصحبة الصالحة التي تنصحك وتعينك على دينك ودنياك رزق، والأمن والاستقرار رزق، وطمأنينة القلب وراحة البال رزق، والتوفيق للعمل الصالح رزق، والخُلُق الحسن رزق، والسلامة من الفتن رزق، والعلم رزق، والإيمان رزق، والهداية إلى سبيل الله رزق، والثواب رزق، والجنة رزق؛ إلخ.

وقد ذُكِرَ الرزق في مواضع كثيرة من القرآن الكريم بمعانٍ متعددة، فجاء في بعض المواضع بمعنى الأموال والأولاد والثمرات، ونحوها من العطايا المادية، وجاء

---

(١٩٧) الفوائد لابن القيم (ص: ٥٧) .

في مواضع أخرى بمعنى العلم والإيمان، والثواب والجنة، ونحوها من المواهب الربانية.

فمن ذلك مثلًا: قوله جل وعلا: ﴿ فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾[١٩٨]، والمراد هنا بالرزق الكريم هو الجنة؛

قال الإمام القرطبي رحمه الله: "إذا سمعت الله تعالى يقول: (ورزق كريم)، فاعلم أنه الجنة"[١٩٩].

وقوله: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴾[٢٠٠] .

قال الشيخ السعدي رحمه الله: "ورزق ربك العاجل من العلم والإيمان، وحقائق الأعمال الصالحة، والآجل من النعيم المقيم، والعيش السليم، في جوار الرب الرحيم خيرٌ[٢٠١]"

وهكذا، فإن مفهوم الرزق يتسع ليشمل مختلف النعم والعطايا الربانية، المادية والمعنوية، الظاهرة والباطنة.

الإضاءة الرابعة: الرزق نوعان: مادي ومعنوي.

أما الرزق المادي: فهو الرزق الدنيوي الذي تقوم به الأبدان؛ من أكل، وشرب، ولباس، ومسكن، ومركب، ونحو ذلك، وهذا الصنف يعطيه الله تعالى للمؤمن والكافر، وقد يعطي الكافر أكثر مما يعطي المؤمن، أو العكس، وذلك وفق عدله وحكمته سبحانه.

---

[١٩٨] سورة لحج ، الآية ٥٠ .

[١٩٩] صفوة التفاسير ،(٢/ ٢٦٩) .

[٢٠٠] سورة طه ، الآية ١٣١.

[٢٠١] تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن، (ص ٥١٧) .

وأما الرزق المعنوي: فهو ما يقوم به الدين؛ من علم وهداية، وإيمان وتقوى، وعمل صالح واستقامة، ونحوها، وهذا الصنف من الرزق لا يعطيه الله تعالى إلا من يحب من عباده الصالحين؛ قال سبحانه: ﴿ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾[٢٠٢] .

قال الإمام أبو حامد الغزالي: والرزق رزقان:

أ – رزق ظاهر: وهي الأقوات والأطعمة، وذلك للظواهر، وهي: الأبدان.

ب – رزق باطن: وهي المعارف و المكشفات، وذلك للقلوب والأسرار، وهذا أشرف الرزقين؛ فإن ثمرته حياة الأبد، وثمرة الرزق الظاهر قوة الجسد إلى مدة قريبة الأبد..."

وقال الشيخ السعدي: "فالرزق الدنيوي يحصل للمؤمن والكافر، وأما رزق القلوب من العلم والإيمان، ومحبة الله وخشيته ورجائه، ونحو ذلك، فلا يعطيها إلا من يحب[٢٠٣]"

الإضاءة الخامسة: الرزق بين العطاء والمنع، وبين البسط والقَدْر.

تتفاوت أرزاق العباد بين العطاء والمنع، وبين البسط والقدر؛ فالله سبحانه يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر، ويوسع لمن يشاء في بعض أصناف الرزق، ويُضيِّق عليه في أخرى، ويعطي من يشاء ما يشاء، ويمنع من يشاء ما يشاء؛ وفق مقتضى علمه وعدله وحكمته، وهو سبحانه القابض الباسط، العليم الحكيم، وهو أعلم بعباده وبما فيه صلاح معاشهم ومعادهم؛ قال جل وعلا: ﴿ وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ

---

(٢٠٢) سورة البقرة، الآية ٢١٢ .

(٢٠٣) تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن، (ص ٩٥) .

تُرْجَعُونَ ﴾[٢٠٤]، وقال: ﴿ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ﴾[٢٠٥]، وقال تعالى:﴿ وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ ﴾[٢٠٦] ، وقال عزَّ مِن قائِل: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴾[٢٠٧]، وقال سبحانه: ﴿ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾[٢٠٨]، وقال المولى تبارك وتعالى: ﴿ وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴾[٢٠٩] .

هذا، وقد أرشد الله تعالى، ورسوله الكريم ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى أسباب البسط في الرزق والعطاء؛ ومن هذه الأسباب ما يأتي:

أولاً: تقوى الله عز وجل وعبادته:

قال الله تعالى: ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾[٢١٠]

وقال في الحديث القدسي: (يا بن آدم، تفرَّغ لعبادتي، أملأ صدرك غنًى، وأسُدَّ فقرك، وإلَّا تفعل، ملأت يديك شغلًا، ولم أسُدَّ فقرك[٢١١]) .

---

(٢٠٤) سورة البقرة ، الآية ٢٤٥ .

(٢٠٥) سورة الرعد ، الآية ٢٦ .

(٢٠٦) سورة النحل ، الآية ٧١ .

(٢٠٧) سورة الإسراء ، الآية ٣٠ .

(٢٠٨) سورة العنكبوت ، الآية ٦٢ .

(٢٠٩) سورة الشورى ، الآية ٢٧ .

(٢١٠) سورة الطلاق ، الآيات ٢-٣ .

(٢١١) رواه الترمذي، رقم: (٢٤٦٦)، وابن ماجة، رقم: (٤١٠٧)، وأحمد، رقم: (٨٦٩٦)، والبيهقي، رقم: (٩٨٥٦) وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٩١٤) .

ثانياً: اجتناب المعاصي، والإكثار من الاستغفار:

فأما المعاصي؛ فإنها تُورِث حرمان الرزق؛ قال ابن القيم رحمه الله: "ومن عقوبات الذنوب أنها تُزِيل النِّعَم، وتُحِل النقم، فما زالت عن العبد نعمة إلا بذنب، ولا حلَّت به نقمة إلا بذنب[٢١٢]"

وأما الاستغفار؛ فإنه يجلب الرزق ويحفظ النعم؛ قال الله تعالى: ﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴾[٢١٣]

ثالثاً: صلة الرحم.

قال النبي صلى الله عليه وسلم: (من أحبَّ أن يُبسَط له في رزقه، ويُنْسَأ له في أثَرِه؛ فلْيَصِلْ رحِمه)[٢١٤] .

رابعاً: الصدقة والإنفاق في سبيل الله.

ففي الحديث القدسي: عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (قال الله تعالى: أنفِقْ يا بن آدم؛ يُنفَق عليك)[٢١٥] .

الكتاب والسنة نور، فإذا استنار به الإنسان، اتضحت له حقيقة الأمور، واستبانت له معالم الطريق الصحيح، وأبصر وجهته وغايته؛ فغَشِيَ قلبه الرضا والطمأنينةُ والسكينة، وإذا أعرض عنه، تخبَّط في الظلام، والتبست عليه الأمور، وأحاطت به الشُّبُهات والأوهام، وفَقَدَ الرؤية السليمة والوجهة الصحيحة، وضلَّ

---

(٢١٢) الداء والدواء ط المجمع، (١/ ١٧٩) .

(٢١٣) سورة نوح ، الآيات ١٠ - ١٢.

(٢١٤) رواه البخاري، رقم: (٥٩٨٦)، ومسلم، رقم: (٢٥٥٧).

(٢١٥) رواه البخاري، رقم: (٥٣٥٢)، ومسلم، رقم: (٩٩٣).

السبيل؛ فعاش في قلق وخوف وجزع، ليس بخصوص قضية الرزق فقط، بل تجاه كل أمور وقضايا الحياة.

قواعد هامة في قضية الرزق:

في حديث الصادق المصدوق الذي رواه ابن مسعود في الصحيحين: قال صلى الله عليه وسلم: (إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً نطفة، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يرسل الله تعالى إليه الملك فينفخ فيه الروح، ويؤمر بأربع كلمات: رزقه، وأجله، وعمله، وشقي أم سعيد، ...)[٢١٦]

فأخبر صلى الله عليه وسلم أن الجنين إذا بلغ في بطن أمه مائة وعشرين يوماً، أتاه الملك الموكل بالأرواح والأجنة، فينفخ فيه روح الحياة، ثم يكتب ماله من رزق، وكم له من عمر، وما قدر له من عمل، وهل هو من السعداء أم من الأشقياء.. نعوذ بالله من الشقاء وأهله.

فلما كانت قضية الرزق قضية شاغلة، تشغل البال وتستحوذ على الفكر والعقل، واهتمامات الناس، أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يخفف عنهم من غلوائها، ويهون على النفوس من ضغطها، فأخبر أن الله قدر الأرزاق كما قدر الأعمار والأعمال.

لماذا نذكر هذه القضية؟

هذه قضية هامة لابد أن نذّكرَ بها ونتذكرها، لأن الكثير منا لما غفلوا عنها أو جهلوها أو تناسوها، ظنوا أنهم خلقوا في هذه الحياة ليلهثوا وراء أرزاقهم، ويجمعوا حطام الحياة، فحملهم هذا على التنافس المقيت على نيل مطامع الدنيا، واشتد ولعهم بزينتها ومفاتنها، واشتد حرصهم على جمع حطامها وكأنهم يهربون من فقر

---

(٢١٦) رواه البخاري، رقم: (٣٢٠٨)، ومسلم ، رقم: (٢٦٤٣) باختلاف يسير.

يدفعون إليه دفعاً، حتى بلغ الحرص بالبعض أنه يتمنى أن يأخذ ما في يد الآخرين من زخرف الدنيا، بل يسعى في انتزاعه منهم ولو بغير حق، ولو من طريق الحرام.

وما زال حب المال والتكاثر في جمعه يطغى على القلوب حتى أصبح المال إلها يعبد ومعبودا يقصد، كما قال صلى الله عليه وسلم: (تعس عبد الدينار، تعس عبد الدرهم)[٢١٧].

وما زال الناس يلهثون وراء جمع المال والحطام حتى وقع أكثرهم في عين ما حذرهم الله منه بقوله: ﴿ الْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ * حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ * كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾[٢١٨]. وحتى وقعوا فيما خاف عليهم النبي صلى الله عليه وسلم الوقوع فيه حين قال: (والله ما الفقر أخشى عليكم، ولكني أخشى أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم، فتنافسوها كما تنافسوها، وتهلككم كما أهلكتهم)[٢١٩].

قواعد في قضية الرزق:

إننا حين نستعرض قضية الرزق والسعي في تحصيله، لابد وأن نتذكر أموراً غاية في الأهمية:

أولاً: إن كره الفقر وحب الغنى أمران فطريان:

والشريعة الغراء لا تقف في وجه الفطرة أبداً، ولكنها في ذات الوقت تحث على الاعتدال والتوازن في كل شيء حتى في المال.

---

(٢١٧) رواه البخاري، رقم: (٢٨٨٧) باختلاف يسير.

(٢١٨) سورة التكاثر، الآيات ١-٣.

(٢١٩) رواه البخاري، رقم: (٤٠١٥) ومسلم، رقم: (٢٩٦١).

فالإسلام لم يحث على الفقر؛ لأن الفقر كاد أن يكون كفرا، والنبي صلى الله عليه وسلم كان يستعيذ بالله من الكفر والفقر.

ولكن الشرع في ذات الوقت ينهى المسلم عن الركض الأعمى وراء المال وطلب الغنى، وأن تصبح الدنيا هي المنية، والسعي في تحصيلها هو الغاية، فينشغل بما ضمنه الله له، عما خلقه الله له وهو عبادته: ﴿وَمَا خَلَقتُ الجنَّ والإنسَ إلا ليعبُدُون﴾[٢٢٠].

ومن كان هذا حاله أفسد دينه ودنياه ﴿فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ [٢٢١] ، وكما في الحديث: (من كانت الدنيا همه، فرق الله عليه أمره، وجعل فقره بين عينيه، ولم يأته من الدنيا إلا ما كتب له، ومن كانت الآخرة نيته، جمع الله له أمره، وجعل غناه في قلبه، وأتته الدنيا وهي راغمة)[٢٢٢] .

فهو في الدنيا تائه ضال، وفي الآخرة معذب خاسر: ﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ *الَّذِي جَمَعَ مَالا وَعَدَّدَهُ* يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ* كَلاَّ لَيُنبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ﴾[٢٢٣] .

ثانياً: أن الله تعالى قد تكفل بأرزاق الخلائق وضمنها لهم:

فالرزق يطلب العبد أكثر مما يطلبه العبد، قال تعالى: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُم وَمَا تُوعَدُون﴾[٢٢٤] ، وقال تعالى: ﴿وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها﴾[٢٢٥] ،

---

(٢٢٠) سورة الذاريات ، الآية ٥٦ .

(٢٢١) سورة النجم ، الآية ٢٩ .

(٢٢٢) رواه الترمذي، رقم: (٢٤٦٥)، واللفظ له، وابن ماجه، رقم: (٤١٠٥)، وأحمد، رقم: (٢١٥٩٠)، وصححه الألباني في صحيح الجامع، رقم: (٦٥١٠) .

(٢٢٣) سورة الهمزة ، الآيات ١-٣.

(٢٢٤) سورة الذاريات ، الآية ٢٢ .

(٢٢٥) سورة هود ، الآية ٦ .

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾[٢٢٦] .

وقال تعالى: ﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[٢٢٧].

فرزقك قد ضمنه الله لك كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إن روح القدس نفث في روعي أن نفسا لن تموت حتى تستكمل أجلها، وتستوعب رزقها، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب)[٢٢٨] .

والله والله أيمان مكررة .. .. ثلاثة عن يمين بعد ثانيها
لو أن في صخرة صما ململمة .. .. في البحر راسية ملس نواحيها
رزقا لعبد باها الله لانفلقت .. .. حتى تؤدي إليه كل ما فيها
أو كان فوق طباق السبع مسلكها .. .. لسهل الله في المرقى مراقيها
حتى ينال الذي في اللوح خط له .. .. فإن أتته وإلا سوف يأتيها

ثالثاً: الرزق مضمون والسعي مطلوب:

فليس معنى أن الرزق مضمون ألَّا يسعى العبد في تحصيله، وأن ينام في بيته منتظراً أن يأتيه إلى بابه، هذا فهم بليد، وعقل غير رشيد، وقد ذكروا للإمام أحمد "أن رجلا يقول: إنه يجلس في بيته أو مسجده حتى يأتيه رزقه.

فقال: هذا رجل جاهل العلم [٢٢٩].

([٢٢٦]) سورة الأنعام ، الآية ١٥١ .

([٢٢٧]) سورة العنكبوت ، الآية ٦٠ .

([٢٢٨]) رواه ابن ماجه، رقم: (٢١٤٤)، وأبو نعيم في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، رقم: (١٠/ ٢٧) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٠٨٥) .

([٢٢٩]) موسوعة الأخلاق والزهد والرقائق، (١/ ٥٧) .

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : « لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق ويقول اللَّهُمَّ ارزقني فقد علمتم أن السماء لا تمطر ذهبًا ولا فضة»[٢٣٠] .

وقال ربنا سبحانه: ﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ﴾[٢٣١] ، وقال تعالى: ﴿وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾[٢٣٢] .

فالمطلوب هو: السعي وحسن التوكل على الرب تعالى، وقد جاء في الحديث: «لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله؛ لرزقكم كما يرزق الطير: تغدوا خماصاً، وتروح بطاناً»[٢٣٣] .

فعلى العبد السعي في الطلب، والأخذ بالسبب، والتعلق بالمسبب، والتوكل على الرزاق سبحانه وتعالى، وفي هذا يقول الشافعي:

توكلت في رزقي على الله خالقي .. .. وأيقنت أن الله لا شك رازقي
وما كان من رزقي فليس يفوتني .. .. وإن كان في قاع البحار العوامق
سيأتي به الله العظيم بمنه .. .. ولو لم يكن مني اللسان بناطق

رابعاً: الغنى والفقر ابتلاء.

وقد أكد الله ذلك في كتابه فقال: ﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ * وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ * كَلَّا بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ﴾[٢٣٤]، ويقول المولى تبارك وتعالى: ﴿وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ

---

(٢٣٠) موسوعة الألباني في العقيدة، (٩/ ٥٩٥) .

(٢٣١) سورة الملك ، الآية ١٥ .

(٢٣٢) سورة الجمعة ، الآية ١٠ .

(٢٣٣) رواه الترمذي، رقم: (٢٣٤٤)، وابن ماجه، رقم: (٤١٦٤)، وأحمد، رقم: (٢٠٥)، واللفظ له، وصححه الألباني في صحيح الجامع، رقم: (٥٢٥٤) .

(٢٣٤) سورة الفجر ، الآيات ١٥- ١٧ .

فِتْنَةً ﴾[٢٣٥]، ونجد أن سيدنا سليمان لما أعطاه الله ما أعطاه من الملك والغنى، يقول: ﴿ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ﴾ [٢٣٦] .

فإذا ابتلاك الله فضيَّق عليك فاصبر وارض، وإذا أنعم الله عليك فاشكر وأدِّ حق الله عليك في مالك.

خامساً: السعادة ليست في المال فقط.

إنَّما المال سببٌ ضِمْن مجموعة من الأسباب، فكم من غني يملك من المال ما لا يعد، والدنيا كلها في يديه، وهو من أشقى الناس. إما لبخله، فهو بخيل شحيح، فقير في صورة غني، يتمنى كل من حوله وفاته، وإما لمرضه، فهو ممنوع من أكل أكثر الأصناف، محروم من فعل كثير من الأشياء ،فلا تحسدن أحدا على رزق وهبه الله إياه، فإنك لا تدري ما منعه مقابل ذلك.

ثم قد يكون الفقر نعمة والغنى نقمة، خصوصاً في أمر الآخرة.

يقول أبو حازم: "نعمة الله فيما زوي عني من الدنيا أعظم من نعمته فيما أعطاني منها، لأني رأيته أعطاها قوماً فهلكوا"[٢٣٧].

قال ابن مسعود: "ما من يوم إلا وينادي ملك من تحت العرش: يا ابن آدم! قليل يكفيك خير من غنى يطغيك[٢٣٨] "

---

(٢٣٥) سورة الأنبياء ، الآية ٣٥ .

(٢٣٦) سورة النمل ، الآية ٤٠ .

(٢٣٧) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء ، (٣/ ٢٣٣) وابن أبي الدنيا في الشكر لابن أبي الدنيا، (ص ٤٢).

(٢٣٨) إحياء علوم الدين (٤/ ١٩٩).

سادساً: إياك والحرام.

إياك أن يحملك استبطاء الرزق أو قلته على أن تطلبه بمعصية الله فتسلك مسالك الحرام في تحصيله؛ فتفسد دينك ودنياك وأخراك؛ قال صلى الله عليه وسلم: (اتقوا الله وأجملوا في الطلب، ولا يحملن أحدكم استبطاء الرزق أن يطلبه بمعصية الله؛ فإن الله تعالى لا ينال ما عنده إلا بطاعته)[٢٣٩] .

فإن الكسب الحرام يورث غضب الجبار، ويدخل صاحبه النار كما في حديث كعب بن عجرة قال له صلى الله عليه وسلم: (يا كعب إنه لن يربو لحم نبت من سحت إلا كانت النار أولى به)[٢٤٠] والسحت: كل مال اكتسب من حرام.

وكسب الحرام وبال على الفرد حينما يكسبه من ربا أو رشوة أو ظلم أو غش أو أكل لأموال الناس بالباطل.

والمال الحرام مستخبث الأصول، ممحوق البركة والمحصول، إن أنفقه صاحبه في بر لم يقبل، وإن بذله في نفع لم يشكر، بل هو شؤم على صاحبه وضرر على جامعه في كل حال؛ قال صلى الله عليه وسلم: (لا يكسب عبد مالا من حرام فينفق منه فيبارك له فيه، ولا يتصدق به فيقبل منه، ولا يتركه خلف ظهره إلا كان زاده إلى النار)[٢٤١] .

نسأل الله تعالى أن يرزقنا رزقاً حلالاً طيباً، وأن يبارك لنا فيه.

---

(٢٣٩) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، (١٠/ ٢٦)، وصححه الألباني في صحيح الجامع، رقم: (٢٠٨٥) .

(٢٤٠) رواه الترمذي، رقم: (٦١٤) وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، رقم: (١٧٢٩) وصحيح الترمذي (٦١٤) .

(٢٤١) الترغيب والترهيب، (٣/١٤)

مفاتيح الفرج:

التي دعا بها الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ، فأجاب الله دعائهم، وهي مستنبطة من كتاب الله، ومن سنة رسوله صلى الله عليه وسلم، يفتح الله بها الأقفال المغلقة بحوله وقوته.

سيفتح الله بابا كنت تحسبه من شدة الياس لم يخلق بمفتاح

فكن على يقين به سيجعل الله بعد عسر يسراً، وليس لنا غير الله في تفريج الكروب، وزوال الهموم وتنفيس الكروب.

لـنا بـــالله آمـــالٌ وســـلوى وعـند الله ما خاب الرجاءُ
إذا اشتدت رياحُ اليأْس فينا سيعقبُ ضيقَ شدتِها الرخاءُ
أمـــانينا لـــها ربٌّ كـريـــمٌ إذا أعطى سيدهشُنا العطـاءُ

القرآن الكريم المعجزة الخالدة، والشفاء من كل داء، والغنى من كل فقر، والهدى من كل ضلالة ،وأسماء الله الحسنى، والصلاة المفروضة ، والصلاة على رسول الله عليه الصلاة والسلام، والدعاء بإخلاص وحضور قلب، التوسل إلى الله، والاستغفار والتوحيد ،وتفويض الأمر لله والأنس بالله .

وهنا لابد أن نعلم أن هذه المفاتيح تزيل عن قلب المؤمن كل هم وغم، ويلجأ إليها كوسيلة لاستجلاب رحمة الله وقدرته في إجابة دعواته وحفظه من كل مكروه، أو تلبية حاجة من حوائج الدنيا أو الآخرة، لكن رغم أن هذه المفاتيح مفاتيح وجدت للتفريج عن المؤمن، إلا أنها لا تجاب منه ولن يتحقق منها شيء إلا بيقينه التام بإجابة دعائه وصدقه التام مع ربه.

فلا بد أن يكون العبد على طاعة وتوحيد واستجابة لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم وليس لنا فرج إلا من الحي القيوم تبارك وتعالى.

يا صاحبَ الهمِّ إنَّ الهمَّ مُنْفَرِجٌ ... أَبْشِرْ بخيرٍ فإنَّ الفارجَ اللهُ
اليأسُ يَقْطَعُ أحيانًا بصاحِبِهِ ... لا تَيْأَسَنَّ فإنَّ الكافيَ اللهُ
اللهُ يُحْدِثُ بعدَ العُسرِ مَيْسَرَةً ... لا تَجْزَعَنَّ فإنَّ القاسمَ اللهُ
إذا بُلِيتَ فثِقْ باللهِ، وارْضَ بهِ ... إنَّ الذي يَكْشِفُ البَلْوَى هو اللهُ
واللهِ مَا لَكَ غيرُ اللهِ مِن أحدٍ ... فحَسْبُكَ اللهُ في كلٍّ لكَ اللهُ

المفتاح الأول: قراءة سورة الفاتحة بالتدبر.

سورة الفاتحة:

سورة الفاتحة: فيها سرٌ عجيب، وهي الكافية والشافية والراقية .

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (١) الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٢) الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٣) مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ (٤) إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (٥) اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (٦) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ (٧) ﴾[٢٤٢] .

وقال تعالى: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾[٢٤٣] .

المفتاح الثاني : ملازمة ورد يومي من القرآن الكريم، مهما كانت الظروف ومهما كنت مشغولاً لا تنفك عنه أبداً .

---

(٢٤٢) سورة الفاتحة ١-٧ .

(٢٤٣) سورة الاسراء . الآية ٨٢ .

المفتاح الثالث: إقامة الصلاة فرضاً ونفلاً.

عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «حُبِّب إليَّ الطِّيب، والنساء، وجعلت قرة عيني في الصلاة»[٢٤٤]. وقرة العين كناية عن الفرح والسرور.

المفتاح الرابع: لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين.

روى الترمذيُّ عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «دَعْوَةُ ذِي النُّونِ إِذْ دَعَا وَهُوَ فِي بَطْنِ الحُوتِ: ﴿ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[٢٤٥]. فَإِنَّهُ لَمْ يَدْعُ بِهَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلَّا اسْتَجَابَ اللَّهُ لَهُ» [٢٤٦]

المفتاح الخامس : لا إله إلا الله العظيم الحليم لا إله إلا الله رب العرش الكريم لا إله إلا الله رب السماوات ورب الأرض ورب العرش العظيم.

روى الشيخانِ عَنْ عَبْدِاللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ عِنْدَ الكَرْبِ: «لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ العَظِيمُ الحَلِيمُ، لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ العَرْشِ العَظِيمِ، لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَرَبُّ الأَرْضِ، وَرَبُّ العَرْشِ الكَرِيمِ»[٢٤٧] .

([٢٤٤]) رواه النسائي، رقم: (٣٩٤٠)، وأحمد، رقم: (١٤٠٣٧) باختلاف يسير، والبيهقي، رقم: (١٣٨٣٦)، واللفظ له وحسنه الألباني في مشكاة المصابيح، (٣/ ١٤٤٨) (٥٢٦١) .

([٢٤٥]) سورة الأنبياء ، الآية ٨٧ .

([٢٤٦]) رواه الترمذي، رقم: (٣٥٠٥) واللفظ له، والنسائي في السنن الكبرى، رقم: (١٠٤٩٢)، وأحمد، رقم: (١٤٦٢)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، (٢/ ٢٨٢) .

([٢٤٧]) رواه البخاري، رقم: (٦٣٤٦)، ومسلم، رقم: (٢٧٣٠).

المفتاح السادس : اللّٰهُمَّ اني اعوذ بك من الهم والحزن والعجز والكسل والجبن والبخل وضلع الدين، وغلبة الرجال.

روى البخاريُّ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الهَمِّ وَالحَزَنِ، وَالعَجْزِ وَالكَسَلِ، وَالجُبْنِ وَالبُخْلِ، وَضَلَعِ الدَّيْنِ، وَغَلَبَةِ الرِّجَالِ»[٢٤٨] .

المفتاح السابع: تفويض الأمر لله الدعاء بهذا الدعاء العظيم.

روى أحمدُ عَنْ عَبْدِاللهِ بْنِ مَسْعُودٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا قَالَ عَبْدٌ قَطُّ إِذَا أَصَابَهُ هَمٌّ وَحَزَنٌ: اللهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ، وَابْنُ عَبْدِكَ، ابْنُ أَمَتِكَ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ، عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ، سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ، أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي، وَنُورَ صَدْرِي، وَجِلَاءَ حُزْنِي، وَذَهَابَ هَمِّي، إِلَّا أَذْهَبَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ هَمَّهُ، وَأَبْدَلَهُ مَكَانَ حُزْنِهِ فَرَحًا»[٢٤٩].

([٢٤٨]) رواه البخاري، رقم: (٦٣٦٩).

([٢٤٩])رواه أحمد، رقم: (٣٧١٢)، واللفظ له، وابن حبان، رقم: (٩٧٢)، والطبراني، رقم: (٢١٠/١٠)، ورقم: (١٠٣٥٢) باختلاف يسير وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، (١٨٢٢) .

المفتاح الثامن : اللَّهُمَّ رحمتك ارجو فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين .

روى أبو داود عَنْ ابي بكرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « دَعَوَاتُ الْمَكْرُوبِ: اللَّهُمَّ رَحْمَتَكَ أَرْجُو، فَلَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَأَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ» (٢٥٠).

روى الترمذيُّ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا كَرَبَهُ أَمْرٌ قَالَ: « يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ»(٢٥١).

المفتاح التاسع : الله الله ربي لا أشرك به شيئاً.

روى ابن ماجه عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ عُمَيْسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: عَلَّمَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَلِمَاتٍ أَقُولُهُنَّ عِنْدَ الْكَرْبِ: «اللَّهُ، اللَّهُ رَبِّي، لَا أُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا» (٢٥٢) .

المفتاح العاشر : لاحول ولا قوة الا بالله فهي كنز من كنوز الجنة وهي كلمة استعانة وتفويض.

---

(٢٥٠) رواه أحمد، رقم: (٣٤/ ٧٥)، وأبو داود، رقم: (٤/ ٣٢٤)، وينظر: صحيح أبي داود؛ للألباني، حديث: (٤٢٤٦).

(٢٥١)رواه الترمذي، رقم: (٣٥٢٤) واللفظ له .

(٢٥٢) رواه ابن ماجه، رقم: (٣٨٨٢)، والنسائي في السنن الكبرى، رقم: (١٠٤٠٨)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٢٦٢٣)

المفتاح الحادي عشر: حسبي الله ونعم الوكيل.

فوائد قول حسبنا الله ونعم الوكيل :

١ـ تعدُّ هذه الكلمة سبباً في النجاة من المهلكات، فقد كانت سبباً في نجاة سيدنا إبراهيم عليه السلام، ونجاة النبي صلى الله عليه وسلم ومن معه من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين.

٢ـ أنها سببٌ في تفريج الهموم والكروب .

٣ـ أنها سببٌ لحفظ الله ـ عز وجل ـ لعباده ورعايته لهم من كل مكروه وسوء.

٤ـ كانت آخر كلام إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام، حينما ألقى في النار قالها: فنجاه الله، وقال: يا نار كوني برداً وسلاماً.

المفتاح الثاني عشر: قراءة سورة الشرح.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ (١) وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ (٢) الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ (٣) وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ (٤) فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (٥) إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (٦) فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ (٧) وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ (٨)﴾[٢٥٣].

قال أحدهم:

إذا ضاقت بك الدنيا ففكر في "ألم نشرح" فعسراً بين يسرينِ متى تذكرهما تفرح

([٢٥٣]) سورة الشرح ، الآيات ١-٨ .

المفتاح الثالث عشر : الدعاء المستجاب.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال كنت جالسا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجل يصلي فقال: « اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ الْحَمْدَ، لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ وَحْدَكَ لاَ شَرِيكَ لك الْمَنَّانُ بَدِيعَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ، يَا ذَا الْجَلاَلِ وَالإِكْرَامِ، يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ، إِنِّي أَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ فقال النبي صلى الله عليه وسلم لقد دعا الله باسمه العظيم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى»[٢٥٤] .

وما من كُرْبة إلا ستُجـــلى كما يُجـــلى عن الأفق الغبـار
ويعقب عُسرها يُسْرٌ لطيف ويشـرق من هزيمتهـا انتصـار

أسألُ اللهَ تعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العُلا أن يجعلَ هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، وأن يجعله ذُخْرًا لي عنده يوم القيامة.﴿ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾[٢٥٥].

تفاءل بأن رزقك موجود، ولكن قم بالسبب المطلوب، وبالجملة فالطاعات كلها سبب لزيادة الأرزاق والبركة فيها .

تَوَكَّلتُ في رِزقي عَلى اللهِ خـالِقي وَأَيقَنتُ أَنَّ اللهَ لا شَكَّ رازِقـي
وَما يَكُ مِن رِزقي فَلَيسَ يَفوتَني وَلَو كانَ في قاعِ البِحارِ العَوامِـقِ
سَيَأتي بِهِ اللهُ العَظـيمُ بِفَضلِـهِ وَلَو لَم يَكُن مِنّي اللِسانُ بِناطِقِ
فَفي أَيِّ شَيءٍ تَذهَبُ النَفس حَسرَةً وَقَد قَسَمَ الرَحمَنُ رِزقَ الخَلائِقِ

---

(٢٥٤) رواه أبو داود، رقم: (١٤٩٥)، وابن ماجه، رقم: (٣٨٥٨)، وأحمد، رقم: (١٢٢٠٥)، والنسائي، رقم: (١٣٠٠) وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٥/ ٢٣٣) (١٣٤٢٩)

(٢٥٥) سورة الشعراء ، الآيات ٨٨- ٨٩ .

خلاصة ما سبق، فإن مفاتيح الرزق هي:

أولًا: تقوى الله تبارك وتعالى.

ثانيًا: التوبة والاستغفار.

ثالثًا: بر الوالدين وصلة الرحم.

رابعًا: الإنفاق في سبيل الله.

خامسًا: الإحسان إلى الضعفاء.

سادسًا: استحضار القلب في العبادات.

سابعًا: شكر الله على النعم الموجودة.

ثامنًا: الزواج.

تاسعاً: التوكل على الله.

عاشراً: الاستغفار.

هذه مفاتيح، والله هو الغني الفتاح العليم:

﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[٢٥٦]

قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ * مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ * إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴾[٢٥٧] .﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾[٢٥٨] .

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « يد الله ملأى لا يغيضها نفقة سحاء الليل والنهار وقال: أرأيتم ما أنفق سبحانه وتعالى ينفق أرأيتم

---

(٢٥٦) سورة ال عمران ، الآية ٢٦ .

(٢٥٧) سورة الذاريات ، الآيات ٥٦-٥٨ .

(٢٥٨) سورة الحجر ، الآية ٢١ .

ما أنفق منذ خلق السماوات والأرض فإنه لم يغض ما في يده وقال: وعرشه على الماء، وبيده الأخرى الميزان، يخفض ويرفع»[٢٥٩] حديث عظيم من أحاديث عظمة رب العالمين.

وفي رواية لهما: يمين الله ملأى، أرأيتم ما أنفق منذ خلق السماوات والأرض؛ فإنه لم ينقص ما في يمينه، وعرشه على الماء، وبيده الأخرى الفيض أو القبض يرفع ويخفض »[٢٦٠] .

آلاء الله تعالى وفضله على عباده.

- عَنْ أَبِي ذَرٍّ الْغِفَارِيِّ - رضي الله عنه - عَنْ النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - فِيمَا يَرْوِيهِ عَنْ رَبِّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، أَنَّهُ قَالَ: «يَا عِبَادِي: إِنِّي حَرَّمْت الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْته بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا؛ فَلَا تَظَالَمُوا. يَا عِبَادِي! كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْته، فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ. يَا عِبَادِي! كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلَّا مَنْ أَطْعَمْته، فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ. يَا عِبَادِي! كُلُّكُمْ عَارٍ إِلَّا مَنْ كَسَوْته، فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ. يَا عِبَادِي! إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا؛ فاستغروني أَغْفِرْ لَكُمْ. يَا عِبَادِي! إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضُرِّي فَتَضُرُّونِي، وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي. يَا عِبَادِي! لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ، مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا. يَا عِبَادِي! لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا. يَا عِبَادِي! لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، فَسَأَلُونِي، فَأَعْطَيْت كُلَّ وَاحِدٍ مَسْأَلَته، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ. يَا عِبَادِي! إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ، ثُمَّ

---

(٢٥٩)رواه البخاري، رقم: (٤٦٨٤) باختلاف يسير، ومسلم ، رقم: (٩٩٣) بلفظ: "يمين الله" سبحانه .

(٢٦٠) رواه البخاري، رقم: (٧٤١٩) .

أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا؛ فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدْ اللَّهَ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يَلُومَن إِلَّا نَفْسَهُ" [٢٦١] .

فضل الله عظيم ورزقه واسع شامل عليكم بالدعاء فهو المفتاح العظيم.

جاءَتْ فاطمةُ إلى رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم تسأَلُه خادمًا فقال لها : (قولي : اللَّهمَّ ربَّ السَّمواتِ السَّبعِ وربَّ العرشِ العظيمِ ربَّنا وربَّ كلِّ شيءٍ أنتَ الظَّاهرُ فليس فوقَكَ شيءٌ وأنتَ الباطنُ فليس دونَكَ شيءٌ مُنزِلَ التَّوراةِ والإنجيلِ والفُرقانِ فالقَ الحَبِّ والنَّوى أعوذُ بكَ مِن شرِّ كلِّ شيءٍ أنتَ آخِذٌ بناصيتِه أنتَ الأوَّلُ فليس قبْلَكَ شيءٌ وأنتَ الآخِرُ فليس بعدَكَ شيءٌ اقضِ عنَّا الدَّينَ وأَغْنِنا مِن الفقرِ)[٢٦٢] .

لا تخاف على رزقك.

فسبحان الله الذي يرزق الطير في الثلج ،والحوت في الماء ،والحيوان في الغابات القاحلة ،والنمل في اطباق الأرض وفي بطون الصخور .

قال الله تعالى: ﴿ وَكَأَيِّن مِن دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[٢٦٣]، وقال الله تعالى: ﴿ وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾[٢٦٤] .

الآجال والأرزاق مكتوبة ومحسوبة :

كما أن الأرزاق والآجال، لا تأتي إلا من عند الله تعالى وحده؛ فإنها كذلك مكتوبة ومحسوبة ، ومحدودة ومعدودة .

---

(٢٦١) رواه مسلم، رقم: (٢٥٧٧) .

(٢٦٢) رواه الترمذي، رقم: (٣٤٨١)، وابن حبان، رقم: (٩٦٦) وصححه الألباني في صحيح الجامع، (٤٤٢٤)

(٢٦٣) سورة العنكبوت ، الآية ٦٠ .

(٢٦٤) سورة هود ، الآية ٦ .

عن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قال: حدثنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو الصادق المصدوق، قال: (إن أحدكم يُجمع في بطن أمه أربعين يومًا، ثم يكون علقةً مثل ذلك، ثم يكون مضغةً مثل ذلك، ثم يبعث الله ملكًا فيؤمر بأربع كلمات: بِرِزْقِه وَأَجَلِه وشَقِيّ أو سعيد)[٢٦٥].

ما كتب لك فلن يغادرك ابدا كن على ثقة ويقين لَو كانَ في صَخرَةٍ في البَحرِ راسيَة صَمّاءَ مَلمومَةٍ مُلسٍ نَواحيها رِزقٌ لِعَبدٍ يَراهُ اللَهُ لانغَلَقَت حَتّى يَؤدّى إِلَيهِ كُلُّ ما فيها.

أَو كانَ تَحتَ طِباقِ السَبعِ مَطلَبُها كَسَهَّلِ اللَهِ في المَرقى مَراقيها حَتّى تُودّي الَّذي في اللَوحِ خُطَّ لَهُ إِن هِيَ أَتَتهُ وَإِلّا سَوفَ يَأتيها"

وعن أبي أمامه الباهلي ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن روحَ القُدُسِ نفثَ في رُوعِي ، أنَّ نفسًا لَن تموتَ حتَّى تستكمِلَ أجلَها ، وتستوعِبَ رزقَها ، فاتَّقوا اللهَ ،وأجمِلُوا في الطَّلَبِ ، ولا يَحمِلَنَّ أحدَكم استبطاءُ الرِّزقِ أن يطلُبَه بمَعصيةِ اللهِ ، فإنَّ اللهَ تعالى لا يُنالُ ما عندَه إلَّا بِطاعَتِهِ"[٢٦٦] .

الأرزاقَ مقسومةٌ ومُقدَّرةٌ كالآجالِ، ولو فرَّ الإنسانُ من رِزْقِهِ كما يَفِرُّ من أَجَلِهِ لأَدْرَكَهُ رِزْقُه كما يُدْرِكُه أَجَلُه"

وعن جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنهما ـ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "لوْ أنَّ ابنَ آدمَ هربَ منْ رزقِهِ كمَا يهربُ منَ الموتِ، لأدركَهُ رزقُهُ كمَا يدركُهُ الموتُ"[٢٦٧] .

([٢٦٥]) رواه البخاري، رقم: (٣٢٠٨)، ومسلم، رقم: (٢٦٤٣) باختلاف يسير .

([٢٦٦]) رواه أبو نعيم في الحلية، (١٠/ ٢٧)، وصححه الألباني في صحيح الجامع، (٢٠٨٥) .

([٢٦٧]) رواه أبو نعيم في الحلية، (٧/ ٩٠)، وصححه الألباني في صحيح الجامع(٥٢٤٠) .

قال المنّاوي –رحمه الله- في فيض القدير:"لَوْ أَنّ ابْنَ آدَمَ هَرَبَ مِنْ رِزْقِهِ كَمَا يَهْرَبُ مِنَ الْمَوْتِ؛ لَأَدْرَكَهُ رِزْقُهُ كَمَا يُدْرِكُهُ الْمَوْتُ [٢٦٨]"

لأنّ الله تعالى ضَمَنَه له؛ فقال: ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾[٢٦٩].

ثمّ لم يكتف بالضَّمان حتى أقسم؛ فقال:

﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ * فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ﴾[٢٧٠] ثمّ لم يكتف حتى أمر بالتَّوكل وأبلغ وأنذر؛ فقال: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾[٢٧١].

فإنْ لم يطمئن بضمانه، ولم يقنع بقَسَمِهِ، ولم يبال بأمره ووعده ووعيده؛ فهو من الهالكين.

وقال هرم بن حيان لابن أدهم: "أين تأمرني أن أقيم؟ قال بيده إلى الشام؛ قال: وكيف المعيشة فيها؟ قال: أُفٍّ لهذه القلوب، لقد خالطها الشَّك فما تنفعها الموعظة!"[٢٧٢]

اعلم يا مسلم: أن رزقك وأجلك بيد الحي القيوم ليس بيد البشر، فكن في طمأنينة.

وفي الحديث عنِ ابنِ عبَّاسٍ قالَ : كنتُ رِدفَ رسولِ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ فالتفتَ إليَّ" فقالَ : يا غلامُ ، احفَظِ اللَّهَ يحفَظكَ ، احفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ أمامَكَ ، تَعرَّف إلى اللَّهِ في الرَّخاءِ ، يَعرِفْكَ في الشِّدَّةِ قد جفَّ القلَمُ بما هوَ كائنٌ ، فلَو أنَّ الخلقَ كُلَّهُم جميعًا أرادوا أن ينفَعوكَ بشَيءٍ لم يقضِهِ اللَّهُ لَكَ ، لَم يَقدِروا عليهِ ، أو

---

[٢٦٨] فيض القدير (٥/ ٣٨٩) .

[٢٦٩] سورة هود ، الآية ٦ .

[٢٧٠] سورة الذاريات ، الآية ٢٢- ٢٣ .

[٢٧١] سورة الفرقان ، الآية ٥٨ .

[٢٧٢] فيض القدير (٥/ ٣٠٦) .

أرادوا أن يضرُّوكَ بشيءٍ لم يقضِهِ اللَّهُ علَيكَ ، لَم يقدِروا علَيهِ ... واعلَم أنَّ ما أصابَكَ لم يكُن ليُخطِئَك وما أخطأكَ لم يكُن ليُصيبَكَ ، واعلَم أنَّ النَّصرَ معَ الصَّبرِ ، وأنَّ الفرجَ معَ الكربِ ، وأنَّ معَ العُسرِ يُسرًا "[٢٧٣]، وفي رواية الإمام أحمد: "احفظ الله تجده أمامك، تعرَّفْ إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة، واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، وما أصابك لم يكن ليخطئك، واعلم أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يُسرًا "[٢٧٤]

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ان اللهُ عزَّ وجلَّ فرغ إلى كلِّ عبدٍ من خمْسٍ : من أجلِهِ ، ورِزقِهِ ، وأثَرِهِ ، ومَضجَعِهِ ، وشقِيٍّ أوْ سعيدٍ"[٢٧٥] كل شَيءٍ خلقَهُ اللهُ مُقدَّرٌ كائِنٌ كما أرادَ سُبْحانَهُ وتَعالى؛ فما مِن شَيءٍ يَجْري في مَلَكوتِهِ إلَّا بِقَدَرِهِ وعِلمِهِ سُبْحانَهُ.

قدم مجموعه من الشعراء على هشام بن عبد الملك وكان بينهم الشاعر عروة بن أذينة فلما دخلوا عليه عرف عروه فقال ألست القائل:

لقد علمتء وما الإسراف من خُلقي .. أنَّ الذي هو رزقي سوف يأتيني

أسعى إليه فيعييني تطلُّبُـــه .. ولو قعدتُ أتاني لا يُعنّيني[٢٧٦]

وأراك قد جئت من الحجاز إلى الشام في طلب الرزق فقال له: يا أمير المؤمنين زادك الله بسطة في العلم والجسم، ولا ردَّ وافدَك خائباً والله لقد بالغتَ في الوعظ وأذكرتني ما أنسانيه الدهر، وخرج من فوره إلى راحلته فركبها وتوجه راجعاً إلى

([٢٧٣]) رواه الترمذي، رقم: (٢٥١٦)، واللفظ له، وأحمد ، رقم: (٢٨٠٣) باختلاف يسير. وصححه الألباني في مشكاة المصابيح (٣/ ١٤٥٩) .

([٢٧٤]) رواه أحمد، رقم: (٢٨٠٣)

([٢٧٥]) رواه أحمد، رقم: (٢١٧٢٣)، وابن حبان، رقم: (٦١٥٠)، والطبراني في المعجم الأوسط، رقم: (٣١٢٠). قال الشيخ شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح.و صححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته (٢/ ٧٧٤) .

([٢٧٦]) التذكرة الحمدونية (٣/ ١٢٣) .

الحجاز، فلما كان في الليل، ذكره هشام، وهو في فراشه، فقال رجل من قريش: قال حكمه ووفد إلي فجبهته ورددته عن حاجته، وهو مع ذلك شاعر لا آمن ما يقول: فلما أصبح سأل عنه فأُخبر بانصرافه فقال: لا جرَم ليعلم أن الرزق سيأتيه ثم دعا مولى له وأعطاه ألفي دينار، وقال:

الحق بهذه ابن أذينة وأعطه إياها قال الرجل: فلم أدركه إلا وقد دخل بيته فقرعتُ الباب عليه فخرج إلي فأعطيته المال، فقال: أبلغ أمير المؤمنين قولي سعيتُ فأكديتُ ورجعتُ إلى بيتي فأتاني رزقي .

ولطالما عرفت أن الآجال والأرزاق مكتوبة ومحسوبة فادفع همهما عن نفسك .

قال الشاعر :

سَـهِـرَتْ أَعْـيُـنٌ وَنَـامَتْ عُـيُونُ فِـي أُمُـورٍ تَـكُـونُ أَوْ لَا تَـكُونُ
فَادْرَأْ الْهَمَّ مَا اسْتَطَعْتَ عَنِ النَّفْـ ـسِ فَـحُـمْـلَانُـكَ الْـهُمُومَ جُنُونُ
إِنَّ رَبًّـا كَفَـاكَ بِـالْأَمْـسِ مَـا كَا نَ سَـيَكْفِـيكَ فِي غَدٍ مَا يَكُونُ

مرَّ إبراهيم بن أدهم على رجل ينطق وجهه بالهم والحزن، فقال له إبراهيم : يا هذا إني أسالك عن ثلاثة فاجبني : فقال له الرجل نعم.

فقال له إبراهيم : أيجري في هذا الكون شي لا يريده الله ؟

فقال : لا.

قال: أينقص من أجلك لحظة كتبها الله لك في الحياة ؟

قال لا.

قال : أينقص رزقك شيء قدره الله.

قال لا .

قال إبراهيم : فعلام الهم إذن؟

دع المقادير تجرى في أعنتها ولا تنامن إلا خـــالي البال
ما بين غمضـــة وانتباهتها يغير الله من حال إلى حال

ولكن ليس معنى هذا أن المسلم يترك العمل ويبذل السبب، لا، ولكن هي سنة الله في خلقه.

عن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لو أنكم كنتم توَكَّلُون على الله حق توَكُّلِهِ لرزقكم كما يرزق الطير، تَغْدُو خِمَاصَاً، وتَرُوحُ بِطَاناً»[٢٧٧] .

يرشدنا هذا الحديث إلى أن نتوكل على الله تعالى في جميع أمورنا، وحقيقة التوكل: هي الاعتماد على الله عز وجل في استجلاب المصالح ودفع المضار في أمور الدنيا والدين؛ فإنه لا يعطي ولا يمنع ولا يضر ولا ينفع إلا هو سبحانه وتعالى، وأن على الإنسان فعل الأسباب التي تجلب له المنافع، وتدفع عنه المضار مع التوكل على الله، يقول تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾[٢٧٨] ، ويقول تعالى: ﴿وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾[٢٧٩]، فمتى فعل العبد ذلك رزقه الله كما يرزق الطير التي تخرج صباحا وهي جياع ثم تعود مساءً وهي ممتلئة البطون.

من فوائد الحديث:

- فضيلة التوكل، وأنه من أعظم الأسباب التي يستجلب بها الرزق.
- التوكل لا ينافي النظر إلى الأسباب، فإنه أخبر أن التوكل الحقيقي لا يضاده الغدو والرواح في طلب الرزق.
- اهتمام الشريعة بأعمال القلوب؛ لأن التوكل عمل قلبي.

---

(٢٧٧) رواه الترمذي، رقم: (٢٣٤٤)، وابن ماجه، رقم: (٤١٦٤)، وأحمد ، رقم: (٢٠٥)، واللفظ له وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (١/ ٦٢٠) .

(٢٧٨) سورة الطلاق ، الآية ٣ .

(٢٧٩) سورة يوسف ، الآية ٦٧ .

- التوكل على الله سبب معنوي في جلب الرزق ولا ينافيه فعل السبب الحسي.

مشروعية التوكل على الله في كل المطالب، وهو من واجبات الإيمان، قال تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[٢٨٠] .

قصة تدل على التوكل:

حاتم الأصم مدرسة في التوكل ، قيل لحاتم الأصم -رحمه الله- على ما بنيت أمرك في التوكل؟

قال: على خصال أربعة:

* علمت أن رزقي لا يأكله غيري، فاطمأنت به نفسي.
* وعلمت أن عملي لا يعمله غيري، فأنا به مشغول.
* وعلمت أن الموت يأتي بغتة، فأنا أبادره.
* وعلمت أني لا أخلو من عين الله، فأنا مستحي منه[٢٨١].

الإسلام يدعو للعمل والكسب الطيب فإن المسلم مطالب بأخذ الأسباب المشروعة، وقد قال أهل العلم: الأخذ بالأسباب عبادة والاعتماد عليها شرك، ومن أخذ بالأسباب ولو كانت ضعيفة ثم اعتمد على الله تعالى فقد امتثل.

قال شيخ الاسلام ابن تيمية: الالتفات إلى الأسباب، واعتبارها مؤثرة في المسببات شرك في التوحيد، ومحو الأسباب أن تكون أسبابا نقص في العقل ،والإعراض عن الأسباب المأمور بها قدح في الشرع.

ويقول شارح العقيدة الطحاوية: قد يظن بعض الناس أن التوكل ينافي الاكتساب، وتعاطي الأسباب، وأن الأمور إذا كانت مقدرة فلا حاجة إلى الأسباب، وهذا فاسد، فإن الاكتساب منه فرض، ومنه مستحب، ومنه مباح،

([٢٨٠]) سورة المائدة ، الآية ٢٣ .

([٢٨١]) صفة الصفوة، (٢/ ٣٤٠) .

ومنه مكروه، ومنه حرام، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم أفضل المتوكلين يلبس لأمة الحرب، ويمشي في الأسواق للاكتساب[٢٨٢].

قال ابن القيم: فلا تتم حقيقة التوحيد إلا بمباشرة الأسباب التي نصبها الله تعالى، وإن تعطيلها يقدح في نفس التوكل، وإن تركها عجز ينافي التوكل الذي حقيقته اعتماد القلب على الله في حصول ما ينفع العبد في دينه ودنياه، ودفع ما يضره في دينه ودنياه، ولا بد من هذا الاعتماد من مباشرة الأسباب، وإلا كان معطلاً للحكمة والشرع، فلا يجعل العبد عجزه توكلاً ولا توكله عجزاً[٢٨٣].

وقال ابن حجر في الفتح: المراد بالتوكل اعتقاد ما دلت عليه هذه الآية: (وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها)[٢٨٤]، [٢٨٥]

وليس المراد به ترك التسبب والاعتماد على ما يأتي من المخلوقين، لأن ذلك قد يجر إلى ضد ما يراه من التوكل، وقد سئل أحمد عن رجل جلس في بيته، أو في المسجد وقال: لا أعمل شيئا حتى يأتيني رزقي، فقال: هذا رجل جهل العلم، فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم:(إن الله جعل رزقي تحت ظل رمحي)[٢٨٦].

وقال: «لَوْ أنكم تَوَكَّلْتُمْ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ تَغْدُو خِمَاصًا، وَتَرُوحُ بِطَانًا»[٢٨٧] فذكر أنها تغدو وتروح في طلب الرزق، قال: وكان الصحابة يتجرون ويعملون في نخيلهم والقدوة بهم.

([٢٨٢]) شرح الطحاوية ت الأرناؤوط، (٢/ ٣٥١) .

([٢٨٣]) زاد المعاد في هدي خير العباد، (٤/ ١٤) .

([٢٨٤]) فتح الباري لابن حجر، (١١/ ٣٠٥) .

([٢٨٥]) سورة هود ، الآية ٦.

([٢٨٦])رواه البخاري معلقاً بصيغة التضعيف قبل حديث، رقم: (٢٩١٤) مختصراً، وأخرجه موصولاً أحمد (٥١١٥) باختلاف يسير.

([٢٨٧]) رواه ابن ماجة، رقم: (٤١٦٤).

وجاء في الموسوعة الفقهية: ذهب عامة الفقهاء والمحققون إلى أن التوكل على الله لا يتنافى مع السعي والأخذ بالأسباب من مطعم ومشرب وتحرز من الأعداء وإعداد الأسلحة واستعمال ما تقتضيه سنة الله المعتادة مع الاعتقاد أن الأسباب وحدها لا تجلب نفعا ولا تدفع ضرا، بل السبب ـ العلاج ـ والمسبب ـ الشفاء ـ فعل الله تعالى، والكل منه وبمشيئته، وقال سهل: من قال: التوكل يكون بترك العمل فقد طعن في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال الرازي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾[٢٨٨].

دلت الآية: على أنه ليس التوكل أن يهمل الإنسان نفسه كما يقول بعض الجهال، وإلا كان الأمر بالمشاورة منافيا للأمر بالتوكل، بل التوكل على الله أن يراعي الإنسان الأسباب الظاهرة، ولكن لا يعول بقلبه عليها، بل يعول على الله تعالى. اهـ[٢٨٩].

وجمهور علماء المسلمين على أن التوكل الصحيح، إنما يكون مع الأخذ بالأسباب، وبدونه تكون دعوى التوكل جهلا بالشرع وفسادا في العقل، وقد روى عن عمر ـ رضي الله عنه: لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق ويقول: اللَّهُمَّ ارزقني، وقد علمتم أن السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة.

وقد تواتر الأمر بالأخذ بالأسباب في القرآن وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم، أخرج ابن حبان في صحيحه: أن رجلا جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم وأراد أن يترك ناقته وقال: أأعقلها وأتوكل؟ أو أطلقها وأتوكل؟ فقال صلى الله عليه وسلم: اعقلها، وتوكل[٢٩٠].

---

(٢٨٨) سورة آل عمران ، الآية ١٥٩.

(٢٨٩) الموسوعة الفقهية الكويتية، (١٤/ ١٨٥) .

(٢٩٠) رواه ابن حبان، رقم: (٧٣١) والترمذي، رقم: (٢٥١٧)، وأبو نعيم في حلية الأولياء ، رقم: (٨/ ٣٩٠) وحسنه الألباني في صحيح الجامع(١٠٦٨) .

وقال صلى الله عليه وسلم: لأن يأخذ أحدكم حبله فيأتي بحزمة حطب على ظهره فيبيعها فيكف الله بها وجهه خير له من أن يسأل الناس أعطوه، أو منعوه[٢٩١].

وفي ذلك يقول المولى سبحانه وتعالى:: ﴿ فَكِلُوا مما غَنِمتُم حَلالاً طَيباً﴾[٢٩٢].

ويقول تعالى: ﴿فَامْشُوا في مناكِبَهَا وَكلوا مِنْ رِزقه﴾[٢٩٣] .

ويقول عز من قائل: ﴿يَا أَيُّها الّذينَ آمَنُوا خُذوا حِذْرِكُم ﴾[٢٩٤] .

ويقول تبارك وتعالى: ﴿وَأَعِدُوا لهُم مَا اسْتطعتم مِنْ قُوةٍ وَمِن رباطِ الخيل﴾[٢٩٥] .

وأما ترك الأسباب فهو خطأ ينبغي الاستغفار منه، فقد جاء في فتاوى اللجنة الدائمة: قد ثبت في الكتاب والسنة الصحيحة الحث على الأخذ بالأسباب مع التوكل على الله، فمن أخذ بالأسباب واعتمدها فقط وألغى التوكل على الله فهو مشرك، ومن توكل على الله وألغى الأسباب فهو جاهل مفرط مخطئ، والمطلوب شرعا هو الجمع بينهما[٢٩٦] .

إذن: أخي الكريم، فإن مخاوفك كلها لا أصل لها ، فتعال إذاً نعالجها في خطوات واضحة حازمة بالآتي:

عليك يا عزيزي القارئ أن ترسخ في قلبك عظمة الله سبحانه، وقدرته، وقيوميته على خلقه ، وأنه لاحول ولا قوة إلا بالله .

---

(٢٩١) رواه البخاري، رقم: (١٤٧١)

(٢٩٢) سورة الأنفال ، الآية ٦٩ .

(٢٩٣) سورة الملك ، الآية ١٥ .

(٢٩٤) سورة النساء ، الآية ٧١ .

(٢٩٥) سورة الأنفال ، الآية ٦٠ .

(٢٩٦) فتاوى اللجنة الدائمة - ١ (١/ ٣٧٥) .

وأن تكثر ذكره سبحانه فيكون معك على كل حال ، قائماً وقاعداً ، فتسأله حسن العاقبة في الأمور كلها ، وتسأله العافية في الدنيا والآخرة .

وأن تدعوه وتلح في دعائه أن يعيذك من الخوف إلا منه . فاللّٰهُمَّ إنا نعوذ بك من الخوف إلا منك ومن التوكل إلا عليك لا تخف ولا تقلق على رزقك وأجلك، اطمئن ولا تقلق فلن ينقص من رزق أو أجل كتبه الله لك شيء ولن يكون الا ما قدره الله سبحانه وتعالى اياكم والقلق فما دام الأجل باقيا الرزق أتيا.

بدأ القلق ينتشر في أوساط كثير من الناس بسبب المخاوف من قلة الرزق وضعف الناحية الاقتصادية بسبب ما يحدث من قرارات تتعلق بالرواتب ورفع الأسعار وغيرها فأحببت أن أذكر نفسي وإخواني بما يلي:

أ ــ من توحيد الربوبية أن تعتقد أن الله هو الخالق الرزاق المالك مدبر الأمر، قال تعالى: ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا﴾[٢٩٧] لذا المعصية من أجل الرزق نقص في توحيد الربوبية الذي كان يؤمن به كفار قريش.

ب ـ اعلم علم اليقين أن رزقك وأجلك قد كتبا لك وأنت في رحم أمك، بعد نفخ الروح فيك، وأنك لن تموت حتى تستكمل رزقك وأجلك.

ج ـ خذ بالأسباب واحرص على إتقان عملك ومهنتك وتطوير ذاتك .

د ـ عليك بالإنفاق امتثالاً لأمر الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا﴾[٢٩٨] .

هـ ـ اعلم أن المعاصي سبب للحرمان من الرزق، وأن الطاعة سبب للبركة في الرزق وزيادة الخير.

---

(٢٩٧) سورة هود ، الآية ٦ .

(٢٩٨) سورة الاسراء . الآية ٢٩ .

قال تعالى عن القرية التي يأتيها رزقها من كل مكان: ﴿فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾[٢٩٩] .

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[٣٠٠] .

و ـ الرزق ليس قاصراً على الأسباب المادية من الحرفة والوظيفة بل هناك سباب شرعية للرزق علينا الحرص عليها ومنها:

١- التقوى:

قال تعالى : ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾[٣٠١].

٢- إقامة الصلاة:

قال تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾ [٣٠٢].

٣ - التوكل على الله:

وقد مر معنا هذا الموضوع سابقاً.

قال صلى الله عليه وسلم : «لَوْ أَنَّكُمْ تَوَكَّلُونَ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ، لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا» [٣٠٣].

---

(٢٩٩) سورة النحل ، الآية ١١٢ .

(٣٠٠) سورة الاعراف ، الآية ٩٦ .

(٣٠١) سورة الطلاق ، الآية ٢ .

(٣٠٢) سورة طه ، الآية ١٣٢ .

(٣٠٣) رواه ابن ماجة، رقم: (٤١٦٤).

٤- الاستغفار:

قال تعالى: ﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴾[٣٠٤].

٥- صلة الرحم:

قال صلى الله عليه وسلم: « مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رزقِهِ وَأَنْ يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ فَلْيَصِلْ رَحِمَه»[٣٠٥].

٦- المتابعة بين الحج والعمرة:

قال صلى الله عليه وسلم : «تَابِعُوا بَيْنَ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ، فَإِنَّهُمَا يَنْفِيَانِ الْفَقْرَ وَالذُّنُوبَ كَمَا يَنْفِي الْكِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ وَالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ» [٣٠٦] .

خواطـــــر:

ــ علينا ببث التفاؤل فينا، وفيمن حولنا، وحسن الظن بالله، واليقين في الناس ولكم في الخليل إبراهيم، وأمنا هاجر -عليهما السلام- أسوة حسنة، حيث تركها زوجها في مكان موحش لا يوجد معها من مقومات الحياة، إلا جراب فيه تمر، وسقاء فيه ماء، ولما سألت زوجها إلى من تتركنا؟ ولم يرد عليها، قالت: آلله أمرك بهذا ؟

قال: نعم.

قالت: إذن لن يضيعنا. فجاءها رزق الله سريعاً، من نبع زمزم، وصارت خطواتها بين الصفا والمروة ركناً من أركان الحج والعمرة .

---

(٣٠٤) سورة نوح ، الآيات ١٠-١١ .

(٣٠٥) تقدم تخريجه صفحة ٨٣ .

(٣٠٦) رواه الترمذي (٨١٠)، والنسائي (٢٦٣١) واللفظ له، وأحمد (٣٦٦٩) وصححه الألباني في مشكاة المصابيح (٢٥٢٤)

ـ من أعظم أسباب قلق الرزق تأمين مستقبل الأولاد قال تعالى: ﴿ وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُواْ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافاً خَافُواْ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُواْ اللَّهَ وَلْيَقُولُواْ قَوْلاً سَدِيداً ﴾[٣٠٧]، فطريق تأمين مستقبل الأولاد هو تقوى الله وحسن العمل وسداد القول حيث يتكفل الله لك بأولادك صيانة ورعاية ورزقا وحفظا، والله يتولى الصالحين في أنفسهم وذرياتهم.

معالجة موضوع الفقر على ضوء الكتاب والسنة :

ـ الركن الوثيق تقوى الله تعالى لقوله: ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾.

من اتقى الله أغناه الله بلا مال، وأنَّسه بلا أنيس، وأعزه بلا عشيرة، ومن سعى فهو بمنزلة المجاهد في سبيل الله طلب الرزق من السعي في سبيل الله.

مرَّ على النبي صلى الله عليه وسلم رجلٌ فرأى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من جلده ونشاطه فقالوا: يا رسول الله لو كان هذا في سبيل الله، فقال صلى الله عليه وسلم: (إن كان خرج يسعى على ولده صغارا فهو في سبيل الله، وإن كان خرج يسعى على أبوين شيخين كبيرين فهو في سبيل الله، وإن كان خرج يسعى على نفسه يعفها فهو في سبيل الله، وإن كان خرج يسعى رياء ومفاخرة فهو في سبيل الشيطان)[٣٠٨] .

ـ الحث على الطاعات والاستكثار منها: لحديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم(إنَّ اللَّهَ تعالى يقولُ يا ابنَ آدمَ : تفرَّغْ لعبادتي

---

(٣٠٧) سورة النساء ، الآية ٩ .

(٣٠٨) رواه الطبراني، رقم: (٦٨٣٥)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب (١٦٩٢) و. صحيح الجامع (١٤٢٨) .

أملأْ صدرَكَ غنًى وأسدَّ فقرَكَ وإن لا تفعَل ملأتُ يديْكَ شغلاً ، ولم أسدَّ فقرَكَ) (٣٠٩).

عبودية اللهِ هي أعْلى المَقاماتِ وأشْرَفُها، وهي الغايةُ من خَلْقِ الإنسانِ، وعندَما يَتفرَّغُ لها الإنسانُ، ينالُ الخيْرَ العميمَ، لكن إنْ غَفَلَ عنها، وانْشَغَلَ بالدُّنيا، كان ذلك هو الخُسْرانَ الحقيقيَّ.

- دوام شكر الله وحمده:

لقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾(٣١٠).

قال السعدي رحمه الله: وقال لهم حاثاً على شكر نعم الله: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ ﴾ أي: أعلم ووعد، ﴿ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ من نعمي ﴿وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾، ومن ذلك أن يزيل عنهم النعمة التي أنعم بها عليهم.

- والشكر: هو اعتراف القلب بنعم الله والثناء على الله بها وصرفها في مرضاة الله تعالى. وكفر النعمة ضد ذلك.

- صلة الرحم ولو كان الغير قطعها:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من أحب أن يبسط له في رزقه، وينسأ له في أثره، فليصل رحمه)(٣١١)

قال السعدي رحمه الله: هذا الحديث فيه الحث على صلة الرحم، وبيان أنها كما أنها موجبة لرضى الله وثوابه في الآخرة، فإنها موجبة للثواب العاجل، بحصول

---

(٣٠٩) رواه الترمذي (٢٤٦٦)، وابن ماجه (٤١٠٧)، وأحمد (٨٦٨١) مختصراً، والحاكم (٣٦٥٧) وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٩١٤).

(٣١٠) سورة ابراهيم ، الآية ٧ .

(٣١١) تقدم تخريجه صفحة ٨٣ .

أحب الأمور للعبد، وأنها سبب لبسط الرزق وتوسيعه، وسبب لطول العمر. وذلك حق على حقيقته ؛ فإنه تعالى هو الخالق للأسباب ومسبباتها[٣١٢].

يقول أحد الحكماء: من أراد النجاح في هذا العالم فعليه أن يتغلب على أسس الفقر الستة: النوم، التراخي، الخوف، الغضب، الكسل، والمماطلة.

ـ كُن متوكلاً على ربك في أمورك كلها.

عليك أن تعلم بأن الرزق بيد الله لا بيدك، والأمر أمر الله لا أمرك.. ولن تقبض راحتاك شيئًا ما كتب الله أن تملكه، ولن يُفلت من بين يديك ما ساقه الله لأجلك.. ولن يفوتك رزقك وإن تأخّر

قال ابن رجب رحمه الله حقيقة التوكُّل : هو صدقُ اعتماد القلب على الله عز وجل في استجلاب المصالح ودفع المضارّ من أمور الدنيا والآخرة كلها، وكلة الأمور كلها إليه، وتحقيق الإيمان بأن لا يعطي ولا يمنع ولا يضر ولا ينفع سواه [٣١٣].

حكم التوكل:

إن والتوكُّل على الله مقام جليل القدر، عظيم الأثر، أمر الله به في مواطن كثيرة من كتابه فقال: ﴿ وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾[٣١٤]، وقال: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾[٣١٥]، وقال: ﴿ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ﴾[٣١٦]، وجعل التوكل سبباً لمحبته فقال: ﴿ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾[٣١٧]، وشرطًا للإيمان فقال: ﴿ وَعَلَى اللهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[٣١٨]، وشعارًا لأهله فقال: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا

---

(٣١٢) موارد الظمآن لدروس الزمان (٣/ ٤٥٠) .

(٣١٣) جامع العلوم لابن رجب (٤٠٩).

(٣١٤) إبراهيم ، الآية ١١ .

(٣١٥) سورة الفرقان ، الآية ٥٨ .

(٣١٦) سورة هود ، الآية ١٢٣ .

(٣١٧) سورة آل عمران ، الآية ١٥٩ .

(٣١٨) سورة المائدة ، الآية ٢٣ .

ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [٣١٩] وضمن لمن توكل عليه القيام بأمره وكفايته ما أهمه فقال: ﴿ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾ [٣٢٠] .

فعلينا أن نعلم أن الله تعالى لن يضيع أمراً كتبه.. لن يضيع رزقٌ كتبه الله لك، وسيسوقه الله إلى مكانك حيثما كنت، ولن ينال أحد من العالمين من رزقك شيئًا.. ولو كان شربة ماء قد كتبها الله لك.

أَمطِري لُؤلُؤاً جِبالَ سَرَنديـبَ وَأفيضي آبارُ تَكرورَ تِـبرا
أَنا إِن عِشتُ لَستُ أَعدَمُ قوتاً وَإِذا مُتُّ لَستُ أَعـدَمُ قَبرا
هِمَّتي هِمَّةُ المُلوكِ وَنَفسـي نَفسُ حُرٍّ تَرى المَذَلَّةَ كُفرا
وَإِذا ما قَنِعتُ بِالقوتِ عُمري فَلِماذا أَزورُ زَيداً وَعَمـرا

الفرع الثالث: التفاؤل سر من أسرار النجاح.

أولاً: التفاؤل هو عنصر حيوي للوصول إلى النجاح والتقدم في الحياة. عندما تكون متفائلاً، فإنك تنظر إلى المستقبل بإيجابية، وتعتقد أن الأمور ستسير على نحو جيد. هذا النوع من التفكير يعزز الثقة بالنفس، ويحفزك على اتخاذ الخطوات اللازمة لتحقيق أهدافك.

ثانياً: التفاؤل سر الشخصية الناجحة.

التفاؤل سر من أسرار أي شخصية ناجحة، فالتفاؤل يزرع الأمل، ويزيد الثقة بالنفس والثقة بتحقيق نجاحات قادمة، ويحفز الشخص على بذل المزيد من النشاط، والعمل والوصول إلى إنجازات عديدة، يجهل البعض أهمية التفاؤل في بناء مستقبلنا، فالتفاؤل أساس كل نجاح، أكبر مسبب لفقدان الطموح والشغف

---

[٣١٩] سورة الأنفال آ الآية ٢ .

[٣٢٠] سورة الطلاق، الآية ٣.

في النجاح هي النظرة السلبية والتفكير المحبط، لا يمكن للشخص تحقيق أي نجاح، وهو يملك نظرة سلبية ومحبطة لكل الأمور، حتى وإن حدثت بعض الظروف السلبية في طريق الشخص، عليه ألا يسمح لها بالتحكم في قراراته هنا يظهر دور التفاؤل.

ثالثاً: التفاؤل يمد الإنسان بطاقة كبيرة وقوة لمواجهة الظروف السلبية والقاسية.

فالإنسان الذي لديه نظرة تفاؤل وإيجابية من المستحيل أن يعرف معنى الاستسلام دائما ما يكون لديه دافع قوي للنجاح والمثابرة والتقدم في كل أمور الحياة.

كل طريق للنجاح يحدث به عقبات تقف أمامه في تحقيق نجاحه، ولكن بالتفاؤل يسهل التخلص من كافة العقبات بإذن الله.

قبل كل نجاح يحدث الفشل والمصاعب، لكن مع وجود التفاؤل ينظر الشخص الناجح بأن الفشل أولى خطوات النجاح، والفشل بداية جديدة لنجاحات قادمة.

رابعاً: التفاؤلُ يُقوي من عزيمة الإنسان، ويزيد لديه الرغبة بتحقيق الكثير من النجاحات مهما يمر بمصاعب فبه تفتح الأبواب للحصول على حلول وأفكار وإمكانيات جديدة تساعد الشخص على تخطي المصاعب والعقبات وإكمال طريقه للنجاح

خامساً: التَّفاؤُلُ: هو انشراحُ قَلبِ الإنسانِ وإحسانُه الظَّنَّ، وتوقُّعُ الخيرِ بما يسمَعُه مِنَ الكَلِمِ الصَّالحِ أو الحَسَنِ أو الطَّيِّبِ .

وقيل: هو صِفةٌ تجعَلُ توقُّعاتِ الفَردِ وتوجُّهاتِه إيجابيَّةً نحوَ الحياةِ بصِفةٍ عامَّةٍ؛ يستبشِرُ الخيرَ فيها، ويستَمتِعُ بالحاضِرِ، ويَحدوه الأمَلُ في مُستقبَلٍ أكثَرَ إشراقًا وأحسَنَ حالًا .

وقيل: هو استقراءُ المُستقبَلِ في ملامِحِ الحاضِرِ، والشُّعورُ بالتَّنبُّؤِ بما يأتي، وترقُّبُ ما سيحصُلُ للإنسانِ عِندَ سماعِه شيئًا حَسَنًا أو رؤيتِه له.

سادساً: أنَّ التَّفاؤُلَ يبعَثُ على حُسنِ الظَّنِّ باللهِ تعالى، فهو حَسَنٌ؛ لأنَّه وسيلةٌ للخيرِ، فالتَّفاؤُلُ وسيلةٌ لحُسنِ الظَّنِّ باللهِ، وحُسنُ الظَّنِّ باللهِ سُبحانَه غايةٌ من غاياتِ التَّفاؤُلِ.

التفاؤل وحسن الظن بالله من ثمرات اليقين، والناس فيه متفاوتون بحسب إيمانهم.

قال الله ﷻ:﴿ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو اللَّهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ [٣٢١] فأعظم الناس إيماناً بالله هم أكثرهم تفاؤلاً، وكلما قَوِيَ إيمان العبد كلما حَسُنَ ظنه بربه

سابعاً: التفاؤل مفتاح السعادة:

التفاؤل هو أن تقبل على الحياة، وتملك عيناً إيجابية ترى المميزات قبل العيوب، وتبدي الرضا قبل السخط، وأن تغير الحزن فرحاً، والألم راحة، والفشل تجربة تفتح آفاق النجاح. ليس من التفاؤل حتماً أن تتحول اتكالياً، تنتظر الرزق وأنت كسول، أو تتوق إلى النجاح وأنت مقصر، أو تتمنى السعادة ومسلكك ينال من الآخرين.

التفاؤل له سحر غير عادي يبث حالة استبشار وإقدام لدى صاحبه. ولذا، يسعى إلى إحداث التغيير وبث الفرح والبهجة في محيط الشخص المتفائل، وتوجد لديه قوة جذب للآخرين لأنه مصدر لحالة الهدوء والبهجة والإقبال على الحياة، لا يستسلم أمام الصعاب والعوائق، يكرر المحاولة، فطموحه يفوق الإحباط، يعيد ترتيب أوراقه وحساباته وتفكيره ليجد مسار حياته في حالة تقدم مستمر، لا

---

(٣٢١) سورة البقرة ، الآية ٢٤٩ .

يعرف التوقف، وهو الذي يوجد لنفسه فرصاً من ظروف يهرب أمامها الآخرون، وهذه الطبيعة الحيوية والروح المتحركة داخل المتفائل هي التي تحبب الآخرين بالبقاء في رفقته والعيش في معيته.

إن التفاؤل يكسب الشخص بيئة مريحة تتكون من حوله، يصعب تعكيرها أو تلويث أجوائها الصافية، فالحياة بالنسبة له حديقة غناء تتدلى فيها أنواع عديدة من الورد والأزهار التي تبعث على الارتياح، وتهدر في حديقته تلك شلالات المياه التي تتراقص في انسيابها، وتشكّل ألحاناً موسيقية فريدة في تساقطها وتناثر قطراتها، وتغرد فيها طيور الحب وطيور الزينة والطيور الرشيقة في حركتها، وجميعها تصدر أصواتاً متزامنة أو أحادية، ولكنها تشكّل معزوفة تؤدي إلى راحة الأعصاب والاسترخاء. ولذا، فهذا المتفائل يهنأ بهذه البيئة التي يتسابق الناس إليها كي يسعدوا بثرائها المريح نفسياً وفكرياً وجسدياً. ولا يخفى أن التفاؤل يجعل صاحبه يشعر بأن دنياه تتسع على ضيقها وقدرته، تزيد رغم محدوديتها، والحب تكون له معانيه وفنونه رغم غيابه عن الآخرين، ودورة حياته اليومية متجددة متغيرة ومبهجة رغم رتابتها وتكرارها، فهو من يغير الرتابة لتجدد مثير لبهجة الحياة، ذلك هو التفاؤل وتلك هي أحوال المتفائل.

أما التشاؤم، فهو يمثل حالة انزواء وهروب من الحياة، يعتمر صاحبه نظارة سوداء تفقده القدرة على رؤية النور وإبصار الطرقات والمسارات المريحة التي تيسر مسيرته في الحياة، وتأمن وصوله بسلاسة واقتدار، ولذا، فإنه يصعّب السهل وينظر إلى الإشكالات البسيطة على أنها عقد يصعب تفكيكها، ويبالغ في التعامل مع ظروفه، بل ربما يستسلم لها، يعيش وهم همها غير الموجود إلا في نفسه. ولذا، يفسر نظر الآخرين أو كلامهم أو تحركهم أو حتى همسهم أو ضحكهم على أنه موجه إليه، بل ربما يعتبره ترتيباً أو تآمراً ضده، يبرر خوفه أو عجزه أو تردده أو

ضعفه أو عدم حسمه لرأيه ورغبته بأن الظروف أقوى منه، ونسي أو تناسى أننا نستطيع إحداث التغيير وتسخير الظروف ومقاومتها، وتحويل الصعاب إلى درجات سلم نعتليه، وصولاً إلى القمة وتحقيق النجاح، وهو الذي يتميز به المتفائل ويعجز عن رؤيته المتشائم.

ولنعلم أن زوايا الدنيا المختلفة وتعاقب الليل والنهار ووجود النور بعد الظلمة وتبديد الفجر لسواد الليل وبلوغ البحر لمده على الشاطئ بعد طول الجزر وبزوغ الهلال واكتماله بدراً بعد اضمحلاله وغيابه، جميعها أمارات ودلائل تقنع الإنسان الذي يعمل فكره بأن التفاؤل هو سمة الحياة، والحالة الطبيعية في ناموسها، ما يعني أنه ليس أمامه إلا التفاؤل الذي هو مصدر البهجة وسر السعادة.. فهلا عشنا التفاؤل ودخلنا ضمن كوكبة المتفائلين، فتلك هي الحياة التي ينبغي أن نعيشها في نفوسنا ومع من حولنا.

ثامناً: ارتباط النجاح بالتفاؤل:

ـ التفاؤل: سر من أسرار أي شخصية ناجحة، فالتفاؤل يزرع الأمل، ويزيد الثقة بالنفس والثقة بتحقيق نجاحات قادمة، ويحفز الشخص على بذل المزيد من النشاط والعمل والوصول إلى إنجازات عديدة، يجهل البعض أهمية التفاؤل في بناء مستقبلنا، فالتفاؤل أساس كل نجاح، أكبر مسبب لفقدان الطموح والشغف في النجاح هي النظرة السلبية والتفكير المحبط، لا يمكن للشخص تحقيق أي نجاح وهو يملك نظرة سلبية ومحبطة لكل الأمور، حتى وإن حدثت بعض الظروف السلبية في طريق الشخص عليه ألا يسمح لها بالتحكم في قراراته هنا يظهر دور التفاؤل.

ـ التفاؤل: يمد الإنسان بطاقة كبيرة وقوة لمواجهة الظروف السلبية والقاسية، فالإنسان الذي لديه نظرة تفاؤل وإيجابية من المستحيل أن يعرف معنى

الاستسلام دائماً ما يكون لديه دافع قوي للنجاح والمثابرة والتقدم في كل أمور الحياة.

كل طريق للنجاح يحدث به عقبات تقف أمامه في تحقيق نجاحه، ولكن بالتفاؤل يسهل التخلص من كافة العقبات بإذن الله.

قبل كل نجاح يحدث الفشل والمصاعب، لكن مع وجود التفاؤل ينظر الشخص الناجح بأن الفشل أولى خطوات النجاح، والفشل بداية جديدة لنجاحات قادمة.

ـ التفاؤل: يقوي من عزيمة الإنسان، ويزيد لديه الرغبة بتحقيق الكثير من النجاحات مهما يمر بمصاعب، فبه تفتح الأبواب للحصول على حلول وأفكار وإمكانيات جديدة تساعد الشخص على تخطي المصاعب والعقبات، وإكمال طريقه للنجاح.

ـ التفاؤل: يمنحك النجاح قبل اكتماله، والتشاؤم يذيقك مرارة الفشل قبل حدوثه، هي أمور نفسية أنت من يحسمها ،فقط أحسن الظن بالله لتسعد.

تاسعاً: التفاؤل مفتاح النجاح:

لماذا ترتبط دائماً عبارة الحياة الوردية بالحياة السعيدة المثالية الخالية من الضغوطات و المنغصات التي تلبد لونها فتغيره من وردي مبهج للون قاتم يبعث الحزن في أنفسنا.

ولماذا نحلم جميعا بأن تكون الحياة الوردية عنواناً لحياتنا، مع أننا نشعر بأن ما نعيشه بعيد كل البعد عن مسمى الحياة الوردية؟

فلكل منا هموم و مشاكل، تجعله يشعر بالحزن، وخيبة الأمل أحيانا ، و قد يصل به الأمر لفقدان الشعور بالتفاؤل و الأمل في حياة أفضل، و لكن ألم نتساءل في يوم من الأيام لماذا نتعرض لمثل هذه التحديات و الصعاب؟

إن هذه كلها اختبارات من الله عز و جل حتى يختبر مدى قوة إيماننا و صبرنا و ما مدى تشبثنا بالحياة وهل نحن قادرون على تخطي كل تلك الصعاب بالتحلي بالصبر و التفاؤل الذي يعمق فينا الثقة بالنفس ويحفزنا على مواجهة تحديات الحياة.

فبدل أن يسيطر علينا اليأس والتشاؤم لماذا لا نسعى للتغلب على هذه الأحاسيس بالنشاط و العمل؟! ومحاولة إيجاد حلول لكل مشاكلنا، فلا وجود لمشكلة من دون حل، ومثلما هناك شر هناك خير، فالتفاؤل والأمل سيكونان البداية لتجاوز كل منغصاتنا و عثراتنا.

كيف يمكننا أن نتحلى بالتفاؤل ؟

– يجب أن نظل دائماً مؤمنين وواثقين في أنفسنا و في عطاءاتنا، وذلك بأن نكرر دائماً عباراتٍ مثل:

أنا قادر، أنا أستطيع ...بدل ترديد عبارات : أنا فاشل، أنا لا أستطيع، أنا غير قادر...

– إذا خالجنا شعور بأننا قد نفشل، فلنتذكر نجاحاتنا السابقة وتجاربنا.

– لا نجعل مشاكلنا تؤثر سلباً علينا، بل يجب أن نستثمرها، لنأخذ منها عبراً ودروسا حياتية، ونجعلها تجنبنا الوقوع في مثل تلك الأغلاط لاحقاً.

بوصلة التفاؤل:

يقول الشاعر الطّغرائي:

أعلل النفس بالآمال أرقُبها...ما أضيق العيش لولا فُسحة الأمل

ـ التفاؤل : هو النور الذي يضيء طريقنا في الظلمة، ويساعدنا على أن نعيش حياة ملؤها المحبة والسعادة والأمل، ويجعلنا نحقق أحلامنا وآمالنا وتطلعاتنا، وأن ننظر للحياة بعيون حالمة بما هو أفضل لحياة كريمة، مقتنعين بقضاء الله وقدره،

وبعيدة كل البعد عن اليأس والتشاؤم والإحباط، فالمتفائل ينظر إلى العالم على أنه يمتلئ بالفرص والآمال، ويعتقد أن الأحداث تسير نحو الأفضل، وينظر إلى النصف المملوء من الإناء، وليس إلى النصف الفارغ منه كما يتصوره أصحاب النظرة المتشائمة والمحبطة.

فالتفاؤل يدفع الإنسان نحو العطاء والتقدم والعمل، وتجاوز المحن، ويورث الطمأنينة وراحة القلب، وتدريب الذات على التمسك بالثقة في الله، لأنه دليل على التوكل على الله، ما يجعلهم من أحسن الناس صحة وسعادة وإيجابية، لأن هذا الشعور يعكس آثاراً مُفيدة على صحته، فلا تُفسد فرحتك بالقلق، ولا تعطل عقلك بالتشاؤم، ولا تدمر نجاحك بالغرور، ولا تضيع تفاؤل الآخرين بإحباطهم، ولا تهدر يومك بالنظر إلى الأمس، فلو تأملت في حالك لوجدت أن الله لم يمنع عنك حاجة رغبتها، إلا ولك في المنع خير، فالمنع أحياناً هو قمة العطاء.

فعلينا عيش اللحظات، وكأنها آخر الأوقات في حياتنا، والعيش بالأمل والحب وتقدير قيمة الحياة والكفاح، فالإنسان بدون أمل كالحياة بدون تنفس وبغير ابتسامة كوردة بلا رائحة، ودون إيمان بالله كوحش في قطيع لا يرحم، ولكن معظم الناس يضيعون تركيزهم وطاقاتهم في النظر إلى الباب الذي أُغلق عوضاً عن بارقة الأمل التي فتحت أمامهم على مصرعيها، فلماذا الخوف والشمس لا تظلم من ناحية إلا وتضيء في الجانب المقابل، وعلينا عدم اليأس والقنوط، فعادة ما يكون آخر مفتاح في مجموعة المفاتيح هو المُناسب لفتح الباب.

وإذا كان الأمس قد ضاع، فبين أيدينا اليوم، وإذا كان اليوم سوف يجمع أوراقه ويرحل، فلديك الغد، لا تحزن على الأمس، فهو لن يعود ولا تأسف على اليوم فهو راحل، بل تفاءل واحلم بشمس مُضيئة في غد جميل، فلا تثقل يومك بهموم غدك، فقد لا تأتي وتكون قد انحرمت سرور يومك البهيّ الوضّاء، فإذا أردنا أن

نحيا حياة ملؤها الأمل والتفاؤل وتحقيق ما نريد بإذن الله، وإلا لن نجني إلا سوء التراجع إلى الوراء، وتكون المُحصلة النهائية هي الخسران؛ لذا علينا أن نعوّد أنفسنا وقلوبنا على التفاؤل والأمل بغد برّاق، ننطلق به إلى آفاق أرحب ليست لها حدود لبناء حياتنا بالشكل الأجمل كما نريد.

يقول الشاعر إيليا أبو ماضي:

وترى الشّوك في الـورود وتعمى أن ترى فوقها النّدى إكليلا
أيُّها الشّاكي وما بكَ داءٌ كُـنْ جميـلاً تـرى الوجــود جميلا

حياتك من صُنع أفكارك، فحوّل بوصلة تفكيرك إلى الإيجابيات في حياتك، إلى نعم الله، إلى نجاحاتك، إلى تفاؤلك، واحذر أن تتغلّب عليك الأفكار السوداوية: من اليأس والفشل والإحباط، والقنوط من رحمة الله، واليأس من روح الله، أعاذنا الله وإيّاكم من كُل سوء ومكروه.

الفرع الرابع: النفس المتفائلة تؤمن بقضاء الله، ولا تقنط من رحمته .

حث الإسلام على التفاؤل وعدم التشاؤم، وأن نبشر ولا ننفر، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بشروا ولا تنفروا»[٣٢٢]، حيث إن النفس المتفائلة نفس خيرة، تسعى إلى فعل الخير والبعد عن الشر، ومن الصفات النبيلة والخصال الحميدة التي حبا الله بها نبيه الكريم صفة التفاؤل إذ كان صلى الله عليه وسلم صاحب نفس متفائلة مستبشرة في كل أموره وأحواله حيث قال «لا عدوى ولا طيرة ويعجبني الفأل الصالح».

إن هناك آيات كثيرة تحث النفس المؤمنة على التفاؤل وعدم التشاؤم قال تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ

---

(٣٢٢) رواه مسلم، رقم: (١٧٣٢).

الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾[٣٢٣]، حيث حملت الآيات دعوة لجميع العصاة وغيرهم إلى التوبة والإنابة، بأن الله يغفر الذنوب جميعاً، لمن تاب منها ورجع عنها وإن كثرت، وكانت مثل زبد البحر، ودعوة للنفوس المتفائلة المستبشرة بأن لا تقنط من رحمة الله.

و قد أشار الدكتور عبدالفتاح عاشور إلى أن الله تعالى خاطب رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم في هذه الآيات بإخبار العباد الذين دعتهم أنفسهم إلى ارتكاب الذنوب، أن لا ييأسوا من رحمة الله ويلقوا بأيديهم إلى التهلكة، فيصروا بسبب ذلك على العصيان، لكن يجب أن يعرفوا الله بأسمائه الدالة على كرمه وجوده، وأنه تعالى يغفر الذنوب جميعا من الشرك والقتل والزنا والربا والظلم، وغير ذلك من الذنوب الكبار والصغار، فهو تعالى غفور رحيم وهما وصفان لازمان ذاتيان لا تنفك ذاته عنهما ولم تزل آثارهما سارية في الوجود فالله تعالى يوالي النعم على العباد في السر والجهر والعطاء أحب إليه من المنع ورحمته سبقت غضبه ولكن لمغفرته ورحمته ونيلهما أسباب إن لم يأت بها العبد فقد أغلق على نفسه باب الرحمة والمغفرة أعظمها وأجلها بل لا سبب لها غيره وهو الإنابة إلى الله تعالى بالتوبة النصوح والدعاء والتضرع إلى الله. عدم اليأس وقال إن الإسلام يحثنا دائما على التفاؤل وعدم اليأس وقال تعالى في سورة يوسف: ﴿ يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [٣٢٤]، أي: لا تيئسوا من رحمة الله وعلى حسب إيمان العبد يكون رجاؤه لرحمة الله وقال تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا اسْتَيْئَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ وَلا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ (١١٠) ﴾

---

(٣٢٣) سورة الزمر ، الآيات ٥٣ -٥٩ .

(٣٢٤) سورة يوسف ، الآية ٨٧ .

[٣٢٥]يخبر الله في هذه الآية أنه يبعث الرسل الكرام، فيكذبهم القوم المجرمون والله يمهلهم ليرجعوا إلى الحق ويشتد على الرسل حتى إنهم مع كمال يقينهم وشدة تصديقهم بوعد الله ووعيده ربما يخطر بقلوبهم نوع من اليأس وضعف العلم والتصديق فإذا بلغ الأمر هذه الحال جاءهم نصر الله فنجى الله الرسل وأتباعهم. نفوس المؤمنين وأوضح أن القرآن الكريم يزرع في نفوس المؤمنين الأمل والتفاؤل فعندما بشر نبي الله إبراهيم -عليه السلام- بالولد وهو في سن كبيرة تعجب حيث قال تعالى: ﴿ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَى أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ * قَالُوا بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْقَانِطِينَ * قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾ [٣٢٦]عندما بشر الملائكة سيدنا إبراهيم وهو في سن كبيرة قال لهم متعجبا ما هذه البشارة؟ وكان السؤال ناتجا عن يأس تملكه بعد هذه السن فقالت له الملائكة: لا تقنط من رحمة الله؛ لأن القانطين يستبعدون الخير، فقال إبراهيم، عليه السلام: من يقنط من رحمة الله إلا الضالون، الذين لا علم لهم بربهم، وكمال قدرته، وأما من أنعم الله عليه بالهداية والعلم العظيم، فلا سبيل إلى القنوط إليه واليأس من رحمته؛ لأنه يعلم الكثير من الأسباب والوسائل والطرق لرحمة الله.

وبين أستاذ التفسير بجامعة الأزهر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يزرع في نفوس أصحابه التفاؤل وعدم اليأس والتشاؤم وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن أناسا من أهل الشرك كانوا قد قتلوا فأكثروا وزنوا فأكثروا فأتوا محمدا صلى الله عليه وسلم فقالوا: إن الذي تقول وتدعو إليه لحسن لو تخبرنا أن لما

---

(٣٢٥) سورة يوسف ، الآية ١١٠ .

(٣٢٦) سورة الحجر ، الآيات ٥٤-٥٦

عملنا كفارة فنزل قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ﴾ [٣٢٧][٣٢٨].

وإذا تتبعنا مواقفه ـ صلى الله عليه وسلم ـ في جميع أحواله، فسوف نجدها مليئة بالتفاؤل والرجاء وحسن الظن بالله، وبعيدة عن التشاؤم الذي لا يأتي بخير أبداً ومنها: تفاؤله -صلى الله عليه وسلم- وهو في الغار مع صاحبه والكفار على باب الغار وقد أعمى الله أبصارهم فقال أبوبكر رضي الله عنه: كنت مع النبي -صلى الله عليه وسلم- في الغار فرفعت رأسي فإذا أنا بأقدام القوم فقلت: يا نبي الله لو أن بعضهم طأطأ بصره لرآنا فقال نبي الله: اسكت يا أبا بكر ما بالك باثنين الله ثالثهما[٣٢٩]. و في الحديث القدسي :"يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي، يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء، ثم استغفرتني غفرت لك ولا أبالي، يا ابن آدم لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا لأتيتك بقرابها مغفرة [٣٣٠].

وكان من أساليب البشرى في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه يختار الوقت والموقف المناسب لأداء الموعظة والعلم كي لا ينفر الصحابة وفي ذلك يقول -صلى الله عليه وسلم-:"يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا"[٣٣١]. كما أوضح أن الله بشر المبايعين على الجهاد بما ادخر لهم من الأجر إن وفوا بالبيعة بشرهم بالجنة التي فيها ما تشتهي الأنفس، وتلذ الأعين قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ

---

[٣٢٧] سورة الزمر ، الآية ٥٣ .

[٣٢٨] رواه البخاري، رقم: (٤٨١٠)

[٣٢٩] رواه البخاري، رقم: (٣٦٥٣)، ومسلم، رقم: (٢٣٨١)

[٣٣٠] رواه الترمذي، رقم: (٣٥٤٠)، وأحمد، رقم: (٢١٤٧٢) والبيهقي في شعب الإيمان، رقم: (١٠١١) والطبراني في المعجم الأوسط (٤٣٠٥) وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٤٣٣٨) .

[٣٣١] تقدم صفحة ١٢٤ .

فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾[٣٣٢]، وبشر رسول الله صلى الله عليه وسلم الموحدين بالجنة جزاء التزامهم بكلمة التوحيد قولاً واعتقاداً وعملاً رحمة من الله سبحانه: "أبشروا وبشروا من ورائكم أنه من شهد أن لا إله إلا الله صادقا من قلبه دخل الجنة "[٣٣٣].

بالله أبلغ ما أسعى وأدركه لا بي ولا بشفيع لي من الناس
إذا يئست وكاد اليأس يقطعني جاء الرجا مسرعا من جانب الياس

الفرع الخامس :التفاؤل من كمال الإيمان والثقة في الله.

أولاً: أن يكون التفاؤل مقرونا بالإيمان.

إذ المعتقد الصحيح ومعرفة الله بأسمائه الحسنى وصفاته العليا، له أثر عظيم، في التخلق بخلق التفاؤل والحياة به على كل حال ذلك؛ لأن المؤمن يستشعر معية الله له في كافة أحواله، ونظره إليه في سائر أعماله، قال تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾[٣٣٤]، كما يعرف ربه بأسمائه الحسنى، وأنه أرحم الراحمين، يقول تعالى: ﴿وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾[٣٣٥]، ومعرفة أنه لطيف بالعباد، لقوله تبارك وتعالى: ﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ﴾[٣٣٦]، وأن رحمته وسعت كل شيء، لقوله جل وعلا: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾[٣٣٧]، وأنه يدافع عن المؤمنين، لقوله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾[٣٣٨]، وأنه تبارك وتعالى يعفو عن السيئات،

---

(٣٣٢) سورة التوبة ، الآية ١١١ .
(٣٣٣) رواه أحمد (٢٢٠٠٣) وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٥/ ٣٤٨)
(٣٣٤) سورة الحديد، من الآية ٤ .
(٣٣٥) سورة يوسف ، الآية ٦٤ .
(٣٣٦) سورة الشورى، الآية ١٩ .
(٣٣٧) سورة الأعراف ، الآية ١٥٦ .
(٣٣٨) سورة الحج ، الآية ٣٨ .

ويقيل العثرات، واسع المغفرة، قابل التوب، وغافر الذنب، يريد لعباده الهداية والتوبة قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلاً عَظِيماً﴾[٣٣٩] وأنه ناصر لعباده المؤمنين، قال جل وعلا: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾[٣٤٠] وغيرها من صفاته الحسنى سبحانه وتعالى تجعل المؤمن في تطلع للأمل، وتوقع للخير، وانتظار دائم للفرج واستصحاب لمعية الله له بالنصر والتأييد، وإجابة الدعاء، ومزيد العطاء، وهذه كلها تصب في معنى التفاؤل وتحث عليه!

ـ والتفاؤل: من صميم حسن الظن بما هو قادم من الأحداث في كل الأمور وما هو قادم، إنما هو أقدار الله المقدرة، فحسن الظن بها هو حسن ظن بمقدرها الذي هو الله لذلك كان التفاؤل بالخير من حسن الظن بالله ففي الحديث القدسي: "أنا عند ظن عبدي بي إن ظن خيراً فله وإن ظن شراً فله"[٣٤١].

وهو بهذا من صميم التوحيد، فلا يستقيم أن يجتمع في قلب الإنسان إيمان راسخ مع سوء ظن بالله، وتشاؤم بأقداره، فنور الإيمان يبدد ظلام التشاؤم، ويجعل المؤمن في تفاؤل دائم، واستبشار مستمر بحصول الخير، وقدوم الرحمة في سائر الأحوال، وهو ما أشار إليه الشيخ ناصر العمر في إحدى حكمه على تويتر، إذ قال: "أخشى أن يكون المتشائمون ممن لم يجعل الله لهم نوراً ﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾[٣٤٢]، حيث إن بوادر التفاؤل واضحة جلية"!!

وأقوى وأصدق ما يكون التفاؤل حين يمتزج في القلب بقوة الإيمان، وصدق التوكل، فإن إحسان العمل بالقيام بمراد الله في كل شأن يدفع المؤمن إلى

---

(٣٣٩) سورة النساء ، الآية ٢٧ .

(٣٤٠) سورة غافر ، الآية ٥١ .

(٣٤١) رواه ابن حبان (٦٣٩) واللفظ له. وأصله في صحيح البخاري (٧٤٠٥) .

(٣٤٢) سورة النور ، الآية٤٠ .

الاطمئنان إلى ربه والركون إليه والطمع الشديد في رحمته وعطائه وبره وإحسانه وفضله، ويجعله – مهما اغتنى- فقيراً إليه، فينتج عن قوة طمعه في رحمة الله الواسعة، حسن الظن بالله، والتفاؤل باستشعار عطائه ومدده، فتتهيأ نفسه لتلقي الكرامات الإلهية على قدر ما في قلبه من طمأنينة الإيمان وقوة اليقين، ومع ذلك لا يرى نفسه أهلا للعطاء ولا للكرامة ولكنه يغلب جانب الظن الحسن بالله على ما سواه لغلبة رحمة الله وسعتها {وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ}[٣٤٣] .

وهناك سر لطيف في قوة انبعاث التفاؤل، وقوة تصور وقوع الخير الذي يتفاءل به المؤمن، هذا السر له علاقة بقوة العزم واليقين في الله، كما له علاقة بالعلم بسنن الله في الكون وناموسه في هذه الحياة، والناس في هذا الشأن يتفاوتون علماً وعملاً، وتبعاً لذلك تتفاوت هممهم في التفاؤل بالخير.

فإن لله لطائف تسبق الفرج وعلامات يدركها أهل العلم والخشية، كما يدرك جهابذة الحديث علله الخفية وتلك العلامات واللطائف تكون كالنسيم الخفيف العليل الذي يلامس البشرة ولا تراه العين وهي من البشائر التي تأتي في ثنايا البلاء تخفيفاً وتثبيتاً، قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾[٣٤٤]، وهذا من معاني اسم الله اللطيف، ومن القواعد الكليه في ذلك قاعدة: (التيسير علامة التوفيق)، وغيرها مما يطول سرده ومثل هذا يحتاجه الناس في ساعة العسرة وشدة الفتنة فإنها الساعة التي تمتحن فيها القلوب والعقول على السواء.

---

(٣٤٣) سورة الأعراف ، الآية١٥٦ .

(٣٤٤) سورة الأعراف ، الآية ٥٧ .

الثاني: أن يكون التفاؤل مقرونا بالعمل الصالح:

فالتفاؤل مع التفريط في تقوى الله عموما والإصرار على ذلك فيه مخادعة للنفس فإن الله جل وعلا كما دعا عباده لحسن الظن به وتغليب الطمع في رحمته حذرهم أيضا من مخالفة أمره بل حذرهم من نفسه رحمة بهم حتى لا يتمادوا في عصيانه فقال تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾[٣٤٥] وقال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[٣٤٦]، وقال: ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾[٣٤٧] .

فالتفريط في أوامر الله والإعراض عنها وارتكاب محاذيره دون رجوع بالتوبة موجب لغضب الله كما قال تعالى: ﴿وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ﴾[٣٤٨]، والتفاؤل مع تعمد التقصير فيه نوع مخادعة بل هو من الجهل الذي وقعت فيه فرق ضالة مثل المرجئة الذين جعلوا من سعة رحمة الله مطية لارتكاب الخطايا، حتى قال شاعرهم:

وكثر ما استطعت من الخطايا * * إذا كان القدوم على كريم

نعم يُحسن المؤمن الظن بربه عند كل بلاء وفتنة، ويتطلع إلى وقوع فرج وشيك وخير عميم، فهذا مطلوب، وهو من حسن الظن بالله، لكن يسعى جهده لإحسان العمل أيضاً، وإحداث التوبة من الذنوب فإنها سبب البلاء، لا أن يحسن الظن بخالقه، ويتمادى في الوقت نفسه في عصيانه، فإن سنن الله الشرعية اقتضت أن يكون من البلاء ما هو عقوبة لا يرتفع إلا بالتوبة ﴿ فَلَوْلا أَنَّهُ كَانَ

---

(٣٤٥) سورة آل عمران ، الآية ٢٨ .

(٣٤٦) سورة النور ، الآية ٦٣ .

(٣٤٧) سورة الأعراف ، الآية ٩٩ .

(٣٤٨) سورة فصلت ، الآية ٦ .

مِنَ الْمُسَبِّحِينَ * لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾[٣٤٩]، ﴿فَلَوْلا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ﴾[٣٥٠]، حتى قال بعض السلف: "رجاؤك لرحمة من لا تطيعه من الخذلان والحمق".

لذلك عرف الشيخ ناصر العمر في إحدى حكمه على تويتر التفاؤل بقوله: التفاؤل الحقيقي: "هو الذي ينبعث من القلب عن إيمان وبرهان، ويظهر على قسمات الوجه وحصائد اللسان، ويصدقه العمل المطرد مهما تغيرت الأحوال والأزمان".

الثالث: أن يكون التفاؤل مقرونا بالطلب:

فالدعاء عبادة من أجل العبادات، به تستمطر الرحمة، ويستجلب الخير، وعاجز من لم يستعمله سلاحاً في وجه البلاء، ووسلية لبلوغ الأمل، ففي الحديث الصحيح: (أعجز الناس من عجز عن الدعاء)[٣٥١] وإذا قرن التفاؤل بالخير مع العمل والدعاء كان أدعى لتحققه ونيل المراد فإن الله يغضب على من لم يسأله، ولذلك قال: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾[٣٥٢]، ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً

([٣٤٩]) سورة الصافات ، الآيات ١٤٣-١٤٤ .

([٣٥٠]) سورة يونس ، الآية ٩٨ .

([٣٥١]) رواه البخاري في الأدب المفرد، رقم: (١٠٤٢)، والطبراني في المعجم الأوسط، رقم: (٥٥٩١) والبيهقي في شعب الإيمان، رقم: (١١/ ١٩٣) (٨٣٩٢)وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٠٤٤)

([٣٥٢]) سورة البقرة ، الآية ١٨٦ .

إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾[٣٥٣]. وفي الحديث الصحيح: "من لم يسأل الله يغضب عليه" [٣٥٤]

الرابع: ألا يغيب التفاؤل سنن الله في الكون.

من بذل الأسباب الدافعة للأذى، فقه الواقع وتصور الأمور على ما هي عليه لدفع ضررها والانتفاع بخيرها، فليس من التفاؤل أن نتجاهل تربص الأعداء وقوتهم وعدتهم وعددهم متوقعين النصر بدون عدة على قدر ما نستطيع، وليس من التفاؤل الاستبشار بالشفاء مع ترك الاستشفاء بالدواء وهو بين أيدينا وليس من التفاؤل توقع النجاح مع الكسل والخلود للراحة، وقد كان سعيد بن جبير يقول: (اللَّهُمَّ إني أسألك صدق التوكل عليك وحسن الظن بك)[٣٥٥].

وفي هذا السياق يقول الشيخ ناصر العمر في إحدى حكمه على صفحته في موقع تويتر: (هناك طريقان للحياة: إما أن تخضع للدنيا وقسوتها فهنا تعيش البؤس والحرمان والتشاؤم، اذ اصبحت عبدا لها. واما ان تخضعها لدينك، فتواجه كبدها وأدواءها وفق السنن الشرعية والأدوية الربانية، وتستمتع بما فيها من اشراقات وفرص، فهنا ستعيش اسعد من الملوك، اذ تتخلص من عبودية الدنيا، وترتقي في مدارج العبودية لله).

تفاءل.... فالتفاؤل عبادة!! به ستشرق شمس في نفسك بأنوار أمل تبدد ظلام اليأس والإحباط، فإذا الفرج يلوح لك في الأفق كفلق الصبح! وأحسن الظن

---

(٣٥٣) سورة الأعراف ، الآية ٥٥ .

(٣٥٤) رواه الترمذي، رقم: (٣٣٧٣)، واللفظ له، وابن ماجه، رقم: (٣٨٢٧)، وأحمد، رقم: (٩٧١٩)، وحسنه الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي (٣٣٧٣)

(٣٥٥) رواه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٢٧٤)و ابن أبي شيبة (٣٥٣٤٣)

بربك مع إحسان العمل وكن جميلاً تر الوجود جميلاً، كما قال الشيخ العمر: (من لا يرى في الحقل إلا الأشواك، كيف ينتظر منه أن يقطف الزهور؟)

تفاءل بالنصر لهذه الأمة: (فيوم النصر قادم بإذن الله، وسوف يمن الله فيه على المستضعفين من المسلمين في هذا الزمان، وينصرهم على من بغى عليهم وتجبر، ذلك اليوم الذي سيري فيه المتجبرون وأعوانهم ما كانوا يحذرون، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله، وإن تأخر ذلك اليوم لحكمة يعلمها الله، فلن تهتز قناعتنا بشروق شمسه بعد انقشاع الغبار!.)

ـــ التفاؤل والاستبشار في الهدي النبوي الشريف من معين سورة يوسف صلى الله عليه وسلم .

قال تعالى: ﴿يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾[٣٥٦] .

قصة سيدنا يوسف من أروع القصص وأعجبها في القرآن الكريم، أنواع من التنقلات من حال إلى حال، من ذل إلى عز، ومن فرقة وشتات إلى اجتماع وائتلاف، فيها يظهر لطف الله تعالى وعنايته بأوليائه وأصفيائه، وتأييده لهم في أحلك الظروف وأشدها.

بدأت آية مدارستنا بترفق جميل (يَٰبَنِيَّ)؛ أب مكلوم مفجوع من فقد ولديه ومع ذلك ينادي أبناءه بألطف نداء: " يَٰبَنِيَّ"، إنها رحمة الأب النبي، وتحقيق الأمور العظيمة يحتاج إلى حكمة وتلطف ورفق وأناة.

(ٱذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ)؛ أمر حذاه أمل ازداد في قلب الوالد، سيدنا يعقوب بتيقن حياة الابن سيدنا يوسف؛ إما برؤيا أو بإخبار ملك الموت إياه بأنه لم يقبض روحه كما يقول القرطبي رحمه الله.

---

(٣٥٦) سورة يوسف ، الآية ٨٧ .

﴿وَلَا تَايْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ؛) لا تفقدوا أملكم في رحمة الله وفرجه وتنفيسه، ﴿ إِنَّهُۥ لَا يَايْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾، فاليأس من رحمة الله هو قنوط واستصغار لسعة رحمة الله وتضييق لفضاء جوده وكرمه سبحانه.

وَلَا تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ قالها: من ابيضت عيناه من الحزن.

مهما تفاقمت أحزانك بُث في الآخرين الأمل، فشدة البأس وطوله ينبغي أن لا يقطع رجاءنا فيه سبحانه وألا يجلب اليأس.

ثلاثة فقدها سيدنا يعقوب مجتمعة، وهي: (يوسف وأخوه وبصره)، فردها الله عليه كلها بتوكله وفأله وصبره، ويقينه بالركن القوي الذي أسند إليه ضعفه ورجا منه رحمته وغوثه، هؤلاء هم أصفياء الله يتلمسون الفرج عند شدة الابتلاء، فلا يثبت المؤمن رغم المحن والشدائد إلا حسن الظن بالله، وثمة أوجاع في دواخلنا لا يسكنها إلا الأمل في الله عز وجل بأن هناك أياما يدخرها لنا سبحانه ستنسينا آلام الماضي.

يبلغ الألم البشري منتهاه بسيدنا يعقوب عليه السلام؛ تضعضع جسده وابيضت عيناه، ويصل المشهد ذروته حين يفقد أولاده الثلاثة دفعة واحدة، ومع ذلك يقول في ثقة وثبات: ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا﴾[٣٥٧] وكذلك كان. هذا هو إيمان الأنبياء ويقين الحنفاء.

وهكذا هم المؤمنون على الدوام لا ييأسون من روح الله ولو أحاط بهم الكرب واشتد بهم الضيق، موصولة قلوبهم بخالقهم، ندية أرواحهم مطمئنة بمولاهم عز وجل. أجلى ما تظهر فيه رحمة الله بعباده المؤمنين في عاقبة المحن والابتلاءات يختبرهم سبحانه ليعلم صدقهم وثباتهم، فإذا اجتازوا عقبة اليأس باليقين ودرجوا في مسالك الكروب بالثبات والصبر الجميل، رفعهم إلى درجات التمكين والعزة في

---

(٣٥٧) سورة يوسف ، الآية ٨٣ .

الدنيا والمقامات العلى في الآخرة. هذه هي سنة الله التي لم تتخلف يوماً من الدهر: إن النصر مع الصبر، وإن الفرج مع الكرب، وإن مع العسر يسراً.

روى الترمذي رحمه الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « سَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُحِبُّ أَنْ يُسْأَلَ، وَأَفْضَلُ الْعِبَادَةِ انْتِظَارُ الْفَرَجِ »[٣٥٨] واللفظ لهما، انتظار المقبلين على الله لا انتظار الغافلين، انتظار المقتحمين للعقبات لا انتظار العاجزين، انتظار العاملين الموقنين لا انتظار الكسالى المتواكلين، فالتفاؤل ليس شعوراً مصحوباً بالقعود، وإنما هو والعمل قرينان وصنوان لا يفترقان، فلا يسمى المرء متفائلاً إلا إذا بلغ بالأسباب منتهاها، فهذه السيدة مريم ـ عليها السلام ـ، وهي في أدنى درجات الضعف تؤمر بالأخذ بالأسباب، كما قال المولى تبارك وتعالى: ﴿ وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا﴾[٣٥٩]، مع قدرته عز وجل على إنزاله إليها من غير هز، فالتفاؤل أمل وعمل.

ولنستصحب معنا هذا الحديث الشريف الذي رواه الإمام البخاري في الأدب المفرد، والذي ممكن أن نطلق عليه: ميثاق التفاؤل، قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « إِنْ قَامَتِ السَّاعَةُ وَفِي يَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ، فَإِنِ اسْتَطَاعَ أَنْ لَا تَقُومَ حَتَّى يَغْرِسَهَا فَلْيَغْرِسْهَا»[٣٦٠].

هذا الحديث حث على التفاؤل والعمل وإن لم يبق في الدنيا إلا دقائق لتبقى عامرة إلى آخر أمدها المعدود عند خالقها.

---

(٣٥٨) رواه الترمذي، رقم: (٣٥٧١)، والطبراني، رقم: (١٢٤/١٠) (١٠٠٨٨)، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع، رقم: (٣٢٧٨) .

(٣٥٩) سورة مريم ، الآية ٢٥ .

(٣٦٠) رواه البخاري في الأدب المفرد، رقم: (٤٧٩) وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٤٢٤) .

والتفاؤل ليس مجرد أمنية فارغة، فالأماني لا تغير من الواقع شيئا، وقد أنكر الله على من يتعلقون بالأماني في دخول الجنة بغير موجباتها من العمل، فقال جل جلاله ﴿ لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (١٢٣) وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴾[٣٦١].

فالرجاء يوجب للعبد السعي والاجتهاد فيما رجاه، أما اليأس والقنوط، فهي صفات مقيتة، وسمات سيئة، تضعف الإنسان، وتغضب الرحمن، وتورث الحسرة والندامة، فمن أساء الظن بربه ولم يتحر الخير في قوله، عوقب بسوء ظنه ولفظه، فإن البلاء غالباً موكل بالنطق، ففي صحيح البخاري عن عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما- أنّ النبي -صلى الله عليه وسلم- دخلَ على أعرابيٍّ يَعُودُه، وكان إذا دَخَلَ على مَن يَعودُه"قال لا بأس؛ طَهُور إن شاء الله"، فقال له: "لا بأس؛ طَهُور إن شاء الله"، قال الأعرابي: قلت: طهور، كلا بل هي حمى تفور على شيخ كبير تُزيرُه القبور، قَالَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: فَنَعَمْ إذًا".[٣٦٢] أي: لك ما أحببت ورغبت به من الموت، قال ابن حجر في الفتح: فأصبح الأعرابي ميتاً.

وفي الحديث الصحيح قال الله عز وجل: "يقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ: أنا عند ظنِّ عبدي بي فليظُنَّ بي ما شاء" [٣٦٣].

---

(٣٦١) سورة النساء ، الآيات ١٢٣ -١٢٤.

(٣٦٢) رواه البخاري، رقم: (٥٦٦٢).

(٣٦٣) رواه أحمد، رقم: (١٦٠١٦)، والدارمي، رقم: (٢٧٣١)، وابن حبان ، رقم: (٦٣٣) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤٣١٦) .

قال القرطبي رحمه الله في شرح هذا الحديث: "ظن عبدي بي" معناه: ظن الإجابة عند الدعاء، وظن المغفرة عند الاستغفار، وظن المجازاة عند فعل العبادة بشروطها[٣٦٤].

ولذلك ينبغي للمرء أن يجتهد في القيام بما عليه موقناً بأن الله يقبله ويغفر له، لأنه وعد بذلك، وهو سبحانه لا يخلف الميعاد، فإن اعتقد أو ظن أن الله لا يقبلها، وأنها لا تنفعه فهو اليأس من رحمة الله، وهو من الكبائر، ومن مات على ذلك وُكِل إلى ما ظن والعياذ بالله.

ـ التفاؤل: خلق نفساني فاضل حث عليه كتاب ربنا وسنة نبينا صلى الله عليه وسلم في سياقات مختلفة وبمفردات متنوعة؛ فتارة بالحث على الاستبشار بالخير وبرحمة الله، وتارة بالنهي عن اليأس واعتباره من أخلاق الكفار كما في آية المدارسة، وتارة بالنهي عن القنوط واعتباره ضلالاً، وتارة بالحث على إحسان الظن بالله.

لنتذكر نبأ ثاني اثنين إذ هما في الغار في تلك الساعة الحرجة العصيبة، وقد انتشر الأعداء من كل جانب ليقضوا عليهما فأنزل الله عليهما من نصره ما لا يخطر على بال.

ـ التفاؤل: نور في الظلمات، وانشراح في القلب، ومخرج من الأزمات والكربات مقرون بالإيمان بالله عز وجل وبأسمائه الحسنى وصفاته العلى، لأن المؤمن يستشعر معية الله، قال تعالى: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾، ويعرف ربه بأسمائه الحسنى، قال تعالى: ﴿وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾[٣٦٥]، وقال جل وعلا عن لطفه: ﴿

---

(٣٦٤) طرح التثريب في شرح التقريب (٨/ ٢٣٤) .

(٣٦٥) سورة يوسف ، الآية ٩٢ .

اللهُ لطيفٌ بِعِباده﴾[٣٦٦]، وقال تبارك وتعالى عن رحمته: ﴿ وَرَحمَتي وَسعَت كلَّ شيءٍ﴾[٣٦٧]، وقال عن مغفرته: ﴿ غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيد﴾[٣٦٨].

وسيرة سيدنا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ تجدد فينا الروح وتضع أقدامنا على الطريق وتمنح عقولنا وقلوبنا البوصلة.

الأمل والعمل؛ هذا شعارنا ومنهاجنا، وهذا ما سنسأل عنه. تجتاز أمتنا اليوم مرحلة عصيبة ومحنة حقيقية؛ فأرضها مستباحة وخيراتها منهوبة وكرامتها مدوسة، وقرارها بيد غيرها لا بيدها، غثائية واستضعاف وفقر وجهل واستبداد وفساد واستعباد.

لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم غرس فينا النظر إلى ما وراء هذا الواقع الكئيب، حيث بلج الصبح المنتظر وأفق النصر والتمكين، واليقين بأن الله ناصر المستضعفين وقاهر المستكبرين ولو بعد حين. عن سيدنا تميم بن أوس الداري رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " ليبلغنَّ هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك اللهُ بيتَ مَدَرٍ ولا وَبَرٍ إلا أدخَله الله هذا الدين، بعزِّ عزيز أو بذلِّ ذليلٍ، عزًّا يُعِزُّ الله به الإسلامَ، وذلًّا يُذِلُّ الله به الكفر"[٣٦٩] هذا هو التفاؤل الذي غمر حياة النبي صلى الله عليه وسلم ورشحه مبدأ ساميا وربى عليه الأوائل الأفذاذ.

فمن أخطر أنواع الهزيمة أن تمتلئ القلوب باليأس والقنوط من رحمة الله تعالى ومن الأمل في وعد الله ورسوله صلى الله عليه وسلم.

---

(٣٦٦) سورة الشورى ، الآية ١٩.

(٣٦٧) سورة الْأَعْرَافِ ، الآية ١٥٦ .

(٣٦٨) سورة غافر ، الآية ٣ .

(٣٦٩) رواه أحمد، رقم: (١٦٩٥٧)، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، رقم: (٣) .

فحامل الدعوة ينبغي أن يكون جبلا راسخا في الصبر واليقين، مؤدياً رسالته منتظرا النصر والفرج باستبشار وحسن ظن وسعي حثيث، يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ۖ وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾[٣٧٠]. من لا صبر له ولا يقين أنى يكون هادياً بأمر الله تعالى.

لماذا يدعو الإسلام إلى التفاؤل ؟

إن دعوة الإسلام للتفاؤل تأتي من منطلق " حُسن ظن العبد بربه "، فإيمان الإنسان بالقضاء والقدر، وقناعته التامة أن ما يجري في حياته من خير وشر هو قدر خطه العزيز القدير، وأن ما يراه شراً هو في باطنه خير، كلها علامات تدعوك إلى التفاؤل وعدم التطير، وتذكر جيداً لو أردت أن ترسم بيديك طريق حياتك لما خرج جميلاً بالشكل الذي وضعه الله سبحانه وتعالى، فقط كن متفائلاً

أنواع التفاؤل:

هناك نوعان من التفاؤل يجب التفريق بينهما:

الأول: هو التفاؤل الغافل: أو بمعنى آخر الاستهتار، أي: الإفراط في الثقة دون العمل الجاد من أجل تحقيق أهدافك المنتظرة، وهو نوع يشبه تلك الأحلام التي تسيطر عليك، لكنها بالتأكيد لن تتحقق فأنت مجرد شخص لا يفعل أي شيء من أجل تحويل أحلامك إلى واقع.

الثاني: فهو التفاؤل الواعي: ويعني أنك شخص قادر على تقييم نفسه بطريقة موضوعية تحدد من خلالها نقاط الضعف الخاصة بك، وتعمل على تقويتها مستنداً في ذلك إلى تفاؤل يوصلك إلى تحقيق أحلامك، هذا النوع سيجعلك أقرب أكثر من أي وقت مضى نحو تحقيق أحلامك، وتذكر جيداً التحلي بالموضوعية صفة تصاحبها الكثير من النتائج المذهلة في النهاية.

---

[٣٧٠] سورة السجدة ، الآية ٢٤ .

هل أنت واحد من أولئك الذين يسيطر عليهم التشاؤم في كل لحظةٍ؟ لا تكن سلبياً واحذر من هذا المرض النفسي، نعم فالتشاؤم مرضٌ يضرب النفس ويحيل جمالها إلى جحيم، لا تجعل لون أيامك سوداوياً، ولا تركز على كل ما هو سيء، اجعل لك جانباً في التفاؤل، وانتظر الخير فرب السماوات والأرض قادرٌ على كل شيء. تعرف أكثر على التفاؤل في حياة الأنبياء من خلال القرآن الكريم الأمل و التفاؤل في حياة الأنبياء والتابعين لهم بإحسان.

أحوج ما يكون الناس إليه في ظل هذه الظروف خاصة من يبعث في نفوسهم التفاؤل، والأمل وحسن الظن بالله والتوكل عليه والرضا بقضاء الله وقدره، واجتناب التشاؤم واليأس والقنوط، وبث الأخبار التي فيها تثبيط العزائم، ونشر الخوف والهلع بين الناس، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾[٣٧١] وقال جل وعلا حاكياً حال نبيه صلى الله عليه وسلم من حيث بث التفاؤل: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾[٣٧٢]، وقال الحق تبارك وتعالى: ﴿إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ ﴾[٣٧٣]، وفي الحديث القدسي قال الله تعالى (أنا عند حسن ظن عبدي بي، فليظن بي ما شاء) [٣٧٤].

ولا ينافي التفاؤل الأخذ بالأسباب الحسية والاحتياطات والعمل بالتعليمات التي يرشد إليها أهل الاختصاص، ولنثق فيما تتخذه الدولة من إجراءات، ولنلزم التحصينات الشرعية كالأوراد الشرعية عند النوم وفي الصباح والمساء ونزول المنزل، ولنكثر من الدعاء، فبذلك كله يحصل الشفاء ويرتفع البلاء بإذن الله.

---

(٣٧١) سورة يوسف ، الآية ٨٧ .

(٣٧٢) سورة التوبة ، الآية ٤٠ .

(٣٧٣) سورة الانفال ، الآية ٦٠ .

(٣٧٤) تقدم صفحه ١٣٧ .

أيهـــا الشاكـــي ومـــا بـــك داءُ كيف تغدو إذا غـدوتَ عليلاً
ان شر النفوس نفس يئـــوس يتمنى قبل الرحيـل الرحيـــلا
و يرى الشـــوك في الـــورود ويعمي أن يرى فوقها الندى إكليلاً
هو عبء على الحيـــاة ثقيـــل من يرى في الحياة عبئـــاً ثقيلاً
والـــذي نفسه بغـير جمـــال لا يرى في الوجـــود شيئـاً جميلاً
كن هزاراً في عشـــه يتغـنى ومع الكبـــل لا يبالي الكبولا
لا غراباً يطارد الدودَ في الأرضِ وبومـاً في الليل يبكـي الطلولا
كن غديراً يسير في الأرض رقراقاً فيسقي عن جانبيـه الحقـــولا
كن مع الفجر نسمةً توسعُ الأزهـ ـارَ شمـــاً وتـــارةً تقبـلاً
أيها الشاكـــي ومـــا بـك داء كن جميلاً ترى الوجود جميلاً

التفاؤل: باب من أبواب التوكل على الله.

الأسرة المسلمة: هي نواة المجتمع الإسلامي وكيانه، وهي ركيزة تقدمه، وأساس بنيانه، وبصلاح الأسرة واستقامة أفرادها يصلح المجتمع الإسلامي ككل في دنياه وفى أُخراه.

ولكي نصل إلى أسرة مسلمة مثالية لا بد لنا من منهج قويم وتخطيط سليم وقدوة حسنة، ونموذج أخلاقي نهتدي بهديه ونتبع منهجه.

ورسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم وهديه؛ هو طوق النجاة في هذه الدنيا لكل أسرة مسلمة وكيف لا وهو القائل: تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدى أبداً: «كتاب الله وسنتي»[٣٧٥].

ولم غفل عن التفاؤل حتى أساتذة علم النفس، حيث عرفوا التفاؤل بأنه: «استبشار نحو المستقبل يجعل الفرد يتوقع الأفضل، وينتظر حدوث الخير، ويرنو

---

(٣٧٥) الشريعة، للآجري، رقم: (١٧٠٥).

إلى النجاح وهو سر النفس، أما التشاؤم فإنه توقع سلبي للأحداث القادمة يجعل الفرد ينظر حدوث الأسوأ بدلاً من الأفضل».

وعلى الإنسان دائما أن يتوقع الخير والتوفيق في أموره، وأن يلزم التفاؤل، فهذا باب من أبواب التوكل على الله سبحانه وإحسان الظن به، كما أن التشاؤم من أخلاق الجاهلية، وفيه ما فيه من إساءة الظن بالله جل وعلاً.

من يتفاءل بالخير يجده والعكس صحيح: إضافة إلى أن من يعتاد التشاؤم والشر قد يبتلى به جزاء وفاقاً، ليذوق وبال إساءة الظن بالرحمن الرحيم الحكيم الخبير جل وعلا...

وقد جاء هذا المعنى في قوله صلى الله عليه وسلم من حديث أنس: «والطيرة على من تطير[٣٧٦]، والطيرة في الإسلام معناها التشاؤم..!

يقول ابن القيم رحمه الله تعالى في تعليقه على هذا الحديث في كتاب مفتاح دار السعادة: وقد يجعل الله سبحانه تطير العبد وتشاؤمه سببا لحلول المكروه به كما يجعل الثقة والتوكل عليه وأفراده بالخوف والرجاء من أعظم الأسباب التي يدفع بها الشر المتطير به، وسر هذا أن الطيرة إنما تتضمن الشرك بالله تعالى والخوف من غيره وعدم التوكل عليه والثقة به[٣٧٧].

وكل من خاف شيئاً غير الله سُلط عليه، كما أن من أحب مع الله غيره عُذب به، ومن رجا مع الله غيره خُذل من جهته، وهذه أمور تجربتها تكفي عن أدلتها.....

و من تفاءل بالخير يجده إن شاء الله تعالى، فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يحب الفأل الحسن، ويكره التشاؤم والطيرة..

([٣٧٦]) رواه ابن حبان، رقم: (٦١٢٣)، وحسنه الألباني في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان، رقم: (٨/ ٤٧٠)

([٣٧٧]) مفتاح دار السعادة (٢/ ٢٥٦) .

جاء في مسند الإمام أحمد وغيره عن أبي هريرة، ـ رضي الله عنه ـ قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب الفأل الحسن، ويكره الطيرة[٣٧٨].

وعن صهيب ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله خير وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له"[٣٧٩].

ويقول صلى الله عليه وسلم: "المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير، احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت كان كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان"[٣٨٠]، فالتفاؤل هو يبعث بالنفس الأمل ويحفز على الإيجابية والعمل، فمن أمثلة التفاؤل الاستبشار برؤية الهلال والدعاء بالخير ورؤية الطفل حديث الولادة ونزول الغيث.

ومن الأحاديث التي تدعم التفاؤل قول الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم «بشروا ولا تنفروا يسروا ولا تعسروا»[٣٨١].

وهنا أورد قوله: «لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله»[٣٨٢]. وهذه من أحلى الصور محبة الله والثقة به وحسن التوكل عليه.

---

(٣٧٨) تقدم تخريجه صفحة ٢٥ .

(٣٧٩) رواه مسلم، رقم: (٢٩٩٩) .

(٣٨٠) رواه مسلم، رقم: (٢٦٦٤).

(٣٨١) تقدم تخريجه صفحة ١٢٤ .

(٣٨٢) رواه مسلم، رقم: (٢٨٧٧).

أما التشاؤم والتطير منهي عنهم في ديننا الحنيف وشريعتنا السمحة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:"الطيرة شرك، الطيرة شرك، الطيرة شرك"[٣٨٣] ، مكرراً إياها ثلاثاً للتأكيد.

وللأسف الشديد قد نجد في وقتنا هذا من يقرأ الأبراج ويصدقها...!وقد يتفاءل بها أو يتشائم...! وهؤلاء قال عنهم رسول الله: من أتى عرافاً «أو كاهناً» فسأله فصدقه بما يقول، فقد كفر بما أنزل على محمد!

وقد نجد من بيننا من يتقلد التمائم كطوق بالعنق، أو عين زرقاء وهذا من تلاعب الشيطان بالأذهان.

وما أجمل المسلم المتفائلَ حينما يتّوج تفاؤله بالتوكل على الله تعالى، وها هي الآيات تؤكد هذا المعنى: ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾[٣٨٤]، وهل تعلم أنّ آيات التوكل، وأنه سبحانه هو الوكيل، وهو نعم الوكيل سبحانه، قد بلغت حوالي اثنتين وخمسين آية ، منها قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللّه إِنَّ اللّه يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾[٣٨٥]، ومنها قوله تعالى: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴾[٣٨٦].

والتوكل هو: صدق الاعتماد على الله في استجلاب المصالح، ودفع المضار من أمور الدنيا والآخرة، وكِلَةُ الأمور كلها إليه، وتحقيق الإيمان بأنه لا يعطي ولا يمنع ولا يضر ولا ينفع سواه.

---

(٣٨٣) رواه أبو داود، رقم: (٣٩١٠)، والترمذي، رقم: (١٦١٤)، باختلاف يسير وصححه الألباني في غاية المرام (٣٠٣)

(٣٨٤) سورة الطلاق ، الآية ٣ .

(٣٨٥) سورة ال عمران ، الآية ١٥٩ .

(٣٨٦) سورة الاحزاب ، الآية ٣ .

إذا أردت أن يكون وكيلك الله في كل حال فتمسك بالتوكل في كل حال..﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴾[٣٨٧] .

إذا أردت يكون الفردوس الأعلى منزلك فانزل في مقام التوكل..﴿ الَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾[٣٨٨]

إن شئت أن تنال محبة الله فانزل أولاً في مقام التوكل، يقول تعالى:﴿ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾[٣٨٩] .

إذا أردت أن يكفيك الله كل شيء، وتحصل على كل شيء من خالق السماء والأرض ومالك الملك فعليك بالتوكل..﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾[٣٩٠]، أي: كافيه.

حقاً ما أحوج الأمة اليوم إلى هذه المعاني، وترسيخها في النفوس، فلنبدأ بأنفسنا وأسرنا ومجتمعاتنا.

"تفاءل بالله دائماً ،توكل على الله دائماً ،انفض غبار الحزن واليأس، ابتسم وانهض بثبات، وتذكر أن العُسر يتبعه يُسر، وأن الله رؤوفٌ رحيمٌ بعباده"

كيف أكون متفائلاً؟

حاجتنا إلى التفاؤل في جوانب الحياة:

نحن في موضوع التفاؤل نحتاج في مواقف كثيرة في الحياة.

---

(٣٨٧) سورة الأحزاب ، الآية ٣ .

(٣٨٨) سورة العنكبوت ، الآية ٥٩ .

(٣٨٩) سورة آل عمران ، الآية ١٥٩ .

(٣٩٠) سورة الطلاق ، الآية ٣ .

مثلاً: المرض والمرضى والتعامل مع المرضى، وهذا كلام للأطباء والممرضين والعاملين في المستشفيات، ولطلاب كلية الطب، وكذلك للزائرين للعائدين للمرضى. فالمرض لا شك يقعد بالشخص، يُقعده ويقعد به.

ذكر ابن الجوزي في أخبار الحمقى والمغفلين أن عجوزاً دخلت على قوم تعزيهم بميّت، فرأت عندهم في الدار بعد أن عزتهم رأت رجلاً عليلاً، فرجعت لجماعة أهل البيت، قالت: أنا والله يشق عليّ المشي، من الآن أقول أحسن الله عزاءكم[٣٩١] -يعني في هذا الثاني-! أنا يشق علي الذهاب والرجوع مشياً، بعد ذلك أسمع خبر وأرجع مرة أخرى، أقول لكم من الآن أحسن الله عزاءكم! فالتفاؤل مهم في المواقف المتعددة.

مثلاً الحياة الزوجية، الحياة الزوجية فيها مشكلات وهناك ناس عندهم مشاكل مع زوجاتهم ومع بعض أولادهم، لكن الحياة الزوجية أصلاً مبناها على التفاؤل أصلاً من أول كلمة يُقال لك في الزواج "بارك الله لك وبارك عليك وجمع بينكما في الخير"[٣٩٢] فيكون هذا فأل طيب، يعني دعاؤه بهذا الدعاء دعاء بالبركة.

وحتى الزواج نفسه يتفاءل به، لو أن فقيراً ضيق ذات اليد، ممكن يتفاءل بالزواج؟ نعم، يتفاءل بالزواج نفسه، قال الله تعالى مبيناً أن الغنى سيحصل والسعة ستأتي، بماذا؟ قال تعالى: ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴾[٣٩٣] .

---

(٣٩١) أخبار الحمقى والمغفلين (ص: ١٧١) .

(٣٩٢) رواه الترمذي، رقم: (١٠٩١)، وأبو داود، رقم: (٢١٣٠)، وأحمد، رقم: (٨٩٥٦)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤٢٨)

(٣٩٣) سورة النور، الآية ٣٢ .

ولذلك الواحد يتفاءل بالزواج أن يغتني، هو الزواج أنكحوهم لو كانوا فقراء زوجوهم، إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله. ويتفاءل بالزواج بحصول السعادة، ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾[٣٩٤] .

هذه السعادة، وتتفاءل بالزواج بالذرية الطيبة، ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً﴾[٣٩٥] .

وحتى لو وجدت من الزوجة بعض ما ينفرّك وبعض ما تكرهه تفاءل أن هنالك جانباً آخر رأيت بعضه أو لم تر البعض الآخر، قال تعالى: ﴿فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾[٣٩٦] .

هذا وجه التفاؤل، ربما يأتيك منها ولد ليس في الحي مثله، وربما يأتيك منها ولد ليس هناك مثله في البلد.

الآن لو قدّر الله ووقع الطلاق، وقعت المصيبة، هذا الطلاق أزمة نفسية وشقاء وتعاسة، كرب في الحقيقة، هل هذا الطلاق ممكن يكون فيه خير مثلاً؟ وكيف يكون مثلاً؟

قال تعالى في آيات الطلاق: آيات الطلاق نهاياتها عجيبة، تحتاج تأمل، نهايات آيات الطلاق في سورة الطلاق نهايات تستدعي الوقوف عندها، والتبصّر بها، تجد أن بعضها ينتهي: ﴿سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾[٣٩٧] .

تجد بعضها ينتهي: ﴿وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِنْ سَعَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا﴾[٣٩٨] .

---

(٣٩٤) سورة الفرقان ، الآية ٧٤ .

(٣٩٥) سورة آل عمران ، الآية ٣٨ .

(٣٩٦) سورة النساء ، الآية ١٩ .

(٣٩٧) سورة الطلاق ، الآية ٧ .

(٣٩٨) سورة النساء ، الآية ١٣٠ .

هذا فيه تفاؤل، المرأة انكسرت نعم، والرجل حصل على ما حصل، حصل لكن قضي الأمر، انتهت العدّة، أو صارت الطلقة الثالثة، يقول تعالى:﴿ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾[٣٩٩]. يغني الله كلاً من سعته، الله يغني المرأة ويغني الرجل، ما وقف رزقها عليه.

التفاؤل في قضية الحصول على الوظائف وفرص العمل في قضية البحث عن وظائف مثلاً، أعمال، بعض الناس والله قدر عليه رزقه، ضاق عليه رزقه، مقاول انكسر، تاجر خسر، موظف طرد من وظيفته، طالب متخرج مدفوع بالأبواب، متخرج مدفوع بأبواب الشركات.

يقول المولى تبارك وتعالى: ﴿ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾[٤٠٠]، ويقول تعالى: ﴿فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ ﴾[٤٠١] .

وينبغي التفاؤل حتى بالسؤال، كما قال الله تعالى: ﴿وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ ﴾[٤٠٢]، والتفاؤل بطلب الرزق والسعي له، قال تعالى: ﴿ فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ﴾[٤٠٣].

لا تيأسنّ وإن طـــالت مطالبة ... إذا استعنت بصبر أن ترى فرجَ
إن الأمور إذا انسدت مسالكها ... فالصبر يفتح منها كل ما ارتتجَ
أخلق بذي الصبر أن يحظى بحاجته ... ومدمن القرع للأبواب أن يلجَ

هناك ناس عليهم ديون، مطالبون، يتفاءل بماذا؟

---

(٣٩٩) سورة البقرة ، الآية ٢١٦ .
(٤٠٠) سورة الشرح ، الآية ٥ .
(٤٠١) سورة العنكبوت ، الآية ١٧ .
(٤٠٢) سورة النساء ، الآية ٣٢ .
(٤٠٣) سورة الملك ، الآية ١٥ .

إذا أخذ أموال الناس يريد السداد يتفاءل؛ لأن هناك وعد من الوحي، قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : "من أخذ أموال الناس يريد أداءها أدى الله عنه"[٤٠٤] لكن الذي أخذها يلعب بها ولا ينوي ردها أصلاً، ويلٌ له!

الزبير لما نزل به الموت أوصى ابنه بسداد ديونه، الزبير هو غني لكن كان يقترض ويتصدق.

جاءه سائل ما عنده اقترض وتصدق، اقترض، يقول: عندي أملاك وعندي مزارع، لكن الآن ليس موسم حصاد.

فلما حضرت الزبير الوفاة جعل يوصي ابنه عبد الله: يا بني إن عجزت عنه في شيء فاستعن عليه مولاك .

يعني إذا جاءك صاحب دين وصاحب مال يسألك ما عندك شيء استعن بالله مولاك.

يقول عبد الله: "فو الله ما دريت ما أراد -يعني ما المقصود مولاي- حتى قلت: "يا أبتِ من مولاك؟

قال: الله".

قال عبد الله: "فو الله ما وقعت في كربة من دينه إلا قلت: يا مولى الزبير اقض عنه" فيقضيه.

لما قتل الزبير ما كان عنده لا دينار ولا درهم إلا أرضين، الغابة، ودور.

قال عبد الله: "فحسبتُ ما عليه من الدين فوجدته ألفي ألف، ومائتي ألف" يعني مليونين ومائتين ألف.

أخذ عبد الله يقطّع ويبيع، بالمزاد، يقطّع ويبيع، يقول: "حتى قضيتُ الدين كله، ووزعت الباقي على ورثة الزبير" وكان عنده أربع زوجات، الزوجات كلهن يأخذن؟

---

(٤٠٤) رواه البخاري، رقم: (٢٣٨٧).

الثمن، يعني كل واحدة تأخذ ربع الثمن، يقول: فكان نصيب كل امرأة من زوجاته الأربع -كل امرأة - ألف ألف ومائتا ألف، يعني مليون ومائتين ألف، غير نصيب الذكور، وغير نصيب الإناث. قال: "هذا غير الوصية" يعني كان عنده وصية، فكم كان ماله؟ قال عبد الله بن الزبير: "فجميع ماله خمسون ألف ألف ومائتا ألف"[٤٠٥]

هو أصلاً كان له أرض في الغابة نتيجة فتوحات وغنائم، لكن هذه بارك الله في بيعتها، ركام ربما تباع بأ بخس الأثمان، لكن إذا بارك الله في بيعة في شيء، إرث هذا الرجل الصالح بيعت بأعلى الأثمان، وانفكت الأزمات والديون، وأخرجنا الوصية، ووزعنا على النساء والذكور والإناث وحصل كل هذا، فرّج من الله.

التفاؤل بالخير في السفر.

نحن -مثلاً- في السفر، الواحد في السفر وبالذات فيما مضى، كان هناك خوف في السفر، قطاع الطرق، ممكن مهلكة، مسبعة، أرض فيها في الطريق مخاطر كثيرة، قاطع طريق، وحش، كذا...تحصل!

فدعاء السفر" اللَّهُمَّ أنت الصاحب في السفر، والخليفة في الأهل، اللَّهُمَّ إني أعوذ بك من وعثاء السفر، وكآبة المنظر، وسوء المنقلب في المال والأهل "[٤٠٦] .

فإذن، تفاءل بسلامة العودة، وسلامة الأهل، وسلامة المال، وحصول الغنائم من السر، تفرّج هم واكتساب معيشة، وعلم، وآدابٌ، وصحية ماجد.

مات أب ترك ذرية صغاراً، أيتاماً، هؤلاء الأيتام يتفاءل لهم الآن أنهم يكبرون، وأنهم يعيشون، وأنهم يغتنون، قال تعالى: ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى ۝ وَوَجَدَكَ

---

(٤٠٥) رواه البخاري، رقم: (٣١٢٩).

(٤٠٦) رواه مسلم، رقم: (١٣٤٢) .

ضَالًّا فَهَدَى ۝ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى ﴾[٤٠٧]، وكانت العرب تسمي الصحراء مفازة تفاؤلًا بقطعها بسلام وأمان، وتسمي القافلة قافلة تفاؤلاً برجوعها قافلة سالمة.

التفاؤل في مجال الدعوة إلى الله تعالى.

في مجال الدعوة إلى الله نحتاج للتفاؤل، الناس يقولون: الآن كثيرة هذه المغريات والفتن والشهوات، الشبهات كثيرة، والشهوات كثيرة، والناس الآن تكلمهم ما يستجيبون لك، وتأمرهم بالمعروف، وتنهاهم عن المنكر ولا يستجيبون، كأنه ليس هناك فائدة.

نقول: بالعكس! هناك فائدة ـ إن شاء الله ـ، الله يفتح قلوباً، من الذي قال ليس هناك فائدة؟ حتى لو اشتد عليك، اشتد الأمر على الداعية، الله سيسهل له المسالك، يفتح له القلوب، وهناك أناس ستهتدي، وهناك أناس ستتأثر، وهناك أناس الآن ما اهتدت، لكن سيهديهم الله فيما بعد، وهناك أناس سيبارك الله في هدايتهم، فيجعل الله منهم مهديين أيضاً على أيديهم، وحتى الأعداء، ربما يهديهم الله بعد ذلك.

قال تعالى للصحابة: ﴿ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً ﴾[٤٠٨].

تفاؤل الأبوين بتربية الأبناء.

وهكذا يتفاءل الأب بتربية أولاده، وكذلك الأم، بالرغم من كثرة العقبات وكثرة الفتن وكثرة الملهيات والمشغلات والأشياء التي فعلاً تشتت الأولاد وتغرقهم في المعاصي والترف، لكن إذا بذل الأب السبب، وبذلت الأم السبب يتفاءلان بأن

---

(٤٠٧) سورة الضحى ، الآيات ٦- ٨ .

(٤٠٨) سورة الممتحنة ، الآية ٧ .

الله سيصلح الولد ولو بعد حين، قال تعالى: ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا ﴾[٤٠٩] .

إذا حاول وقايتهم بإلزامهم بما أمر الله، ونهيهم عما نهى الله عنه سيأتي إن شاء الله الفرج.

وفي هذه العملية تربية الأولاد قيل إن أم محمد الفاتح -السلطان العثماني- كانت تأخذ طفلها وهو صغير وقت صلاة الفجر لتريه أسوار القسطنطينية، وتقول: أنت يا محمد تفتح هذه الأسوار.

فيقول: أنا؟ كيف؟ فتقول: "بالقرآن والسلطان والسلاح ومحبة الناس" وهكذا كان.

وكما علمنا أن أم الشيخ الدكتور عبدالرحمن السديس إمام الحرم المكي الشريف كانت تدعو لابنها أن يكون إمام الحرم وتفاءلت بذلك فكان بفضل الله ورحمته.

التفاؤل للطالب بالنجاح والتوفيق.

التفاؤل للطالب ونحن في موسم الامتحانات، هو يدرس، يبذل الأسباب، يتفاءل بأن الله سيوفقه، ليس الواحد من أول ما يذهب الاختبار يقول: واضح أن الأسئلة صعبة! لم يقرأ الأسئلة بعد!

قال أحدهم:

إذا ضاقت بك الدنيا ففكر في "ألم نشرح"
فعسر بين يســـــرين متى تذكرهما تفرح.

وقال آخر:

سيفتح الله باباً كنت تحسبه من شدة اليأس لم يخلق بمفتاح.

وقال آخر:

---

(٤٠٩) سورة التحريم ، الآية ٦ .

أيها البائس صبراً إنّ بعد العسر يسراً.

وقال آخر:

اصبر قليلاً فبعد العسر تيسيرُ وكـــل أمر له وقتٌ وتدبيرُ
فكم من رجل رأيناه باكيـــاً فما دارت الأيام حتى تبسماً.

ومما نقله ابن كثير في تفسيره ما يروى عن الشافعي، رضي الله عنه، أنه قال:

صَبرا جَميلا ما أقرَبَ الفَرجا مَن رَاقَب الله في الأمور نَجَا
مَن صَدَق الله لَم يَنَلْه أذَى وَمَن رَجَاه يَكون حَيثُ رَجَا.

وقال ابن دُرَيد: أنشدني أبو حاتم السجستاني:

إذا اشتملت على اليأس القلوبُ وضاق لما به الصدر الرحيبُ
وأوطأت المكـــاره واطمـــأنت وأرست في أماكنها الخطوبُ
ولم تر لانكشاف الضر وجها ولا أغنى بحيلتـــه الأريبُ
أتاك على قُنـــوط منك غَـوثٌ يمن به اللطيـف المستجيبُ
وكل الحادثات إذا تنـــاهت فموصول بها الفرج القريب
وَلَرُب نازلة يضيق بها الفتى ذرعا وعند الله منهـــا المخرج
ضاقت فلما استحكمت حلقاتها فرجت وكان يظنها لا تفرج.؟[٤]

وهناك مفاتيح الفرج ينتفع بها الطالب وغيره ممن يعاني من شدة وكرب وضيق .

([٤]) تفسير ابن كثير ط العلمية، (٨/ ٤١٨) .

فوائد التفاؤل:

التفاؤل - له فوائد كثيرة، فمن فوائده حصول الخير، خلاص ﴿ إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ﴾[٤١١] .

١ـ تجاوز المحـــن:

التفاؤل يتجاوز به الإنسان المحن، الاستعانة بالله، فمثلاً التفاؤل بشفاء المريض يكون سبباً للشفاء، التفاؤل بالنجاح يكون سبباً للنجاح، التفاؤل بالنصر يكون سبباً للنصر، التفاؤل باندفاع المصيبة، بقضاء الدين، وهكذا.

٢ـ أنه يورث طمأنينة النفس

وراحة القلب والارتياح، إذا جئت تحسب الاحتمالات تتعب ، لكن مع التوكل على الله، والتفاؤل بالخير تهون الأمور.

سَهِرَت أَعيُنٌ وَنامَت عُيـــونُ في أُمورٍ تَكونُ أَو لا تَكونُ
فَادرَأِ الهَمَّ ما اِستَطَعتَ عَنِ النَفـ ـسِ فَحِملانُكَ الهُمومَ جُنونُ
إِنَّ رَبّاً كَفاكَ بِالأَمـــسِ ماكـا نَ سَيَكفيكَ في غَدٍ ما يَكونُ

ثم المتفائل عنده انفساح في الصدر واعتقاد أن اليسر بعد العسر آتٍ وأن رحمة الله تسبق، فلا تنكسر نفسه، ولا يقعد عن العمل، ولا يصاب بالإحباط ولا بالاكتئاب.

هذا الأمل مهم، كما قال الشاعر:

أعلل النفس بالآمال أرقب بها ما أضيق العيش لولا فسحةُ الأملِ

٣ـ المتفائل إيمانه بالله قوي.

ثم التفاؤل هذا له علاقة مباشرة بالإيمان، له علاقة مباشرة قوية بالإيمان؛ لأنه يدل على الثقة بالله، له علاقة مباشرة بالتوحيد؛ لأنه يدل على حسن الظن بالله، له علاقة مباشرة بالاعتقاد الصحيح؛ لأنه يدل على الرضا، فيرضا بقضاء الله.

---

(٤١١) سورة الأنفال ، الآية ٧٠ .

٤ـ النظرة الإيجابية للأشياء.

والتفاؤل يُعّود المؤمن على أن تكون نظرته للأشياء إيجابية، لا تسب الحمى، الحمى يكفر الله بها الذنوب، مع أنه ظاهر الأمر حمى وآلام سخونة، لكنها تذهب الخطايا كما يذهب الكير خبث الحديد.

وأيضاً التفاؤل فيه سعادة للإنسان، من أسباب السعادة، حتى يقال من أسباب طول العمر.

أما المكتئب ماذا سيفعل بالاكتئاب، ما يحل المشكلة الاكتئاب، التفاؤل ممكن يكون حلاً، لكن الاكتئاب لا يكون حلاً.

قال السماء كئيبة وتجهما قلت ابتسم يكفي التجهم في السماء
قال الصبا ولّى فقلت له ابتسم لن يرجع الأسف الصبا المتصـــرما

ومنها:

١- يَهَبُ المرءَ شجاعةً وقوَّةً في قلبِه، وجَسارةً على مواجَهةِ الصِّعابِ.

٢- يُرَوِّحُ عن النّفسِ ويجلِبُ لها السَّعادةَ.

٣- يبعَثُ في المرءِ مَزيدًا من النّشاطِ والحيويَّةِ والهِمَّةِ العاليةِ.

٤- المتفائِلُ برحمةِ اللهِ له المحسِنُ الظَّنَّ برَبِّه، يأتي بالعبادةِ على أكمَلِ وَجهٍ.

٥- له أثَرٌ بالغٌ على صِحَّةِ الإنسانِ؛ فالمريضُ يتماثَلُ للشِّفاءِ إذا ما تفاءَل خيرًا واستبشَر بالشِّفاءِ، وكم من مريضٍ عِلَّتُه في تشاؤُمِه واستِدعائِه الهُمومَ والأحزانَ!

٦- أنَّ في التَّفاؤُلِ اقتداءً بالنَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم واتِّباعًا لهَدْيِه الشَّريفِ.

٧- حُسنُ الظَّنِّ باللهِ.

٨- أنَّ في التَّفاؤُل تقويةً لعَزمِ الإنسانِ.

٩- أنَّ التَّفاؤُلَ يتضَمَّنُ الرَّجاءَ والأمَلَ، والرَّجاءُ خَيرٌ للمُؤمِنِ من اليأسِ والقُنوطِ في كُلِّ الأحوالِ.

١٠- أنَّه باعِثٌ على الجِدِّ.

١١- أنَّه مُعِينٌ على الظَّفَرِ.

١٢- صِحَّةُ النَّفسِ واعتدالُ المِزاجِ.

١٣- سعادةُ النَّفسِ والقَلبِ واطمِئنانُهما.

١٤- دوامُ البِشرِ واللُّطفِ والهُدوءِ.

١٥- الرِّضا بالقَضاءِ والقَدَرِ، واعتقادُ أنَّ كُلَّ ما قدَّر اللهُ هو خيرٌ له.

انتظار الفرج عبادة.

التفاؤل المتوقع بعد انتظار الفرج عبادة .

كان ﷺ يربي أصحابه على انتظار الفرج، التعبّد، انتظار الفرج، وعلى الأمل الحسن، وأن الله سيأتي بالنصر والعاقبة الحسنة، وأن هذه طبيعة الدعوات، هذه طبيعة الدنيا أصلاً، لا يمكّن الرجل حتى يُبتلى، ما يأتي النصر إلا بعد عسر.

واجتمعت قريش وغطفان وأسد وفزارة وأشجع وقبائل، وقالوا هذه هي، ضربة واحدة، هجمة واحدة، اتحاد القبائل العربية المشركة للهجوم على المدينة.

وتحزبوا... ﴿إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا﴾[٤١٢] .

فعلاً بلغت القلوب الحاجر من الخوف والفزع، ﴿وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴾[٤١٣] .

ومع ذلك كان النبي ﷺ يقول عند ضرب الصخرة:" الله أكبر، أُعطيت مفاتيح الشام، والله إني لأبصر قصورها الحمر من مكاني هذا، باسم الله، الله أكبر -الضربة الثانية- والله إني لأبصر المدائن وأبصر قصرها الأبيض من مكاني هذا، باسم الله

---

(٤١٢) سورة الأحزاب ، الآية ١٠ .

(٤١٣) سورة الأحزاب . الآية ١١ .

والله أكبر -ضرب الضربة الثالثة- الله أكبر، أُعطيت مفاتيح اليمن، والله إني لأبصر أبواب صنعاء من مكاني هذا "[٤١٤]

بالرغم من اجتماع العدو وضعف العدو وقلة عددهم بالنسبة، والبرد القارس، والضرر الذي نزل بهم، والحصار، والشتاء، والظلام، وأنواع المخيفات الكثيرة، مع ذلك النبي ﷺ يعطي البشائر، وبشارة تلو بشارة، وبشائر على مستوى، ليس فقط ينهزم جيش المشركين، لا، على كسرى وقيصر، أشياء عظيمة، وتحققت كلها ووطئت أقدام الصحابة بلاد فارس، والروم وفُتحت البلاد بأيديهم.

المتفائل يقرأ الأحداث على أحسن الوجوه.

وإنما تطيب الحياة بالأمل والتفاؤل، والمتفائل يقرأ الأحداث على أحسن الوجوه ويرى الخير حتى من خلال الشر وشعاع الشمس من خلل الغمام، ونور الفجر من وسط الظلام.

وفي هذه الأجواء العصيبة التي تعيشها الأمة وتتعرض فيها للطعن في مقدساتها وثوابتها وتشريد أبنائها وتقتيلهم، في هذه الأجواء التي تدعو إلى الإحباط في نظر الكثيرين، فإننا نبعث هذه الكلمات والبشائر المتفائلة محملة برياح التغيير التي هي سنة من سنن الله تعالى.

ونسمع أحياناً كلمات تدعو لليأس، أنا محبط، ليس لدي ثقة، لا أظن أن أمتنا ستنهض من الغيبوبة التي هي فيها، ليس هناك أمل، المسلمون مغلوبون، سيبقون مغلوبين، سيبقون في آخر الأمم، كما قال تعالى: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ ﴾[٤١٥]، ولا مخرج، أمتنا ممزقة وغير قادرة على تجاوز ضعفها،

([٤١٤]) اخرجه أحمد، رقم: (١٨٦٩٤)، وحسّنه ابن حجر في الفتح، رقم: (٧/ ٣٩٧) قال الشيخ شعيب الأرناؤوط: إسناده ضعيف.

([٤١٥]) سورة إبراهيم ، الآية ٢١ .

هذه الأمة مشلولة، سيطر أعداؤها عليها، لا يمكن استرداد العزة، والخروج من حال الغفلة، الهوى مطبق، ونحو ذلك من أنواع الكلمات التي فيها يأس.

ونحن نؤمن بأن في المحن منحاً، وبأن النصر مع الصبر، وبأن العسر مع اليسر، كما هي مفردات في القرآن والسنة.

المسلمون اليوم بحاجة إلى من يبث الأمل في نفوسهم، الدعاة، المربون، عامة الناس، فمهما طال الليل وادلهمّ، ومهما تكالب أهل الشر فإن الله، يخرج من ينشر هذا الدين، ومن يقوم بحمله، "يحمل هذا الدين من كل خلف عُدوله".

مهما تكاثف ليل الظلمات ومكر الأعداء، فإن الله تعالى سيتم نوره، يقول تعالى: ﴿ يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾[٤١٦] .

أُصيب المسلمون في أحد في أرواحهم، قتل منهم سبعون صحابياً، كسرت رباعية النبي ﷺ وشُجّ وجهه، وأرهقه المشركون، وأصيب من أصيب بالجراح، وقال المنافقون: قضي الأمر وانتهى.

لكن الله قال للمسلمين المؤمنين أصحاب النبي ﷺ ﴿ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ۝ إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴾[٤١٧]

إذن، لا تضعفوا لا في الأبدان ولا تهنوا في قلوبكم، لا وهن في البدن ولا ضعف ولا حزن في القلب، أيقنوا بنصر الله، قال تعالى: ﴿ وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾[٤١٨] .

---

(٤١٦) سورة التوبة ، الآية ٣٢

(٤١٧) سورة آل عمران ، الآيات ١٣٩، ١٤٠.

(٤١٨) سورة آل عمران ، الآية ١٣٩ .

فإذن ماذا كان التوجيه؟

فأشدد يديك بحبل الله معتصماً فإنه الركن إن خانتك أركانُ

بينها وبين بئر معونة تقريباً ستة أشهر، ستة أشهر كان المسلمون مع مصيبة أخرى عظيمة قتل فيها سبعون من القراء، سبعون من خيار الصحابة.

أيضاً، هناك سبعون وراء سبعين من الصحابة خسائر مائة وأربعين من الأفذاذ، من الأبطال، من الحفّاظ.

هكذا توالت الخسائر، لكن النبي ﷺ وأصحابه هل توقفوا عن العمل؟ أبداً.

هل يئسوا؟ إطلاقاً، وفي هذا يقول المولى تبارك وتعالى: ﴿حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ﴾[٤١٩] .

فمن سنن الله سنة المدافعة، وسنة المداولة، وسنة التغيير، وسنة التمحيص، يقول المولى تبارك وتعالى: ﴿ ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ﴾[٤٢٠] .

وعلينا أن نعلم أنه لا يمكن أن يدوم الباطل، بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق.

فطبيعة الباطل الذهاب والاضمحلال، إن الباطل كان زهوقاً.

ومن السنن، سنة الزبد، وهي ذهاب الباطل ومقوماته، وبقاء الحق، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ﴾[٤٢١] .

---

(٤١٩) سورة يوسف ، الآية ١١٠ .

(٤٢٠) سورة محمد ، الآية ٤ .

(٤٢١) سورة الرعد ، الآية ١٧ .

تفاؤله ﷺ بالاسم الحسن:

النبي ﷺ كان يعيش التفاؤل في كل أحواله، ويعجبه الفأل الحسن كما في الحديث الصحيح، ويتفاءل بالاسم الحسن، وإذا بعث عاملاً سأل عن اسمه، فإذا أعجبه اسمه فرح به ورؤي ذلك في وجهه. إذا دخل قرية سأل عن اسمها، فإن أعجبه اسمها فرح ورؤي بشر ذلك في وجهه"[٤٢٢] وقال لأصحابه: " إذا أبردتم إلي بريداً يعني شخص يحمل الرسائل فابعثوه حسن الوجه حسن الاسم"[٤٢٣]

ليكون هناك سبباً للتفاؤل، وكان ﷺ يتفاءل بأصحابه، ويتفاءل للحال التي هو فيها، حتى أن قريشاً لما أرسلت سهيل بن عمر ليفاوضه قال ﷺ لما عرفه: لقد سَهُل لكم من أمركم .وفي هذا دليل على استحباب التفاؤل بالاسم الحسن "[٤٢٤] .

إن امرأة عمران سمت بنتها مريم تفاؤلاً، لأن معنى هذه الكلمة في لغتهم "العابدة" وكذلك كانت.

وكان ﷺ يعجبه إذا خرج لحاجة أن يسمع "يا راشد" يعني واحد ينادي شخصاً "يا راشد"... "يا نجيح" واحد ينادي شخصاً باسمه واسمه نجيح، من غير تريب.

التفاؤل الشرعي: أنك تكون خارجاً في حاجة، مثلاً صفقة تجارية، خطوبة، خطبة للزواج، ذاهب للامتحانات.

أنت ذاهب -مثلاً- لعيادة مريض، كنت ذاهب لعيادة مريض تسمع منادياً يقول: يا سالم. فتتفاءل بها أن المريض سيسلم.

---

(٤٢٢) رواه أبو داود ، رقم: (٣٩٢٠)، والبيهقي في السنن الكبرى، رقم: (١٦٥٢٢) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٧٦٢) .

(٤٢٣) رواه البزار في "المسند، رقم: (٤٣٨٣)، وابن أبي شيبة، رقم: (٣٣٠٠٨)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٥٩) .

(٤٢٤) رواه البخاري، رقم: (٢٧٣١).

وأنت ذاهب لامتحان لنفترض أن شخصاً اسمه ناجح أو نجيح، أو فتاة، طالبة ذاهبة للاختبار سمعت طالبة أخرى تقول: يا نجاح.

فتتفاءل، هذا التفاؤل الشرعي هذا ليس بترتيبات.

ليس بمن يقول: هذا ذاهب، كن في طريقه ونادي فلان واعمل تمثيلية !.لا، هذا يحدث تلقائياً، عفوياً.

أنت ذاهب تزور واحداً في المستشفى تسمع من ينادي يقول: يا سالم، يا سليم. صيغة مبالغة من سلم، سليم يا سليم. فتتفاءل بأنه سيسلم ويقوم مريضك ويشفى.

تفاؤله ﷺ بما يراه من المواقف والأحداث:

وكان ﷺ يتفاءل بما يراه من المواقف والأحداث.

النبي ﷺ لقي صعوبات جمّة، لقي صعوبات شديدة، ومع ذلك ما كان ييأس، ولا يقعد، يثق بموعود الله، يتفاءل.

مات عمه أبو طالب وزوجته خديجة في عام واحد، واجتمع عليه من أذى الكفار ما لا يعلمه إلا الله، ونالت قريش منه ما لم تنل من قبل حتى اعترضه سفيه من سفهائهم، وأهال التراب ونثره على رأسه، وطُرح عليه سلا الجزور بين كتفيه وهو ساجد، وخنقه بعض الكفار خنقاً شديداً، وقام الصديق يدافع عنه، ولم يزده ذلك إلا تصميماً وعزيمة على مواصلة الطريق.

وخرج من مكة إلى الطائف يحاول مع أهل الطائف مع أنه قوبل أسوأ مقابلة وردوا عليه أقبح رد وأنهم رجموه بالحجارة حتى دميت قدماه على ما وردا.

ومع ذلك بقي متفائلاً، لما وصل مكة وجاوز المكان وجاءه ملك الجبال ويعرض عليه أن يطبق عليهم الأخشبين قال ﷺ: " بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله"[٤٢٥] هذا تفاؤل، أن الله يخرج من أصلاب هؤلاء من يعبد الله.

وكذلك لما لقي ما لقي ﷺ من أنواع الإيذاء والألم والمرارة وحصار الشِّعب، حتى ما كان يجد شيئاً يأكله، كان ﷺ يبعث في نفوس أصحابه التفاؤل، ويقول كلاماً يعلي الهمم، يوقظ الأمل في النفوس كان ﷺ وهو متوسِّد البردة في ظل الكعبة ويقول له خباب: لقينا الشدة وحصل وحصل، والذي منا أُحرق، والذي منا سُجن، والذي منا عُذِّب، وهو يقول: لقد كان الرجل في من قبلكم وذكر لهم أذىً أشد قال: وليتمنّ الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله أو الذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون "[٤٢٦].

النظرة الإيجابية للأشياء:

والتفاؤل يعود المؤمن على أن تكون نظرته للأشياء إيجابية، لا تسب الحمى، الحمى كفر الله بها الذنوب، مع أنه ظاهر الأمر حمى وآلام سخونة، لكنها تذهب الخطايا كما يذهب الكير خبث الحديد.

وأيضاً التفاؤل فيه سعادة للإنسان، من أسباب السعادة، حتى يقال من أسباب طول العمر.

أما المكتئب ماذا سيفعل بالاكتئاب؟، ما يحل المشكلة الاكتئاب؟، التفاؤل ممكن يكون حلاً، لكن الاكتئاب لا يكون حلاً، الإحباط لا يكون حلاً.

التفاؤل و الأمل في حياة المؤمن:

([٤٢٥]) رواه البخاري، رقم: (٣٢٣١)، ومسلم، رقم: (١٧٩٥).

([٤٢٦])) رواه البخاري، رقم: (٣٤١٦).

إن من مصادر الأمن والسكينة لدى المؤمن الأمل الذي يضيء له الظلمات، وينير له المعالم، ويهديه السبيل وتنمو به شجرة الحياة، ويرتفع به صرح العمران، فهو قوة دافعة تشرح للعمل وتخلق دواعي الكفاح من أجل الواجب وتبعث النشاط في الروح والبدن.

فالإيمان يولد الأمل والأمل مهم في الحياة ما الذي يدفع الزارع إلى الكدح والعرق إلا أمله في الحصاد؟ وما الذي يغري التاجر بالأسفار والمخاطر إلا الأمل في الربح؟ وما الذي يبعث الطالب على الجد والمثابرة إلا الأمل في النجاح؟ وما الذي يحبب إلى المريض الدواء المر إلا الأمل في الشفاء؟ وما الذي يدعو المؤمن إلى أن يخالف طبيعته وهواه ويتحمل المشاق في هذه الدنيا؟ إنه الأمل في جنة الفردوس، فهذا الأمل هو الذي يهون هذه الصعاب، فهو دافع النشاط ومخفف الويلات وباعث البهجة.

ما أضيق العيش لولا فسحة الأمل!!

إذا يأس التلميذ من النجاح -أيها الإخوة- نفر من الكتاب والقلم، وضاق بالبيت والمدرسة، ولم يعد ينفعه درس خاص ولا عام، ولا نصح يسدى ولا تهيئة المكان ولا الجو المناسب ولا ولا إلا أن يعود إليه شيء واحد يحل له كل هذه المشكلة، ألا وهو الأمل، فإذا رجع الأمل انحلت المشكلة. وإذا يأس المريض من الشفاء كره الدواء، وكره الطبيب، والعيادة، والصيدلية، وضاق بالحياة والأحياء، ولم يعد يجديه العلاج إلا أن يعود إليه الأمل، وهكذا إذا تغلب اليأس على إنسان اسودت الدنيا في وجهه، وأظلمت في عينيه، وأغلقت أمامه أبوابها، وتقطعت دونه أسبابها، وضاقت عليه بما رحبت.

اليأس سم بطيء لروح الإنسان، وإعصار مدمر لنشاطه، ولا إنتاج ولا إحساس حينئذٍ.

واعلموا أن اليأس ملازم للكفر، كما أن الأمل ملازم للإيمان، وليس بعجيب أن تجد أصناف اليائسين بغزارة وكثرة بين الجاحدين لله البعيدين عن شرع الله، ﴿إِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾[٤٢٧] ﴿وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾[٤٢٨] يتجلى هذا اليأس في الشدة ونزول الشر كما ذكر الله: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْأِنْسَانَ مِنّا رَحْمَةً ثُمّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنّهُ لَيَؤُوسٌ كَفُورٌ﴾[٤٢٩] ﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسّهُ الشّرُ كَانَ يَؤُوساً﴾[٤٣٠] ﴿وَإِنْ مَسّهُ الشّرُ فَيَؤُوسٌ قَنُوطٌ﴾[٤٣١]

لكن استثنى الله صنفاً واحداً فقال: {إِلّا الّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصّالِحَاتِ}[٤٣٢] فلو خسر في تجارة، أو رسب في مدرسة، أو حصل له فشل في شيء فإنه لا ييئس ولا يقنط؛ لأن أمله مستمر برب رءوف رحيم، ليس اليأس فقط من الدنيا وإنما -أيضاً- السخط على الرب كما قال المعري: هذا ما جناه أبي عليّ وما جنيت على أحد.

ولكن المؤمن أوسع الناس أملاً.

لماذا أيها الإخوة؟ ما هو السر في أن المؤمن عنده أمل والكافر والضال يائس وقانط؟ السبب: أن المؤمن يؤمن بأن هناك إلهاً رحيماً قديراً يجيب المضطر إذا

---

(٤٢٧) سورة يوسف ، الآية ٨٧ .

(٤٢٨) سورة الحجر ، الآية ٥٦ .

(٤٢٩) سورة هود ، الآية ٩ .

(٤٣٠) سورة الإسراء ، الآية ٨٣ .

(٤٣١) سورة فصلت ، الآية ٤٩ .

(٤٣٢) سورة هود ، الآية ١١ .

دعاه، ويكشف السوء، ويمنح الجزيل، ويغفر الذنوب، ويقبل التوبة، ويعفو عن السيئات، أرحم من الوالدة بولدها، وأبر بخلقه من أنفسهم، يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل، يفرح بتوبة عبده أشد من فرحة من أضل شيئاً إذا وجد ضالته، والغائب إذا وفد، والظمآن إذا ورد.

إله يجزي الحسنة بعشرة أمثالها إلى سبعمائة ضعف ويزيد، ويجزي السيئة بمثلها أو يعفو، إله يدعو المعرض عنه من قريب، ويتلقى المقبل عليه من بعيد، ويقول: (أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني؛ إن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم، وإن تقرب إلي شبراً تقربت إليه ذراعاً، وإن تقرب إلي ذراعاً تقربت إليه باعاً، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة)[٤٣٣].

إله يداول الأيام بين الناس؛ فيبدل من بعد الخوف أمناً ومن بعد الضعف قوة، ويجعل من كل ضيق فرجاً، ومن كل هم مخرجاً ومع كل عسر يسراً، فلذلك يأمل المؤمن فيه، هذا مبعث الأمل وهذا هو السر: الاعتصام بالإله البر الرؤوف الرحيم العزيز الكريم الفعال لما يريد، يعيش المؤمن على أمل لا حد له، ورجاء لا تنفصم عراه، إنه دائماً متفائل، ينظر إلى الحياة بوجه غير الذي ينظر إليها الكافر، لا ينظر إلى الحياة بوجه عبوس قمطرير، فهو إذا حارب فهو واثق بالله أنه سينصره؛ لأنه مع الله والله معه، قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ * وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾[٤٣٤].

إذا مرض لم ينقطع أمل المؤمن أبداً من العافية؛ لأنه يعلم أن الشافي هو الله، قال تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ * وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ * وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾[٤٣٥].

([٤٣٣])رواه البخاري، رقم: (٧٤٠٥)، ومسلم، رقم: (٢٦٧٥).

([٤٣٤]) سورة الصافات، الآيات ١٧٢ – ١٧٣.

([٤٣٥]) سورة الشعراء، الآية ٧٨ – ٨٠.

إذا اقترف ذنباً أو جرماً المؤمن لم ييئس من المغفرة، ومهما كان الذنب عظيماً فإن عفو الله أعظم ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾[٤٣٦] .

والمؤمن إذا أعسر وضاقت ذات يده أمل في الله ولم يزل إيمانه فيه عظيماً لقوله تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً * إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً﴾[٤٣٧] ولن يغلب عسرٌ يسرين ولو دخل العسر جحراً لدخل اليسر حتى يخرجه.

والمؤمن إذا انتابته كارثة من كوارث الزمن ووقعت به المصيبة؛ فإن أمله في الله مازال موجوداً، كيف يكون موجوداً والولد قد مات؟ كيف يكون موجوداً والبيت قد احترق، والمال قد ذهب؟ إنه موجود في رجاء الأجر على احتساب المصيبة بالصبر ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾[٤٣٨] .

ابتهال سؤال التفاؤل:

*اللهُم صباح لا يمسّنا فيه سوء.

*اللهُم جدّد فينا رُوح التفاؤل والأمل.

*اللّهُمَّ لا تجعلنا ضُعفاء أمام ظروف الحياة.

*اللّهُمَّ متّعنا براحة البال ، وصلاح الحال ، واكفنا شر الإنس والجان.

*اللّهُمَّ اتبع عسرنا بيُسر ، وابدل كسرنا بجبر ، واجعل لنا في كُل أمرٍ خيراً.

*اللّهُمَّ إنا نسألك أن تُعطي كل واحدٍ منّا سؤلهُ ، وأن تُحقّق مُراده ، وأن تُبلّغنا غايتنا ، وتيسّر أمورنا.... وابعد عنا حسد الحاسدين ، وغدر الخائنين.

*اللّهُمَّ اغفر لنا ، ولوالدينا ، ولمن له حق علينا .

---

(٤٣٦) سورة الزمر ، الآية ٥٣ .

(٤٣٧) سورة الشرح ، الآيات ٥ – ٦ .

(٤٣٨) سورة البقرة ، الآيات ١٥٦ .

*اللّهُمَّ صل وسلم وبارك على سيدنا وحبيبنا وقرة اعيننا وشفيعنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيراً.

الإسلام يحث على التفاؤل:

لماذا شجَّع الإسلام على التَّفاؤل ومنع من التَّشاؤم؟ لأن التَّفاؤل يشحذ الهمم للعمل، ويغذِّي القلب بالطَّمأنينة والأمل، ولا شكَّ أنَّ هذا من أكبر عوامل النَّجاح، فالآن إذا تفكَّر في حال إنسانٍ عاملٍ ذهب ليعمل شيئاً أو ينجز مهمَّةً، ونفسه منشرحةٌ وهو راج للخير، وعنده أملٌ بإنجازها فكيف حال همَّته وانطلاقه؟ قويةٌ أليس كذلك؟ فهذه القوَّة النَّاتجة من التَّفاؤل ستكون أحدُ أكبر أسباب النَّجاح وإنجاز المهمَّة، وإذا ذهب بشعورٍ متشائمٍ وهو لا يرجو أن يُفلح ولا أن ينجح ولا أن ينجز الأمر؛ فكيف تكون همَّته؟ فاترةٌ ضعيفةٌ وهذا الفتور والضَّعف في الهمَّة سيكون من أكبر أسباب الفشل، إذاً: التَّفاؤل خُلُقٌ مهمٌّ أن يكون في النَّفس لأجل إنجاز العمل المطلوب، فهذا من أسرار الشَّريعة التي يتبين للإنسان إذا تأمَّل فيها عظمة هذه الشَّريعة، وكيف أنَّ هذه الشَّريعة تؤدِّي بمن يتَّبعها إلى النَّجاح وتوفِّر أسبابها، فالشَّريعة توفِّر للمسلم أسباب النَّجاح، تأمَّل مثلاً في طالبٍ وهو داخلٌ إلى امتحانٍ شفويٍّ أو مناقشة رسالة وهو متفائلٌ وحسن الظَّن بالله، فحتى لو ما سمع شيئاً فهو متفائل، فكيف سيدخل قاعة الامتحان؟ أو يدخل إلى اللجنة التي ستناقشه؟ يدخل وفيه همَّةٌ ورجاء وأمل ويغلب على ظنِّه النَّجاح، وهذا سينعكس على طريقة نقاشه وإجابته وإقناعه بأعضاء اللجنة في الاختبار، وعلى تثمينهم لإجابته وتأويلهم لوضعه وحالته، لكن إذا الإنسان دخل إلى قاعة الامتحان وهو يقول أكيد أنَّهم سيسألونني أسئلةً لا أعرفها، فأنا متأكدٌ أنني سأفشل، فهذا واضح من وجوه أعضاء اللجنة الكالحة، فمستقبلي أسودٌ في هذا النِّقاش، فإذا كان هو ذاهبٌ بنفسيةٍ متشائمةٍ إلى قاعة الاختبار، فهذا لو

كان يعرف الجواب الصَّحيح فسينساه بسبب تأثير نفسيته، فليست قضية الاختبارات والامتحانات هي قضية معلومات فقط؛ لأنَّ الطَّالب في قاعة الاختبار يمكن يضيِّع معلوماتٍ هي عنده بأسباب أخرى، فالمسألة إذاً فيها عاملٌ كبيرٌ من عوامل النَّجاح، وهو التَّفاؤل والأمل، ولو أنَّك نظرت في غالب التُّجَّار والنَّاس النَّاجحين؛ غالبهم عنده أملٌ وتفاؤلٌ، يعني: من أسباب نجاح كبار رجال الأعمال وكبار النَّاس النَّاجحين في أعمالهم تجد أنَّ عندهم جانب الأمل في نفوسهم قويٌّ، وحتى الدُّعاة النَّاجحين الذين تنفتح لهم القلوب يكتب الله لهم التَّأثير على النَّاس، يسلمون مقاليدهم إليهم ويتبعونهم ويتأثرون بهم، ويسمعون منهم ويلتزمون بما يقولون، ويجتمع إليهم العدد من النَّاس دائماً ما شاء الله، فهؤلاء لا بُدَّ أن يكون عندهم جانبُ التَّفاؤل والأمل قويٌّ، فهذا من أسباب وصوله للنَّتيجة هذه، ولو كانوا شخصيات متشائمة سيقول: سأذهب إليه الآن وأجده نائماً وأطرق عليه ويفيق من نومه مكفهرُّ الوجه ويصك الباب في وجهي، يا أخي تفاءل أنَّه سيكون الآن ضائقٌ صدره ينتظر فقط من يأتي إليه ويطرق الباب ويتحدَّث إليه، تفاءل أنَّ الرَّجل الآن ينتظر من ينتشله ويأخذ بيده، فحتى في مجال الدَّعوة إلى الله فعملية التَّفاؤل والتَّشاؤم هذه من أكبر أسباب النَّجاح أو الفشل، وكثيراً ما يكون التَّشاؤم مبعثه عدم الثِّقة بالله ، يعني: من عدم حسن الظَّنِّ بالله يقول: هذا سيردُّني كما ردَّني الآخر، هذا يسكن في نفس البيت الذي يسكن فيه الذي ردَّني من أول مرَّة، وما علاقة هذا بهذا نفس البيت؟ ورُبَّما تشاءم بالأرقام الفردية، وإلَّا بعض الأشياء التي تحصل عند بعض المشركين والجهلة.

حكم التفاؤل؟:

أمَّا بالنِّسبة لحكم التَّفاؤل: فإنَّ التَّفاؤل مباحٌ بل مستحبٌّ، ولا خلافٌ بين الفقهاء في جواز التَّفاؤل بالكلمة الحسنة من غير قصدٍ، كأن يسمع المريض يا سالم فيتفاءل بهذه الكلمة، أو يسمع طالبُ الضَّالة يا واجد فتستريح نفسه لذلك، وكان ﷺ إذا دخل قريةً سأل عن اسمها فإن أعجبه اسمها فرح ورئي ذلك في وجهه، وقد تقدَّم مثل ذلك في مسألة أسماء الأشخاص، والسَّبب وراء استحباب التَّفاؤل: أنَّ النَّفس تنشرح لذلك، وتستبشر بقضاء الحاجة، ويحصل حسنُ الظَّنِّ بالله وهو القائل في الحديث القدسي:(أنا عند ظنِّ عبدي بي) [٤٣٩]

يعني: كما يظنُّ بي عبدي فأنا كذلك، وممكن الإنسان يصل إلى التَّفاؤل بتقصُّد سماع الكلمة الحسنة، فيحدث عنده في نفسه شعورٌ بالانطلاق أو الاندفاع نحو الشَّيء والتَّفاؤل بحصول المقصود، كما أنَّه يمكن لتحصيل التَّفاؤل: تسمية الأشياء تسميةً حسنةً مثل: تسمية الأولاد تسمية حسنة على أنَّ هناك أنواعٌ من التَّفاؤل موجودةٌ عند بعض العامَّة هي من البدع وليست من التَّفاؤل في شيءٍ، مثل: التَّفاؤل بفتح المصحف فيفتح المصحف فإذا وقعت عينه أول ما يفتح المصحف على كلمةٍ تعني أو فيها اذهبا أو اذهب ونحو ذلك؛ مضى، وإذا فتح المصحف ووقعت عينه على ذكر جهنَّم وما فيها من العذاب؛ تشاءم ورجع وانقبض، وإذا فيها ذكر الجنَّة فهذا نوعٌ من التَّفاؤل، فهذا أخذ الفأل من المصحف بدعةٌ من البدع، وكذلك التَّفاؤل بالضَّرب بالرَّمل هو يشبه ما عليه أهل الجاهلية من ذهاب الطَّير يميناً.

([٤٣٩]) تقدم تخريجه صفحة ١٣٧ .

يقول ابن القيم رحمه الله: "ليس في الإعجاب بالفأل ومحبَّته شيءٌ من الشِّرك" لأنَّ المسألة قد يحدث فيها اختلاطٌ عند بعض النَّاس رُبَّما قد يقول: وما الفرق بين التَّطيُّر والتَّفاؤل وهو نفس الشَّيء؟

فالكلمة الحسنة نأخذ منها التَّفاؤل، والكلمة السَّيئة يُؤخذ منها التَّشاؤم فإذا كان هذا من الشِّرك فماذا يكون الآخر؟ يقول ابن القيم رحمه الله: "ليس في الإعجاب بالفأل ومحبَّته شيءٌ من الشِّرك، بل ذلك إبانةٌ عن مقتضى الطَّبيعة وموجب الفطرة الإنسانية التي تميل إلى ما يوافقها ويلائمها، كما أخبرهم ﷺ أنَّه حُبِّب إليَّ من الدُّنيا النِّساء والطِّيب، وكان يحبُّ الحلوى والعسل، ويحبُّ حسن الصَّوت بالقرآن والأذان، ويستمع إليه ويحبُّ معالي الأخلاق ومكارم الشِّيم، وبالجملة يحبُّ كُلَّ كمالٍ وخيرٍ وما يفضي إليهما، والله قد جعل في غرائز النَّاس الإعجاب بسماع الاسم الحسن ومحبَّته وميل نفوسهم إليهم" فأنت الآن إذا قرأت أسماء طُلابٍ في ورقةٍ في الفصل فجاءك مثلاً أنَّ واحداً اسمه حسن وآخر اسمه اسم سيئٌ، فإنَّك لا شعورياً أو تلقائيًا تجد أن شعورك بالانفتاح والارتياح لصاحب الاسم الحسن قبل أن ترى وجهه ولا تعرفه عنه شيئاً، وكذلك هذا الذي اسمه سيئٌ تنقبض نفسك منه، قال: "وكذلك جعل فيها الارتياح والاستبشار والسُّرور باسم الفلاح والسَّلام والنَّجاح والتَّهنئة والبشرى والفوز والظَّفر ونحو ذلك، فإذا قرعت هذه الأسماءُ الأسماعَ استبشرت بها النَّفس، وانشرح لها الصَّدر، وقوي بها القلب" إذا سمع مثلاً: فالح، فلاح، سالم سليم، ناجح، نجيح، فائز، مظفر، ظافر، فهذه أسماءٌ جميلةٌ وجيِّدة فهي تفتح النَّفس كما يقولون، ثُمَّ قال رحمه الله: "وإذا سمعت أضدادها أوجب لها ضدُّ هذه الحال فأحزنها ذلك وأثار لها خوفاً وطيرةً وانكماشاً وانقباضاً قصدت له وعزمت عليه، فأورث لها ضرراً في الدُّنيا ونقصاً في الإيمان ومقارفة للشِّرك" ولذلك نُهينا عن الأسماء

السَّيئة وأُمرنا بتغيير الأسماء السَّيئة وغيَّر النَّبي ﷺ الأسماء السَّيئة كُلُّ ذلك حتى لا تُوقِع في الطِّيرة ولا في الشِّرك ولا تردُّ الإنسان عن حاجته، ولا تجعله يقف دون المضي إلى ما يريد، وقال ابن القيم رحمه الله أيضاً: "أخبر ﷺ أنَّ الفأل من الطِّيرة وهو خيرُها، فأبطل الطِّيرة وأخبر أنَّ الفأل منها ولكنَّه خيرٌ منها ففصل بين الفأل والطِّيرة لما بينهما من الامتياز والتَّضاد ونفع أحدهما ومضرة الآخر، ونظير ذلك منعه من الرُّقى بالشِّرك وإذنه في الرُّقية إذا لم يكن فيها شركٌ لما فيها من المنفعة الخالية عن المفسدة"[٤٤٠]

كيف يتغلَّب المسلم على التشاؤم؟

والإنسان إذا أحسَّ بشيءٍ من التَّشاؤم فعليه ألَّا يلتفت إليه ويمضي لما يريد، ولا يستجيب لداعي الشَّيطان بالتَّوقُّف أو التَّراجع لسماع اسمٍ سيِّئٍ أو رؤية منظرٍ سيءٍ، فبعض النَّاس إذا ذهب يفتح الدُّكان فرأى أعوراً في الطَّريق تشاءم ورجع، فما علاقة الأعور برزق هذا اليوم؟

ولكن بعض النَّاس فيهم طبيعةٌ تشاؤميَّةٌ، وعلاقة القضية بالأخلاق أنَّ التَّفاؤل والتَّشاؤم كلاهما خلق، فهناك ناسٌ عندهم خُلقُ التَّفاؤل طاغٍ وناسٌ عندهم خُلقُ التَّشاؤم طاغٍ، حتى قالوا لو أريت كوباً نصفه ملآن فقلت له ما الذي ترى؟ فقال: هذا كوبٌ نصفه ملآن، وآخر يقول: عن نفس هذا الكوب: هذا كوبٌ نصفُه فارغٌ، فالذي يصفه بأنَّ نصفه ملآن هذا عنده طبيعةٌ تفاؤلية، والذي يصفه بأنَّ نصفه فارغٌ أول ما فكَّر في الفراغ وما فكَّر بالنُّصف المليء سبقت نفسه إليه، فهذا إنسانٌ قد يكون عنده مؤشر طبيعة تشاؤمية، فلو قال إنسانٌ مثلاً: تفاءلت بالاسم الحسن ولا صار فما هو التَّعقيب على هذا؟ في هذه الحالة يقول ابن الأثير صاحب جامع الأصول رحمه الله تعالى: "وإنَّما أحبَّ النَّبيُّ ﷺ

---

(٤٤٠) مفتاح دار السعادة، ٢/٢٤٤-٢٤٥ .

الفأل؛ لأنَّ النَّاس إذا أمَّلوا فائدةً من الله ورجوا عائدته عند كُلِّ سببٍ ضعيفٍ أو قويٍّ" [٤٤١] فالآن وأنت ذاهبٌ إلى معركة وسمعت أحدهم يقول: يا نجيح –مثلاً- أو يا راشد، فالعلاقة بين الاسم وبين الفوز في المعركة علاقةٌ قويةٌ أو ضعيفة؟ ضعيفة، يعني: ليست سلاحاً ولا مدداً، نعم ففي مبدأ الأمر علاقةٌ ضعيفة فيقول رحمه الله تعالى: "لأنَّ النَّاس إذا أمَّلوا فائدةً من الله ورجوا عائدته عند كُلِّ سببٍ ضعيفٍ أو قويٍّ فهم على خير" يعني: ارج من الله الفائدة مهما كان السَّبب ضعيفاً، ولو كان نطق اسماً سمعته وأنت ماشي فارج الخير فيه، قال: "لأنَّ النَّاس إذا أمَّلوا فائدةً من الله ورجوا عائدته عند كُلِّ سببٍ ضعيفٍ أو قويٍّ فهم على خيرٍ، وإن لم يدركوا ما أمَّلوا" كلمةً مهمَّةً "فقد أصابوا في الرَّجاء من الله وطلب ما عنده، وفي الرَّجاء لهم خير معجل، ألا ترى أنَّهم إذا قطعوا أملهم ورجاءهم من الله كان ذلك من الشَّرِّ" فإذاً: ارج الخير بهذه الكلمة التي تسمعها تفاءل إن نجحت واحمد لله، وإن ما نجحت فيكفيك أنَّك رجوت الخير من الله وأعربت عن حسن ظنِّك بالله، فإذاً: التَّفاؤل حسنٌ ولو كانت العاقبة ليست كما يُرجى فيكفيك أنَّك طبَّقت السُّنَّة وتفاءلت، وأنَّك رجوت الخير من الله، قال: "فأمَّا الطِّيرة فإنَّ فيها سوءُ الظَّنِّ وقطع الرَّجاء وتُوقِع البلاء"[٤٤٢] وقنوط النَّفس من الخير وذلك مذمومٌ بين العقلاء منهيٌّ عنه من جهة الشَّرع، يعني: هناك شيءٌ يا إخوان أهمُّ من النَّتيجة وهو المبدأ والعقيدة، فإذا كان الإنسان تفاءل بالخير فأنَّه يحسن الظَّنَّ بربِّه ولو لم تحصل كما يتمنَّى، وإذا كان تشاءم معناه أنَّه يسيئ الظَّنَّ بربِّه، وقضية حسن الظَّنِّ وسوء الظَّنِّ من قضايا التَّوحيد المهمَّة، فلو ما جاءت النَّتيجة كما

---

(٤٤١) جامع الأصول، (٧/ ٦٣٨) .

(٤٤٢) تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم١/ ١٤٠) .

ترجو فيكفيك أن عقيدتك سليمة وأنَّك حسَن الظَّنِّ بربِّك، وهذا المكسب أهمُّ من النَّتيجة.

عواقب التَّفاؤل وعواقب التشاؤم:

فالإسلام ينفِّر من التَّشاؤم ويريد أن ينصرف المسلمون عنه؛ لأنَّه عنصرٌ نفسيٌّ سيئٌ، يبطِّئ الهمم عن العمل، ويشتِّت القلب بالقلق، ويميت فيه روح الأمل، فيدبُّ اليأسُ، وتضعف الإرادة، إنَّ التَّفاؤل من أسباب إشراق الوجه، ولا تجد أحداً دائمَ البشر والابتسامة وهو متشائمٌ، فدائمُ البشر والابتسامة هو الإنسان الذي يكون عنده تفاؤل، وتجد الشَّخص المتشائم مكفهرَّ الوجه عابساً، ولا تلقى عنده ابتسامةً ولا بِشراً في المحيَّا ولا نضارةً، بسبب تشاؤمه، فتأمل في موقفين لمتفائل وآخر متشائم، خرجا في سفرٍ وغابا عن أولادهما، فتجد المتفائل يقول: أرجو من الله أن أولادي بخير، وأن الله لن يضيعني وأنني قد قلت في الدُّعاء أنَّني استودعتهم ربِّي، وأنَّ الله لا يضيع من استودعه فإذا استودع شيئاً حفظه ، وتجد الآخر المتشائم يقول: يا تُرى من الذي انكسرت يده؟ يا ترى ما حالهم؟

أكيد أحدهم الآن مريضٌ، ويا ترى هل أحدهم يعاني في مشكلة، وهكذا دائماً مع أنَّ كلاهما لا يدري عن أهله ولا عن أولاده، لكن أحدهما متشائمٌ فهو يعيش عيشةً ضنكا، كلَّما غاب عن شيءٍ دخل الشَّيطان ولعب به، وحسب الإنسان التفاؤل أن يعيش سعيداً بالأمل، والأمل لا شك هو جزءٌ من السَّعادة، أمَّا التَّشاؤم فيكفيه ذمَّاً وقبحاً أنَّه يشقي صاحبه ويقلقه ويعذبِّه قبل أن يأتي المكروه، فيعجل لصاحبه الألم، والتَّفاؤل لا شكَّ أنَّ فيه رجاءً من الله ، والفأل والطِّيرة قد صارت عند النَّاس في أشياء كما سبق أن قلنا لا علاقة لها بالشِّيء، لكن بعضها مأخوذةٌ من الجاهلية ومن بعض المعتقدات أو الخرافات الموجودة عند النَّاس، فتجد أنَّ بعضهم يتشاءمون كما حال أهل الجاهلية بالأيام والأشهر،

مثل: شهر صفر وشوال فيتشاءمون به، ولذلك كانت عائشة رضي الله عنها تدخل نسائها في شوال[٤٤٣] مضادَّةً لأهل الجاهلية، ويستحبُّ النِّكاح في شوال مضادَّةً لأهل الجاهلية.

فائدة التفاؤل من الناحية الصحية والنفسية:

التفاؤل صحياً مفيد، ينعكس إيجابياً على الإنسان والأطباء يقولون هذا، وأن التفاؤل مفيد للقلب، وأن الرجال أكثر تفاؤلاً عندهم معدل الإصابة بأمراض القلب منخفض.

بالنسبة لغير المتفائلين أمراض الأوعية الدموية بنسبة خمسين في المائة تقريباًعلى مدى خمسة عشر سنة من البحث في أحد الأبحاث، أنجز الفريق التابع لجامعة ييل في ولاية كونيكتيكات أن الأشخاص الذين يتملكهم الخوف من الشيخوخة ونحو ذلك تظهر عليهم أعراض التقدم في السن بسرعة أكبر.

فالمتفائلون لا يكون عندهم هذه الأعراض مثل غيرهم، المتفائلون كذلك حتى مناعتهم للأمراض، مقاومة الأمراض النفسية وهذا مهم جداً، ترى بعض الناس عندهم إحباط، بعض الناس عندهم اكتئاب مزمن، حتى يتأثر الجهاز المناعي ومقاومة العدوى بأشياء، حتى أسباب الموت الخطيرة، الذبحة الصدرية، السكتة القلبية، الدماغية.

وهناك تقرير للبي بي سي أن التفاؤل والإيجابية يمكن أن يعوّض عن الطبيب والدواء في كثير من الحالات، ويحسّن الصحة العقلية كذلك.

وهذا نحن ما نحتاجه، الأبحاث هذه في إيماننا أو في اعتمادنا في موضوع التفاؤل؛ لأنه ورد في الشرع، ما نحتاج هذا، لكن فقط ليزداد الإنسان بذلك إيماناً.

---

(٤٤٣) أخرجه ابن ماجه، رقم: (١٩٩٠)، واللفظ له، وأخرجه مسلم، رقم: (١٤٢٣) باختلاف يسير

والنفس لا بد أن تُعالج، لو واحد لك قائل: أنا ما أعرف أتفاءل، يا أخي أنا دائماً متشائم، يا أخي أنا ما عرفت في يوم أصير سعيداً.

نقول: يمكن يا أخي عندك علة داخلية.

يقول الشاعر إيليا أبو ماضي:

أيها الشاكـــي وما بك داءٌ كيف تغدو إلى غدوت عليلاً
وترى الشوك في الورود وتعمى أن ترى فوقها الندى إكليلاً
والذي نفسه بغير جمـــال لا يرى في الوجود شيئاً جميلاً

فإذا، أنت ما عندك إيمان يشع تفاؤلاً، ما عندك توحيد يشع حسن ظن بالله، ما عندك هذا القدر، فكيف ستجد التفاؤل؟

ليس هناك إيمان ولا توحيد، فكيف ستكون متفائلاً؟

فالمتشائم عنده نقص في الإيمان، فلو امتلك الإيمان في قلبه، وامتلك اليقين بعظمة الله، وقدرته، لكان حسن الظن بالله دليله، والتفاؤل شعاره.

فأهل التفاؤل أنجح في الحياة في الامتحانات، إرادتهم أقوى، لا يعيشون الأمراض النفسية والوهمية كغيرهم؛ لأن عندهم حسن الظن بالله، وهذا هو التفاؤل.

كيف يصنع المسلم لنفسه التَّفاؤل أو التشاؤم؟

هذا الموضوع يكثر الحديث عنه عند النَّاس بأنَّهم يفعلونه ويعتقدون به، ولكن المسلم يعرف أين الحقُّ في هذه الأشياء؟ وحدثت قصصٌ حتى في القديم، كما جاء في بعض كتب الأدب، وهنا إشارةٌ قبل أن نذكر بعض القصص أنَّ قدر الله تعالى قد يُوافق كلمةً حسنةً أو كلمةَ سوءٍ، قد يتفاءل الإنسان بالخير فيجده، فيكون وافق قدر الله تعالى هذه الكلمة، وقد يتشاءم ويجد ما تشاءم به فعلاً، فيكون قدر الله قد وافق هذه الكلمة، والبلاء موكلٌ بالنُّطق، فالإنسان أحياناً يتكلَّم بالكلمة على نفسه، فتكون كذلك فيوافق قدر الله هذه الكلمة، وكان بعض

العرب مشهورين جداً بالتَّشاؤم حتى يقرءون الوجه، يقول: أنت وجهُك يقرأ فيه كذا وكذا، وقد يخبرونه بتوقُّعٍ ويوافق قدر الله هذا التَّوقُّع، فلا نقول هم يعلمون الغيب؛ لكنَّه هكذا سوء ظنِّه بربِّه، وهكذا قسم الله له، وهكذا هذا حسن ظن بربِّه فأعطاه الله على ظنِّه بربِّه، فأحياناً يأتي القدر موافقاً لحسن الظنِّ وسوءه، فهذا حسن ظنٍّ بربِّه، وقد سبق الكلام وقلنا: بأنَّ بعضهم قد يتشاءمون على أنفسهم بأشياء فيجدونها في الواقع هكذا، فيكون هذا من عقوبة التَّشاؤم، فذكر ابن قتيبة رحمه الله تعالى في عيون الأخبار قال: "خرج كُثيِّر عزَّة إلى مصر يريد عزَّة، فلقيه أعرابيٌّ من نهد، فقال: يا أبا صخر أين تريد؟ قال أُريد عزَّة بمصر، قال فهل رأيت في وجهك شيئاً قال: لا، إلَّا أنِّي رأيتُ غراباً ساقطاً فوق بانةٍ ينتف ريشه، هذا أخبره عن المشهد وذاك تشاءم له به، فقال: رأيت غراباً ساقطاً فوق بانةٍ ينتف ريشه، قال: توافي مصر وقد ماتت عزَّة! فانت هره كثيِّر ثُمَّ مضى، فوافى مصر والنَّاس ينصرفون عن جنازة عزَّة، فقال:

فما أعيف النّهديُّ لا درّ درّه ... وأزجره للطير لا عـــزّ ناصره
رأيت غراباً ساقطاً فوق بانة ... ينتِّف أعلى ريشــه ويطــايره
فأمَّا غرابٌ فاغترابٌ ووحشةٌ ... وبانٌ فبين من حبيب تعاشره

وتشاءم له ذلك الرَّجل بهذا وكان كما قال.

قال: وهوي بعد عزَّة امرأةً من قومه يقال لها أُمُّ الحويرث، فخطبها فأبت وقالت: لا مالك ولكن اخرج فاطلب فإنِّي حابسةٌ نفسي عليك، فخرج يريد بعض بني مخزوم فبينما هو يسير عنَّ له ظبيٌّ فكره ذلك ومضى، فإذا هو بغراب يحثو التُّراب على وجهه، فكره وتتطيَّر منه، فانتهى إلى بطن من الأزد يقال لهم بني لهب، قال: أفيكم زاجرٌ؟

قالوا: نعم.

فأرشدوه إلى شيخٍ منهم فأتوه فقصَّ عليه القصَّة، هذا الزَّاجر هو الذي يعمل بالزَّجر، فقال: قد ماتت أو خلف عليها رجلٌ من بني عمها، فلمَّا انصرف وجدها قد تزوَّجت وأنشد شعراً يقول:

تيممت لهباً أطلب العلم عندهم ... وقد ردَّ علـــــم العائفين إلى لهب

فقال جرى الطَّير السّنيح ببينهم ... فدونك فاهمل جدّ منهمر سكب

فإلَّا تكن ماتت فقد حال دونهم ... سواك خليلٌ باطن من بني كعب[٤٤٤]

كما قلنا من أنَّه قد يكون ما يحدث لبعض النَّاس من المصيبة بسبب سوء ظنِّهم، ويوافق القدر كلمةً قالها إنسانٌ لآخر، أو قال الإنسان عن نفسه، وكما قال لنا بعضهم: بعض العرب ذهبوا إلى موقعةٍ فرأى أحدهم أعوراً في الطَّرق، فقال: إنٍ صدقت العيافة يقتل نصفنا وهذا أعور، قال: فقُتل نصفهم في تلك الموقعة، فإذاً: الإنسان قد يتشاءم على نفسه بأمرٍ ويوافق قدر الله هذا الشَّيء الذي تشاءم به، فالبلاء موكل بالنُّطق.

الفرق بين التفاؤل الشرعي وغير الشرعي؟

هنا تفاؤل شرعي وتفاؤل وهمي، التفاؤل الشرعي في أخذ بالأسباب.

لكن إذا الواحد ما يعمل أبداً، ويقول: أنا متفائل! وما يعمل ،وتأتي تقول: يا أخي أين عملك؟ أين مساهمتك؟ وأين دعوتك؟

أين تقديمك لمالك؟

أين تقديمك لوقتك لله، والدين والدعوة؟

يقول لك: يا أخي للبيت ربٌّ يحميه! اذهب. نعم للبيت رب يحميه، أنت لا تريد تكون من أنصار الملة، وما تريد أن تكون ممن يدافعون عن بيته؟

فهل ننتظر ملائكة من السماء تقاتل، والبشر قابعون في بيوتهم.

---

(٤٤٤) عيون الأخبار (١/ ٢٣٦) .

فإذا، متى يتفاءل الواحد؟ عندما يكون ليس بيده شيئاً، حتى عبد المطلب عندما قال: "للبيت رب يحميه)[٤٤٥]

ليس له طاقة في مقاومة جيش أبرهة، هذا واحد، فهو تفاءل "للبيت رب يحميه" على أنه ليس بيده يعمل شيئاً. أما الذي بيده أن يعمل ثم لا يعمل، هذا معيب، يعني أعرابي ما ربط الناقة، وقال: أنا متوكل على الله! لا، (اعقلها وتوكل)[٤٤٦] اعقلها وتفاءل، والفسيلة اغرسها واستعن بالله، فإذاً هذا ما ينبغي أن نكون عليه في قضية العمل مع التفاؤل.

كُن مبشرًا:

انشروا الاطمئنان بقلوب الناس، وتفاءلوا بالخير، ولا تنشروا الخوف والقلق بينكم، ومن يحدثكم عن زمن مخيف، حدثوه عن رب لطيف، هي أرضه ونحن عباده والأمر كله بيده.

التفاؤل عند رؤية الشيب:

حتى الشيب، قال: من شاب شيبة في الإسلام كانت له نوراً يوم القيامة[٤٤٧].

لا أن يقال: شيب ليس فيه فائدة، فهذا الشيب دليل على أنك وصلت إلى مرحلة النضج العقلي، ومرحلة النبوغ، بل وصلت إلى مرحلة الخبرة في الحياة فأنت خبير من خبراء المسلمين، ينتفع الناس بخبراتك، وأفكارك، وإرشاداتك، ونصائحك، بل أصبحت شخصاً يرجع إليه.

([٤٤٥]) أخبار مكة للأزرقي، (١/ ١٤٤)

([٤٤٦]) رواه الترمذي، رقم: (٢٥١٧)، والبيهقي في شعب الإيمان، رقم: (١١٥٩)، صحيح ابن حبان ، رقم: (٧٣١) وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١٠٦٨).

([٤٤٧]) رواه الترمذي، رقم: (١٦٣٤)، و أحمد، رقم: (٢٣٩٥٢)، والنسائي، رقم: (٣١٤٢) وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة: (١٢٤٤).

فإذا، المؤمن الصادق لا يعرف اليأس، قال تعالى: ﴿ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾[٤٤٨]، وقال تعالى:﴿وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾[٤٤٩].

والمطلوب هو احذروا الشيب في العزائم والشيم .

لا بأس إن اشتعل الرأس شيبًا طالما القلب حيًا والعزم فتيًا، فكم قابلنا من الدعاة الصادقين الذين وهنت أجسادهم، وما لانت عزائمهم، تقرأ في قسمات وجوههم ونظرات أعينهم وفلتات ألسنتهم ما بداخلهم من قوة وعزم ووفاء وحزم.

ورحم الله الشاعر التهامي حين قال:

ما شابَ عَزمي وَلا حَزمي وَلا خُلقي وَلا وَفائي وَلا ديني وَلا كَرَمي

وَإِنَّما اِعتاضَ رأسي غَيرَ صِبغَتِهِ وَالشَيبُ في الرأسِ دونَ الشيب في الشيمِ

ومثله:

كشَف ابن عقيل الحَنبلي العِمامةَ عَن رأسِه فإذا فيه شَيب فقال تلميذٌ له: شِبْتَ !وكان في الثمانينَ من عُمُرِه فأنشد قائلاً:

ما شابَ عزمي ولا حَزمي ولا خُلُقي ولا وَلائي ولا دِيني ولا كَرَمي

وإنّما اعتاضَ شَعري غيرَ صِبغتِه *والشّيبُ في الشّعرِ غير الشيب في الهِمَمِ[٤٥٠]

نعم.. إن القوة الحقيقية ليست في البدن، فكم من أقوياء الأبدان ولكنهم ضعاف النفوس ضعاف الإرادة، ولذلك قال أحدهم يومًا: «العجز ليس في الجسم، وإنّما في الإرادة».

والإرادة الصادقة للإنسان بمثابة القوة الداخلية الدافعة، والتي تدفعه دفعًا للأمام على طريق النجاح، وتتنامى مع الوقت حتى تمنعه من التوقف أو التراجع مهما

---

(٤٤٨) سورة يوسف ، الآية ٧٨ .

(٤٤٩) سورة الحجر ، الآية ٥٦ .

(٤٥٠) علو الهمة، للمقدم، (ص ٢٠٢).

سمعنا الآن من أخبار القصف والقذائف على أحياء المسلمين بفلسطين وغزة أمس اليهود دكوا وقتلوا وأفزعوا أهالي الأحياء السكنية في الثلث الأخير من الليل، وقت الدعاء، وقت تنزل ربنا تبارك وتعالى إلى سماء الدنيا، أيقظوهم للدعاء عليهم في ثلث الليل الآخر، غير إذا كانوا أيقظوهم في بعض الأيام لصلاة الفجر بالقذائف، حسبنا الله ونعم الوكيل.

فنحن نعلم يقيناً أن الله سيأتي بالفرج، لأنَّ القضية عادلة، والمعركة لم تنته بعد، فالأمور لم تستقر للمجرمين، والأوضاع لم تستتب لهم، فالمعركة قائمة، والحرب لم تضع أوزارها.

نحن على يقين أن الفرج قادم وبقوة، نقول قادم، ونحن على ثقة تامة.

بعض الناس يقول قد، يمكن، ربما هناك احتمال. لا إنه يقين وعد الله لا يتخلف أبداً ، فالفرج قادم إن شاء الله، يقيناً بالله، إن الله ناصر المستضعفين.

واحد يقول لك لماذا تعتمد عليه؟

هؤلاء عندهم سلاح، ومال، وداعمون، وكل شيء ومعهم، وأنت؟

نقول: اصبر! أليس لله له سنن؟

أليس لله قوانين في الخلق؟

أليس هناك لله قوانين؟

أليس هناك سنن ربانية تعمل؟

فهذه السنن لها قواعد، لها مقدمات، ولها نتائج.

وحديث: "إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته"[٤٥١] يعني يمهل ولا يهمل.

كل هذه المذابح التي عملوها، كلها بعد ذلك ستستتب لهم الأمور ويخلدون بقواتهم؟ هكذا إلى قيام الساعة؟ فهو ممكن، وليس مستحيلاً حسب القوانين

---

(٤٥١) رواه البخاري (٤٦٨٦)

الإلهية لا يمكن أن يصل الظلم إلى هذا المدى وأبعد، وكل يوم يزداد، وكل يوم يقتلون، وكل يوم يدمرون، وكل يوم يجرحون، وكل يوم ينتهكون، وكل يوم يخطفون، وكل يوم يسجنون، وكل يوم يخرّبون وينهبون، هكذا تستمر الأمور للظالمين بدون نهاية؟ لا يمكن.

وحتى لو قال قائل قصدك إلى قيام الساعة؟

نقول: ولا إلى قيام الساعة! سنن الله تأبى هذا أصلاً.

وبقي هناك قبل قيام الساعة هناك خروج المهدي وعيسى، وانتصارات عظيمة للمسلمين، بقي قبل قيام الساعة هناك أشياء كثيرة للمسلمين ستأتي.

ألم يقل النبي صلى الله عليه وسلم: "إذا رأيتَ الخِلافةَ قد نَزَلَتِ الأرضَ المُقَدَّسَةَ"[٤٥٢]، يعني: الشام، ستنزل الخلافة في الشام أو لا؟ هذا تخرّص أو رجم بالغيب؟ هذا وحي يوحى.

ولذلك مؤكد أن الفرج سيأتي بلا ريب، فقط نحن قوم نستعجل.

والنبي ﷺ قال: (ولكنكم تستعجلون)[٤٥٣] .

إن مسنا الضر أو ضاقت بنا الحيل ... فلن يخيبَ لنا في ربنا أمل

وإن أناخت بنا البلوى فإن لنا ... ربًا يُحَوِّلُها عنّا فتنتقلُ

اللهُ في كلِ خَطبٍ حسبنا وكفى ... إليه نرفعُ شكوانا ونبتهلُ

من ذا نلوذ به في كل نائبة ... ومن عليه لكشف الضر نتكل

يا مالك الملك فادفع ما ألم بنا ... فما لنا بتولي دفعه قبلُ

وإن أصابكَ عُسْرٌ فانتظرْ فرجًا ... فالعسرُ باليسرِ مقرونٌ ومتصلٌ

كم أنقذَ اللهُ مضطراً برحمتهِ ... وكم أنالَ ذوي الآمالَ ما أملوا

---

(٤٥٢) رواه أبو داود، رقم: (٢٥٣٥)، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير، رقم: (٧٨٣٨).

(٤٥٣) رواه البخاري، رقم: (٦٩٤٣) .

التفاؤل يقي من أمراض القلب:

تفاءلوا بالخير تجدوه، فالتفاؤل مفتاح الصحة والحياة، حيث أفادت دراسة أميركية حديثة بأن الأشخاص المتفائلين الذين يتمتعون بنظرة إيجابية للمستقبل، أقل عرضة لأمراض القلب والأوعية الدموية.

وأفادت هذه الدراسة أميركية حديثة بأن الأشخاص المتفائلين الذين يتمتعون بنظرة إيجابية للمستقبل، ينخفض لديهم خطر الإصابة بأمراض القلب والأوعية الدموية والوفاة المبكرة منها.

وأجرى الدراسة باحثون بمستشفى " ما ونت سيناي " في مدينة نيويورك، ونشرت في دورية جاما نيويورك أوبن (JAMA Network Open) العلمية.

ولكشف العلاقة بين التفاؤل وصحة القلب، راجع الفريق نتائج ١٥ دراسة أجريت في هذا الشأن، في الولايات المتحدة وأوروبا وأستراليا.

وشارك في الدراسات ما يقرب من ٢٣٠ ألف شخص، وتراوحت أعمارهم بين ١٩ و٩٣ عاماً، وكان متوسط فترة المتابعة ١٤ عاماً.

وراجع الفريق الإصابات والوفيات بأمراض القلب التي حدثت بين المشاركين، كما راجعوا مستويات الاكتئاب، والمستوى التعليمي، والحالة الاجتماعية والاقتصادية، وممارسة الرياضة أو النشاط البدني.

ووجد الباحثون أن الأشخاص المتفائلين -أيا كانت العوامل التي جعلتهم أكثر تفاؤلا من غيرهم- كانوا أقل عرضة للإصابة والوفاة بأمراض القلب والأوعية الدموية، مقارنة بمن يتمتعون بنظرة تشاؤمية للحياة.

وقال الباحثون إن أهمية الدراسة تكمن في أن التفاؤل والتشاؤم عاملان يمكن قياسهما بسهولة ويمكن اعتبارهما قابلين للتعديل، وبالتالي يمكن أن

يتدخلا لخفض مخاطر القلب والأوعية الدموية والوفيات الناجمة عن جميع الأسباب.

وأضافوا أنهم سيعملون على إجراء مراجعة منهجية أخرى لكشف العلاقة بين التفاؤل وخفض خطر الإصابة بأمراض القلب والأوعية الدموية في المستقبل.

التفاؤل والأمل منظور الشعر:

تغنى الشعراء بالأمل والتفاؤل، فهما كالبلسم للقلب المجروح، يبثان عزيمة وإرادة للاستمرارية في الحياة، فالتفاؤل هو شعور رائع وجميل يعطي الإنسان أمل في الحياة كما أنه يعطيه الدافع القوي من أجل محاربة الهزيمة والخسائر والفشل ولقد أبدع الشعراء حقاً في اختيار أروع الكلمات في التعبير عن آمالهم، قال الطغرائي :

أعلِّلُ النفس بالآمالِ أرقُبُها ما أضيقَ العيشَ لولا فسحةُ الأمَلِ

لم أرتضِ العيشَ والأيامُ مقبلةٌ فكيف أرضَى وقد ولَّتْ على عَجَلِ

الأمل هو شعور عاطفي يتفاءل به الإنسان ويرجو فيه نتائج إيجابية لحوادث الحياة، فالأمل قوة عظيمة يعيش بها الإنسان، ومن خلاله يستمد رغبته في الحياة يقال: إن الإنسان يموت عند ما يشعر بأنه لا يوجد لديه سبب في الحياة، فالسبب هو الأمل .وقال مصطفى الماحي :

يجاهد المرء والآمال تدفعه وليس يظفر إلا بالذي قدرا

الأمل بالله هو الشيء الوحيد الذي يجعلنا متمسكين بالحياة مهما كانت الظروف صعبة، ومهما عانينا وتعبنا .قال إيليا أبو ماضي :

أيها الشاكي وما بك داء كن جميلا ترا الوجود جميلاً

الأمل يجلب السعادة والرضا والتفاؤل إلى قلوب أصحابه، وهو من الصفات التي يحثنا عليها ديننا الحنيف الذي يدعونا الى عدم التشاؤم والحزن ودائماً الشعور

بالأمل والرضا وحسن الظن بالله سبحانه وتعالى والتفاؤل خيراً بالمستقبل، قال أبو الفتح البستي :

دع المقادير تجري في أعنتهـــا ولا تبيتن إلا خـالي البـــال
ما بين غمضة عين وانتباهتها يغير الله من حال إلى حال

فالتشاؤم يقود الإنسان الي الإحباط واليأس، ومن ثم إلى الفشل والتوقف عن تحقيق أحلامه وطموحاته، أو التعرض للعديد من المصاعب والمشاكل في حياته، قال علي بن الجهم :

يا أيهـــا المطلـــقُ آمالـــه من دونِ آمالِكَ آجـــالُ
كم أَبْلَتِ الدنيا وكم جَدَّدَتْ منا وكم تُبـــلي وتغتـــالُ
ما أَحْسَنَ الصـــــبرَ ولا سيما بالحُرِّ إن ضاقتْ به الحالُ

ولكنَّ الإنسان المتفائل الذي يتحلى دائماً بالصبر والأمل يعيش واثقاً من الله سبحانه وتعالى ومن نفسه ، ومهما تعرض إلي صدمات أو مصاعب في حياته لا يفقد أمله أو ثقته بربه، أو بنفسه، ولا يتسلل اليأس والإحباط إلى داخله أبداً، قال مصطفى الغلاييني :

إن للآمـــال في أنفسِنا لذة تنعـــشُ منهـــا ما ذَبـل
لذة يحلو بها الصبر على غَمَرات العيشِ والخَطب الجلل

والمؤمن الحق لا يتسلل اليأس الى نفسه؛ لأن الدين في قلبه هو الذي يوجهه دائماً إلى الطريق الصحيح، وبدون الأمل، لن يكون للحياة معنى .

قال المتنبي :

لا تَلْقَ دَهْرَكَ إلاّ غَيرَ مُكترِث ما دامَ يَصْحَبُ فيهِ رُوحَكَ البَدنُ
فَمَا يُديمُ سُرُورٌ ما سُرِرْتَ بِهِ وَلا يَرُدّ عَلَيكَ الفَـائِتَ الحَـــزَنُ

فالتفاؤل فضيلة من فضائل الأخلاق، وأهم خطوات النجاح في الحياة، فهو يساعد على تحقيق الهدف، ويعطي الحماس والقوة للوصول إليه كما يمكن الإنسان الإصرار على الحياة ويجعله يبتعد عن الفشل والإحباط.

قال ابن الرومي :

أَملي فيه ليأسي قاهـــرُ فلذا قلبي عليه صابر
وهو المحسِن والمجمِل بي وأنا الراجي له والشاكر
طرفُه يُخبرني عن قلـــبه أنني يوما عليه قادر

الدنيا دار ابتلاء ومصاعب ومشاكل، فمن الطبيعي أن يواجه الإنسان الكثير من المشاكل في حياته، ولكن هذا ليس سبباً للشقاء، أو فقدان الأمل؛ لأن المشاكل لا تدوم للأبد، سريعاً ما تختفي ويتغلب عليها الشخص إن تفاءل واجتهد وسعى ووثق بالله ـ سبحانه وتعالى ـ ليصل إلى هدفه في الدنيا والآخرة بأذن الله.

قال مصطفى الماحي :

يُجَاهدُ المرءُ والآمالُ تدفعهُ وليس يظفرُ إلا بالذي قُدِرا

يختلف الناس في إقبالهم على الحياة، منهم من يُقبل عليها محزوناً مبتئساً لا يراها إلاَّ شؤماً وظلمة ، ومنهم من يُقبل عليها فرحاً مبتهجاً وخيراً ونوراً .

قال الشافعي :

همتي همَّة الملـــوكِ ونفســـي نَفْسُ حُرٍّ تَرَى الْمَذَلَّة كُفْرَا
أَنَا إنْ عِشْتُ لَسْتُ أعْدَمُ قُوتا وَإذا متّ لَسْتُ أعْدَمُ قَـــبْرَا
وإذا ما قنعتُ بالقـوتِ عمـــر فَلِمَـــاذَا أزورُ زَيْدا وَعَمْـــرَا

ومنذ وُجد الشعر العربي وُجد فيه فريقان، فريق يصور الحياة على أنَّها مِحَنٌ وخطوب وكوارث، وفريق يصورها على أنَّها لذائذ وهناء وصفاء. وكلُّ شاعرٍ يرى متعته في وجه من الوجوه، أو بشيءٍ يحبه ويرغبه.

وقال الشريف المرتضى:

أيقودني أملي فأتبعه والذل يصحب من له أمل

إن العربي في جاهليته كان يهوى الجمال، لذا راح يفتش فيما حوله عن ذلك الجمال والعشق لكي يملأ عليه نفسه وقلبه وعقله، فلم يجد أجمل من المرأة رمزاً للتعبير عما يشعر به هذا العاشق بعد اليأس العميق الذي رمز له بالطلل تنفتح أمامه بوارق الأمل، فاتخذ المرأة رمزاً له.

قال امرؤ القيس :

تضئُ الظَّلامَ بالعشاءِ كأنَّهـــا منارةُ مُمسى راهبٍ متبتِّـــلِ

وتضحي فَتيتُ المسكِ فوقَ فِراشها نئوم الضُّحا لم تنتطق عن تفضُّلِ

وأن العاشق الذي يقاسي ما يقاسيه في سبيل الحب حزناً وسقماً، ليس بيائس أنه يحتمل ألم البعد آملا في اللقاء .

قال عنترة :

ولئن سألتَ بِذاكَ عبلةَ خبِّرتْ أن لا أريدُ من النِّساءِ سِواها

وأجيبها إما دعّت لعظيمـــةٍ وأعينها واكــفُ عمَّا ساهـا

وأن الشاعر العاشق عمد إلى استخدام عناصر أخرى ترمز إلى الأمل جعل من العوامل الطبيعية المحيطة به عناصر تبعث الأمل، ومن بين تلك العناصر المطر والماء والرياح، فهو يستمطر السماء، إما على قبور أحبائه وإما على قبور الذكريات المتمثلة في الاطلال .

قال عنترة

ولقد مررتُ بدَّار عبلةَ بعدما لعبِ الربيعُ بربعِها المتُوسّمِ

جادت عليه كُلُّ بكرٍ حُــرّة فتركنَ كُلَّ قرارةٍ كالــدِّرهمِ

فالأمل في الحبّ، والأمل في الوطن، وآمالٌ أخرى .

وقال السري الرفاء :

أفق من سكرة الأمل المحال ومن ديباجة العرض المزال
ولا تجـزع لميـــل الدهـر أؤمل أن يعود إلى اعتدال

وقال آخر:

إنّي صنعتُ من التّفاؤلِ مَركباً وَشددتُ من عزمِ اليَقينِ شراعَه
أبْحرتُ فيه علَى الإلهِ توكُّـلي مَا خـابَ من للهِ مدّ ذراعَـه
التفـاؤل في أوزان الشعـر ولقد بلغت من التفاؤل أوجـه

اجعل صباحك مشرقاً بالتفاؤل:

صباح التفاؤل ــ باح السعادة ــ صباح الأمل ــ في غد مشرق مفعم بكل ما هو أنفع وأجمل ــ صباح اليقين بالله بأن القادم أفضل وأحسن.

دعوة للتفاؤل ونحن في عام جديد وهو: ١٤٤٦هجرية أن نتفاءل بالخير، ونستبشر بأن رب الخير لا يأتي إلا بالخير، والأيام المقبلة لا تحمل إلا كل خير، علينا أن ننطلق بروحٍ جديدة، روح التفاؤل والأمل.

تفاءلوا فإن كتاب الله يدعو للتفاؤل: اقرأوا إن شئتم، قوله تعالى: ﴿سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴾[٤٥٤].

وقوله تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾[٤٥٥]، وقوله تعالى: ﴿سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ ﴾[٤٥٦]، وقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴾[٤٥٧].

ولا تدرى لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً.

---

(٤٥٤) سورة الطلاق ، الآية ٧ .

(٤٥٥) سورة الشرح ، الآيات ٥-٦ .

(٤٥٦) سورة التوبة ، الآية ٥٩ .

(٤٥٧) سورة الطلاق ، الآية ٢ .

تفاءلوا فأنبياء الله كانوا متفائلين.. سيدنا إبراهيم يطلب الولد على كبر وقد شاخ وشاخت زوجته، وكذلك زكريا: قد بلغ من العمر عتيا، وامرأته عاقر، ومع ذلك يقول تعالى حاكياً عن لسان زكريا ـ عليه السلام ـ ﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا﴾ (٤٥٨)، ويعقوب يفقد ولديه واحدًا تلو آخر ومع ذلك يقول: ﴿عسى الله أن يأتيني بهم جميعًا﴾ (٤٥٩) ﴿يا بنى اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه ولا تيأسوا من روح الله ﴾(٤٦٠) .

تفاؤل أيوب ـ عليه السلام ـ بشفاء مرضه، مع طول زمانه، وشدة ما عاناه فيه، فلم يجزع، ولم يترك نفسه-عليه السلام- فريسةً للتشاؤم واليأس في شفاء الله.

اليأس ضعف وفشل وانكسار، اليأس عدم اليقين وحسن الظن بالله، اليأس لا مكان له وسط الناجحين الطامحين الآملين في غد جديد سعيد، باب الأمل لديهم لا يعرف كلمة مستحيل، ومن أعلى درجات التفاؤل هو التفاؤل في أوقات الأزمات ولحظات الانكسار وساعات الشدائد، فتتوقع الخير وأنت لا ترى إلا الشر، والسعادة وأنت لا ترى إلا الحزن، وتتوقع الشفاء عند المرض، والنجاح عند الفشل، والنصر عند الهزيمة، وتتوقع تفريج الكروب ورفع البلاء والوباء.

تأكدوا أن طبيعة الحياة لا تسير على وتيرة واحدة ﴿وتلك الأيام نداولها بين الناس﴾ (٤٦١) فلا تحزن ولا تيأس، ولنا في رسول الله أسوة حسنة.

---

(٤٥٨) سورة مريم ، الآية ٥ .

(٤٥٩) سورة يوسف ، الآية ٨٣ .

(٤٦٠) سورة يوسف ، الآية ٨٧ .

(٤٦١) سورة آل عمران ، الآية ١٤٠ .

وكان النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول: (بشروا ولا تنفروا، ويسروا ولا تعسروا)[٤٦٢].

وكان النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ يعجبه الفأل الحسن، ويكره الطيرة، والتشاؤم، والفأل الحسن: هو الكلمة الطيبة تمر بالإنسان، فيسمعها فتسره، فيشمل ذلك كل قول أو فعل يستبشر به.

فالتفاؤل دعوة جميع الأنبياء والرسل، لإعمار الأرض.

تفاءلوا تفتح لكم كل الأبواب المغلقة.. ثقوا بالله واجعلوا فى قلوبكم مكاناً للأمل، فالأمل يصنع العظماء، وبالأمل تستمر الحياة، ولا تجعلوا هماً واحداً ينسيكم ألفاً من النعم.

سيفتحُ اللهُ باباً كنتَ تحسبهُ من شدة اليأسِ لم يخلق بمفتاحِ

عوائق التفاؤل:

للتفاؤل عدة عوائق تعيق الإنسان عنه وتضعف بصره وبصيرته فمن ذلك:

- ضعف الوازع الديني:

يعد فقد الوازع الديني من أقوى معوّقات التفاؤل لعدم حسن الظن بالله والاتكال عليه سبحانه ، فيجب على المسلم أن يكون متفائل وأن يتوقع الأجمل والأفضل لأنه في معية الله وفي حفظه ورعايته، والله سبحانه يُحب المُتفائلين ويُعطيهم على تفاؤلهم، فثق بوعد ربك حيث قال جل جلاله :{وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً منه وَفَضْلًا والله وَاسِعٌ عَلِيمٌ}[٤٦٣].

---

(٤٦٢) رواه مسلم، رقم: (١٧٣٤)

(٤٦٣) سورة البقرة ، الآية ٢٦٨ .

- التشاؤم :

فالتشاؤم هو أحد أهم العوائق في طريق التفاؤل وهو الداء الذي ينتاب كثيراً من النفوس ، وهو الذي جعل الكثيرين ينظرون للمستقبل نظرة سوداوية فنجدهم باستمرار يعودون أدراجهم للوراء بحثاً عن بصيص أمل مفقود! .

قُل للذي مَلأَ التشاؤمُ قلبَهُ ومضى يُضيِّقُ حولنا الآفاقا
سرُّ السعادةِ حُسنُ ظنِكَ بالذي خلَقَ الحياةَ وقسّمَ الأرزَاقا

- اليأس:

لا ييأس من رحمة الله وعفوه وكرمه إلا من أخطأ سبيل الصواب، وغفل عن رجاء الله ـ عز وجل ـ الذي لا يخيب من رجاه .

قال تعالى : ﴿ إِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِن رَوْحِ اللَّهِ إلا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴾[٤٦٤]، أما المؤمن فمتفائل ومؤمن بوعد الله تعالى فدوماً قلبه معلَّق بالأمل بالله عز وجل ، فهو الخالق وحده لا شريك له، ومدبّر الأمر كله.

اليأس يقطع أحيانًا بصاحبهِ لا تيأسنّ فإنّ الكافي اللهُ

- كلمة (لو) :

نهى النبي ﷺ عن الإكثار من كلمة: (لو) لما تحملُ في طياتها من التشاؤم وعدم الوثوق بوعد الله تعالى لقول الرسول ﷺ : (اسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَلاَ تَعْجَزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ، فَلاَ تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا. وَلَكِنْ قُلْ: قَدَرُ اللَّهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ؛ فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ) [٤٦٥].

([٤٦٤]) سورة يوسف ، الآية ٨٧ .

([٤٦٥]) رواه مسلم، رقم: (٢٦٦٤) .

- القنوط من رحمة الله :

وهو من يقنط ويستحسر ويبعد الرجاء والأمل ،ويتوقّع إصابته بالفشل والخيبة، واستبعاده للفرج بعد الشدائد ؛ والفرح بعد الحزن ، واليسر بعد العسر.

قال تعالى : ﴿ لا يَسْأَمُ الإِنسَانُ مِن دُعَاء الْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ الشَّرُّ فَيَؤُوسٌ قَنُوطٌ ﴾[٤٦٦]

فينبغي على المسلم أن لا يقنط من رحمة الله سبحانه فرحمته واسعة وفضله عظيم.

لا تَقنَطَنّ إذا ما شِدّةٌ عَرَضَت أو غُمّةٌ في ثنايَا الصّـــدرِ تَعتَلِجُ

سَيُرسِلُ اللهُ ما تحيَا النُفوسُ بهِ والصُبحُ عمّا قَريبٍ سَوفَ يَنبلِجُ

ثمار التفاؤل المباركة:

الفأل والإيجابية من صفات سيد البشرية ﷺ والحياة السعيدة تحتاج منا إلى الكثير من التفاؤل وعدم اليأس وتغذية النفس بالعديد من عبارات التحفيز والايجابية.

ثمار التفاؤل: للتفاؤل ثمراته الكثيرة اليانعة والتي يجنيها المسلم المتفائل والواثق بوعد الله تعالى ومن ذلك:

- حسن الظن بالله تعالى:

فحسن الظن من العبادات القلبية التي طالما غفل عنها كثير من المسلمين، قال الله عز وجل في الحديث القدسي: "أنا عند ظن عبدي بي؛ فليظن بي ما شاء"[٤٦٧]

والمسلمُ مأمور بحسن الظن بالله تعالى على كل حال .

قال ابن عباس – رضي الله عنهما : "الفرق بين الفأل والطِّيَرة: أنَّ الفأل من طريق حُسْنِ الظنِّ بالله، والطِّيَرة لا تكون إلاَّ في السوء فلذلك كُرِهَت"[٤٦٨] .

([٤٦٦]) سورة فصلت ، الآية ٤٧ .

([٤٦٧]) تقدم تخريجه صفحة ١٥ .

([٤٦٨]) نقله ابن حجر، فتح الباري، (٢١٥/١٠).

-التوكل على الله سبحانه :

فالتوكل على الله عبادة المؤمنين، وسبيل الصادقين، وملجأ المخلصين، وباب المتقين، وهو من أسباب النجاح ،قال الله تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾[٤٦٩].

- الاقتداء بالرسول ﷺ :

فإنه يجب علينا الاقتداء بنبينا محمد عليه الصلاة والسلام فهو الأسْوة، الذي أمرنا الله تعالى أن نقتديَ به ، فقد كان يتفاءل في حروبه وغزواته، قال -تعالى- : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾[٤٧٠] .

- تجديد الأمل :

وهو أن يتوقع المؤمن ويأمل الخير دائماً وأبداً ويحسن الظن بالله تعالى ، فالتفاؤل يبعث في نفس المسلم الرجاء، ويقوّي عزائمه ويُجدِّد فيه الأمل قال تعالى: ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لاَ تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾[٤٧١] .

أُعلِّلُ النَّفسَ بالآمالِ أرقُبُها ما أضيقَ العيشَ لولا فَسحةُ الأملِ

- القدرة على مواجهة العقبات:

فالتفاؤل يمنح القدرةَ على مواجهة المواقف الصعبة، واتخاذ القرار المناسب، ويتيح للمسلم رؤية المواقف الصعبة على أنها مواقف مؤقتة يمكنه تجاوزها وقد شبهها

---

(٤٦٩) سورة التغابن ، الآية ١٧ .

(٤٧٠) سورة الأحزاب ، الآية ٢١ .

(٤٧١) سورة الزمر ، الآية ٥٣

شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله بقوله: " العوارض والمحن هي كالحر والبرد، فإذا علم العبد أنه لابد منهما لم يغضب لورودها، ولم يغتم لذلك ولم يحزن "[٤٧٢]

وقد صدق شيخ الإسلام في تشبيهه فهذه الصعاب والعقبات، سرعان ما تنجلي بالتوكل على الله تعالى والتفاؤل والدعاء :

وإنِّي لأدعو اللهَ حتى كأنّني أرى بجميلِ الظنِّ ما الله فاعلُهْ

- المرونة في العلاقات الاجتماعية:

فالتفاؤل يجعل الإنسان أكثرَ مرونةً في علاقاته الاجتماعية، وأكثرَ قدرةً على التعايش مع الناس ومخالطتهم فتجد الابتسامة لا تفارق محياهُ، والتغاضي منهجه، وتقدير الآخرين سلوكه ومنهجه .

قال الإمام ابن القيم -رحمه الله- وهو يذكر فوائد حديث خيبر وأن فيه: "جواز التفاؤل، بل استحبابه بما يراه أو يسمعه مما هو من أسباب ظهور الإسلام، كما تفاءل النبي ﷺ برؤية المساحي والفؤوس والمكاتل مع أهل خيبر، فإن ذلك فأل في خرابها"[٤٧٣] .

والتفاؤل شعبةٌ من شعب الإيمان، فالمؤمن يفرح بفضل ربه وبرحمته، ولو لم يفعل ذلك ويئس، فإنَّ إيمانه سينقص ولا ريب.

وقد أكدّت العديد من الدراسات التي أجريت أنّ الإنسان المتفائل يتمتّع بمناعةٍ مضاعفةٍ عن الإنسان المتشائم، وذلك لأنّ جسم الإنسان المتفائل يفرز بعض الأنواع من الهرمونات التي تساعد على زيادة كفاءة الجهاز المناعي لمساعدتهِ على التصدّي لمختلف الأمراض التي من الممكن أن يتعرض لها وتعصف بعقله وحياته.

([٤٧٢]) مدارج السالكين، (٣/ ٣٦١).

([٤٧٣]) زاد المعاد في هدي خير العباد، (٣/ ٣٠٨) .

فيجب أن نربي أنفسنا وأجيالنا على التفاؤل في أحلك الظروف، وأقسى الأحوال، وأصعب المواقف ، فالمتفائلون هم الذين يصنعون المجد ، ويكتبون التاريخ، ويسودون الأمم، ويقودون الأجيال.

أمَّا اليائسون والمتشائمون، فلن يستطيعوا أن يبنوا حياةً سوية، وسعادةً حقيقية في داخل ذواتهم، فضلاً عن أن يصنعونها لغيرهم، أو يُبَشِّرون بها سواهم؟ وقديماً قيل: "فاقد الشيء لا يعطيه" والمؤمن هو من يسير في هذه الحياة متفائل معطاء يجني من ثمار التفاؤل ويقدمها للآخرين ولا يلتفت لعوائق التفاؤل وعقباته على حد قول الشاعر:

وأسيرُ في الدُنيا وغُصنُ عزِيمتي ... صَلبٌ وبابُ تَفاؤُلِي لا يُغلَقُ

لَن تُطفئ الأوهام نُورَ تَفاؤُلِي ... فَأَنَا القويّ وَهِمّتي لا تُزهَقُ

أحيا ونورُ اللهِ يَسْكُن أضلُعي ... فعلامَ أمضي في الحياةِ وأقلَقُ

صناعة التفاؤل:

لا شك أن التفاؤل أمر هام لأي إنسان يريد صناعة السعادة في حياته، بل إن التفاؤل هو أول مقدمة وطريقة نحو السعادة الحقيقية، وبالحقيقة هناك العديد من الدراسات التي تؤكد على أهمية التفاؤل للإنسان باعتباره الأسلوب الأمثل للعيش السعيد والقضاء على الملل والأمراض النفسية.

قد نجد كثيراً من الناس يدعون إلى التفاؤل، ويظنون أنهم أناس متفائلون، وسعيدون، ولكن مشاعرهم غير ذلك، ومن هنا أود الإشارة إلى مجموعة من الأساليب، والتي من شأنها أن تساعدك عزيزي القارئ على الشعور بالتفاؤل وصناعته بشكل فعال وذكي ، وهي كالآتي:

أساليب صناعة التفاؤل هي:

أولاً: أن تكون طريقة تفكيرك إيجابية ،فكن دائماً مفكراً بطريقة إيجابية، وقاوم الأفكار السلبية بأفكار إيجابية وسليمة، صاحب التفكير التفاؤلي بعيد عن الاكتئاب والتوتر والعدوانية، هو قادر على تحويل المواقف أياً كانت إلى مواقف إيجابية، فمثلاً:

لو ضاع على شخص منه مفتاح البيت، يقول لنفسه: لعله خير، فقد أجده في مكان آخر، أو يجعله يتصل بأهله فيطمئن عليهم ويجده عندهم .

ثانياً: مارس القراءة التفاؤلية، وهي في اعتقادي من أهم الاساليب لصناعة التفاؤل، وذلك من خلال الابتعاد، وبالمطلق عن كل الأخبار المقروءة السلبية، والتي تدعوا الى التشاؤم وقراءة فقط الكتب أو الأفكار، أو حتى التعليقات الإيجابية، فهي تشعرك بالتفاؤل، وتجعل عقلك اللا واعي مركزاً عليها.

ثالثاً: كن مع أصدقاء يمارسون التفاؤل ، فالأصدقاء لهم أثر كبير على الشخص، فقد أثبتت كافة الدراسات التي تعنى بالموضوع أن للأصدقاء أثر كبير في طبيعة تفكير الشخص إيجابيا أو سلبياً، فالأصدقاء هم أصحاب التأثير الأكبر على الإنسان فليكن لديك أصدقاء متفائلين وإيجابيين وكما جاء في الحديث الشريف " المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يُخَالِل"[٤٧٤]، ومعناه: انتقُوا واختاروا من تتخذونَه خليلًا أي صَديقًا، من كان ينفعُكم لدينِكم فعليكُم بِمصادقتِه ومَن لا ينفعُكم في دينِكم بل يضرُّكم فابتعدوا عنهُ، أي لا تصادقوهُ .

([٤٧٤]) رواه أبو داود، رقم: (٤٨٣٣)، والترمذي، رقم: (٢٣٧٨)، وأحمد، رقم: (٨٣٩٨) واللفظ له ، وقال الألباني حسن غريب كما في مشكاة المصابيح (٥٠١٩) .

الإنسانُ يَهلك من طريقِ الأصدقاءِ الأشرارِ. والصديق الحقيق هو الذي يساعدك على صناعة جو التفاؤل في كل الأمور والمساند لك في الحياة رغم كثرة الصعاب فهو دوما متفائل معك ويشعرك بالتفاؤل المستمر.

رابعاً: تعلم من المواقف التي تواجهك في الحياة ،واقرأها بطريقة تفاؤلية، ومعنى كلامي هنا أن من الممكن الوقوع في المشاكل، أو حتى الصعاب وهذا من طبيعة الحياة ولكن لا بد أن نقرأ الموضوع بطريقة تفاؤلية وإيجابية حتى نستطيع التخلص منه بشكل أفضل ونتعلم بطريقة صحيحة وصحية وتفاؤلية .

خامساً: مارس الرياضة التفاؤلية، وهنا أقصد اجعل لنفسك وقتاً للرياضة، ولكن لتكن هذه الرياضة باسم الرياضة التفاؤلية، فتكن بمكان تحبه ووقت تحبه، ومع أشخاص متفائلين وتحبهم أيضاً، ولا بأس أيضاً أن تتبادلوا الحديث التفاؤلي والإيجابي، والذي يجعلكم أكثر سعادة وتفاؤل .

عزيزي القارئ:

أرجو أنني قدمت لك بعض النصائح التفاؤلية والتي تستطيع من خلالها صناعة التفاؤل على المستوى الشخصي والعيش بسعادة ، وجعل حياتك أكثر تفاؤلا عملا بالقول المأثور (تفاءلوا بالخير تجدوه) فبرمج عقلك ونفسك على التفاؤل تجده حقيقة واقعية في حياتك .

تقول الحكمة: لا تنظر إلى نصف الكوب الفارغ وانظر إلى نصف الكوب المتلئ، لكن صديقي المتشائم سيؤكد أن الكوب جف فيه الماء، لا عليك يا قنوط، فقطرات الندى كفيلة بملئه، فقط حرك قدميك تجاه الأغصان في البكور، وهذا هو الأمل الذي نعنيه يا رفيق، أمل يدفع للحركة لا للسكون.

صناعة الأمل مسؤولية فردية واجتماعية، تستوجب أن تكون أسلوب حياة، من دون التعلل بضغط الواقع وعجز الثقات وسدور الأمين وعزم المريب.

ليت حياتنا كعيون تقع على همسات ضاحكة على أسرة المرض، على أنغام التفاؤل تجري على فم بائع الألبان، على تلك التجاعيد التي بعثرتها بسمة عجوز احدودب ظهرها، وهي تبدأ صباحها بـبسم الله.

اليأس سيقتلنا مرات ومرات والواقع كما هو، فلنجرب أن نعيش على أمل يروي حياتنا، يهيئ الأنفس للعمل، فلنترك أنوفنا تشتم رائحة الغد الأفضل، على طريقة يعقوب، إذ وجد في القميص ريح يوسف، فلم ينقطع منه أمل اللقاء، قال تعالى، حاكياً حاله: ﴿عَسَى اللهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِم جَمِيعًا﴾[٤٧٥].

من قلب الخندق وفي ظل زلزلة القلوب وتربص الأعداء وسطوة البرد والجوع والخوف كان النبي صلى الله عليه وسلم يبشر بالفتح المبين.

والسلطان نور الدين بن زنكي كان يصنع منبره ليعتليه في الأقصى خطيباً، في وقت كان مسرى النبي مكبلاً بأغلال الصليبيين، إنها صناعة الأمل.

وكل الحادثات وإن تناهت .. .. فموصول بها الفرج القريب

التفاؤل يقاوم الاكتئاب:

بتضمين التفاؤل ضمن الجهود المبذولة لحماية الصحة العقلية، وأوضحت أن التفاؤل يقلل من الآثار السلبية لأحداث الحياة وتقلباتها.

والحقيقة أن التفاؤل من أقوى مضادات الاكتئاب والتوتر والقلق واليأس والقنوط، فهو مانع قوي للانتحار، ومن يتمسك بالتفاؤل فهو يمسك بالحياة، ولعل هذا ما جعل إحدى المهام الكبرى للأنبياء -عليهم السلام- هي التبشير، وغرس الأمل والتفاؤل، قال تعالى في وصفهم: ﴿ رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾[٤٧٦]

---

[٤٧٥] سورة يوسف، الآية ٨٣.

[٤٧٦] سورة الإسراء، الآية ١٥.

وقال تعالى في وصف النبي محمد-ﷺ-: ﴿وَمَآ أَرسَلنَٰكَ إِلّا مُبَشِّرا وَنَذِيراً﴾[٤٧٧] فالأنبياء يصنعون الأمل للضعفاء والمظلومين، ويبشرونهم بالخلاص والعدل.

والتفاؤل نابع من أعماق الإنسان، ومن ثم فهو ذو بُعد معرفي مرتبط بطريقة التفكير التي تدرك المشهد بصورة إجمالية، فتتوقع الخير والتيسير والانفراج، حتى في ساعة العسرة والضيق، ولا تقف أمام اللحظة القاسية، كأنها لحظة أبدية لن تزول، ولعل هذا ما أشار إليه القرآن في تعبير بليغ "أليس الصبح بقريب فتباشير الصبح لا تأتي إلا بعد شدة العتمة في الليل، ويبقى أن المتفائل هو من لا يعذب نفسه، أما المتشائم فهو من يعذب نفسه باستمرار.

أنصح الشخص الكئيب قبل التفاؤل:

بالالتزام بأداء الصلوات في وقتها وعدم تأخيرها. وتلاوة القرآن الكريم. يقول الله -عز وجل-: ﴿الَّذين آمنوا وَتطمَئنُ قُلُوبُهم بِذكرِ اللهِ﴾[٤٧٨] أي: يزول قلقها واضطرابها، وتحضيرها أفراحها ولذاتها. ﴿ أَلا بِذكرِ اللهِ تَطْمَئنُ القُلُوب﴾[٤٧٩] أي: حقيق بها وحري أن لا تطمئن لشيء سوى ذكره، فإنه لا شيء ألذ للقلوب ولا أشهى ولا أحلى من محبة خالقها، والأنس به ومعرفته، وعلى قدر معرفتها بالله ومحبتها له، يكون ذكرها له، هذا على القول بأن ذكر الله، ذكر العبد لربه، من تسبيح وتهليل وتكبير وغير ذلك.

التفاؤل عند المسلم هو من العقيدة الصحيحة والإيمان بالله

التفاؤل ليس خواطر عابرة إنها عقيده راسخة "سيؤتينا الله من فضله"

---

(٤٧٧) سورة الفرقان ، الآية ٥٦ .

(٤٧٨) سورة الرعد ، الآية ٢٨ .

(٤٧٩) سورة الرعد ، الآية ٢٨ .

حثت الشريعة الإسلاميّة على التفاؤل، ونبذ التشاؤم واليأس والقنوط، وبيّنت أنّ غياب التفاؤل نابعٌ من غياب الفقه في الدين، ومن القصور في فهم مقاصد التشريع، وفيما يلي بيانٌ لأهميّة التفاؤل إنّه عقيدةٌ لدى المسلم؛ فهو نابعٌ من حسن ظنّه بالله وتوكّله عليه، ويقينه بأنّ ربّ الخير لا يأتي إلا بالخير.

يعمل على تقوية الثقة بالله -عزّ وجلّ- والاعتماد عليه، وغرس معاني اليقين به سبحانه، وأنّ كلّ ما يحصل للإنسان هو تقدير العزيز العليم.

إنّه أمرٌ مستحسنٌ ،لأنّ فيه حفزٌ للهمم على تحقيق الأهداف وتوقّع الأفضل دائمًا، يغرس الطمأنينة في النفوس، من خلال صدق توكّلها على الله، وتوقّعها لأفضل الخيارات في كلّ الظروف والأحوال، وذلك بعد الأخذ بالأسباب.

آياتٌ حاثّةٌ على التفاؤل والاستبشار جاءت آياتٌ كثيرةٌ في القرآن الكريم تدعو المسلم ليكون من المتفائلين المستبشرين، ومنها ما يأتي: قول الحقّ -عز وجل- في سورة يوسف: ﴿ وَلا تَيْئَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لا يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلاّ الْقَوْمُ الكَافِرُونَ﴾[٤٨٠]، فقد حرّمَ القرآن اليأس، وبيّن أنّه قرينٌ للكفر، أمّا المسلم فيحملُ من اليقين بالله ما يجعله يستبشر دائمًا بما هو خيرٌ.

وفي سياق نبذ التشاؤم وترك الخوف وتوقع الشر والنتائج السيئة؛ جاء على لسان الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم قول الله تعالى: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ﴾[٤٨١] وفي هذا تربيةٌ للمسلمين على توقّع أفضل النتائج بعد التوكّل على الله، والأخذ بالأسباب.

([٤٨٠]) سورة يوسف ، الآية ٨٧ .

([٤٨١]) سورة التوبة ، الآية ٤٠ .

قال ابن القيم: "من استمسك بِعُرْوَة التَّوْحِيد الوثقى، واعتصم بحبله المتين وتوكل على الله: قطع هاجس الطَّيرَة من قبل استقرارها، وبادر خواطرها من قبل استمكانها .

وقَالَ عِكْرِمَة: كُنَّا جُلُوسًا عِنْد ابْن عَبَّاس، فَمر طَائِر يَصِيح، فَقَالَ رجل من الْقَوْم: خير ! خير ! فَقَالَ لَهُ ابْن عَبَّاس: (لَا خير وَلَا شَرّ!).

مبادرةً بالإنكار عَلَيْهِ، لِئَلَّا يعْتَقد لَهُ تَأْثِيرا فِي الْخَيْر أَو الشَّرّ. وَخرج طَاوُوس مَعَ صَاحب لَهُ فِي سفر، فصاح غراب، فَقَالَ الرجل: خير ! فَقَالَ طَاوُوس: وَأي خير عِنْده ؟! وَالله لَا تصحبني" [٤٨٢]

فعن عبد اللَّهِ بن عَمْرٍو رضي الله عنهما قال: قال رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: (مَن رَدَّتْهُ الطِّيَرَةُ من حَاجَةٍ فَقَدْ أَشْرَكَ قالوا: يا رَسُولَ اللَّهِ ما كَفَّارَةُ ذلك؟ قال: أن يَقُولَ أَحَدُهُمْ: اللَّهُمَّ لاَ خَيْرَ إلا خَيْرُكَ وَلاَ طَيْرَ إلا طَيْرُكَ وَلاَ إِلَهَ غَيْرُكَ)[٤٨٣]

التفاؤل والبسمة والابتسامة :

تُعتبر الابتسامة الدائمة أولى خطوات التفاؤل، فعندما يُقنع الفرد نفسه بأنه سعيد، سيحصد السعادة الحقيقية بسبب هذه التوقعات، وعندما يبتسم الفرد دائمًا، سيحظى بابتسامة كل من حوله، وسيكون سببًا بابتسامة كل من يراه، فيكون عنوانًا للتفاؤل والمحبة.

فمن طبيعة النفس البشرية أنها تحب كل ما هو جميل ولا شك أن من أروع ما تعشقه النفس هو الابتسامة، وكما قال النبي صلى الله عليه وسلم :" تبسُّمُكَ في

([٤٨٢]) مفتاح دار السعادة، (٢/٢٣٥).

([٤٨٣]) رواه أحمد، رقم: (٧٠٤٥)، وصححه الألباني في " السلسلة الصحيحة، رقم: (٣ /٥٣) تحت الحديث (١٠٥٦).

وجْهِ أخيكَ لَكَ صدقةٌ"[٤٨٤]، وهو تأكيد على أهمية الابتسامة بكونها وسيلة للتواصل، وما تبعثه في النفس عندما يقابلك إنسان مبتسم. ما نحتاج إليه في ظل ضغوط حياتنا اليومية هو ممارسة ثقافة التفاؤل والابتسامة والنظر ليومنا بمحبة منذ مطلعه، وتعزيـــز نظرتنا الايجابية لما حولنا لنصل إلى الرضا والسعـادة، وسيبقى الصباح سراً من أسرار هذه الحياة.

اغرس الأمل ،وارسم البسمة ، ووزّع التفاؤل ، واصنع المعروف ، واخدم الناس ، فإنما أنت عابر وغداً مسافر.

فوائد الابتسامة؟

وتزيد الابتسامة من نشاط الذهن ومردوده، وتقوي القدرة على تثبيت الذكريات وتوسيع ساحة الانتباه والتعمق الفكري، وبالتالي يصبح المرء أقدر على التخيل والإبداع ودقة التفكير، وتبعث الابتسامة فينا السعادة الداخلية وبالتالي يزداد إشراق الوجه من جديد بالحيوية والنشاط.

البسمة سنة نبوية:

قال المناوي: "تبسُّمك في وجه أخيك"، أي: في الإسلام، (لك صدقة) يعني: إظهارك له البَشَاشَة والبِشْر إذا لقيته، تؤجر عليه كما تؤجر على الصدقة"[٤٨٥].

وقال ابن بطّال: "فيه أنّ لقاء النّاس بالتّبسُّم، وطلاقة الوجه مِنْ أخلاق النُّبوة، وهو منافٍ للتكبُّر، وجالب للمودّة[٤٨٦].

---

(٤٨٤) رواه الترمذي، رقم: (١٩٥٦)، واللفظ له، وابن حبان، رقم: (٥٢٩)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٩٠٨).

(٤٨٥) فيض القدير، (٣/ ٢٢٦).

(٤٨٦) شرح صحيح البخاري لابن بطال، (٥/ ١٩٣).

ابتسامة الرسول ﷺ .. حقائق وأسرار.

حينما يقلب المسلم سيرة النبي -ﷺ- لا ينقضي عجبه من جوانب العظمة والكمال في شخصيته العظيمة صلوات ربي وسلامه عليه ، ومن جوانب تلك العظمة ذلك التوازن والتكامل في أحواله كلها، واستعماله لكل وسائل تأليف القلوب وفي جميع الظروف، ومن أكبر تلك الوسائل التي استعملها الرسول ﷺ في دعوته، هي تلكم الحركة التي لا تكلف شيئا، ولا تستغرق أكثر من لمحة بصر، تنطلق من الشفتين، لتصل إلى القلوب، عبر بوابة العين، فلا تسل عن أثرها في سلب العقول، وذهاب الأحزان، وتصفية النفوس، وكسر الحواجز مع بني الإنسان!

تلكم هي الصدقة التي كانت تجري على شفتيه الطاهرتين، إنها الابتسامة!

الابتسامة التي أثبتها القرآن الكريم عن نبي من أنبيائه، وهو سليمان عليه السلام حينما قالت النملة ما قالت!.

إنها الابتسامة التي لم تكن تفارق محيا رسولنا -ﷺ- في جميع أحواله، فلقد كان يتبسم حينما يلاقي أصحابه، ويتبسم في مقامٍ إن كتم الإنسان فيه غيظه فهو ممدوح فكيف به إذا تبسم؟! وإن وقع من بعضهم خطأ يستحق التأديب، بل ويبتسم -ﷺ- حتى في مقام القضاء!.

فهذا جرير -رضي الله عنه- يقول -كما في الصحيحين-: "ما حَجَبني رسولُ الله -ﷺ- منذُ أسلمتُ، ولا رآني إلا تَبَسّم في وجهي"[٤٨٧]

ويأتي إليه الأعرابي بكل جفاء وغلظة، ويجذبه جذبة أثرت في صفحة عنقه، ويقول: يَا مُحَمَّدُ مُرْ لِي مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي عِنْدَكَ! فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- فَضَحِكَ ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِعَطَاءٍ[٤٨٨].

([٤٨٧]) رواه البخاري، رقم: (٣٨٢٢)، ومسلم، رقم: (٢٤٧٥).

([٤٨٨]) رواه البخاري، رقم: (٣١٤٩) (٥٨٠٩)، ومسلم، رقم: (١٠٥٧)

ومع شدة عتابه -ﷺ- للذين تخلفوا عن غزوة تبوك، لم تغب هذه الابتسامة عنه وهو يسمع منهم، يقول كعب رضي الله عنه بعد أن ذكر اعتذار المنافقين وحلفهم الكاذب: فَجِئْتُهُ فَلَمّا سَلّمْتُ عَلَيْهِ تَبَسّمَ تَبَسُّمَ الْمُغْضَبِ، ثُمّ قَالَ «تَعَالَ» . فَجِئْتُ أَمْشِي حَتّى جَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ[٤٨٩].

ويسمع أصحابه يتحدثون في أمور الجاهلية وهم في المسجد، فيمر بهم ويبتسم!

بل لم تنطفئ هذه الابتسامة عن محياه الشريف، وثغره الطاهر حتى في آخر لحظات حياته، وهو يودع الدنيا -ﷺ- يقول أنس -كما في الصحيحين-: "بينما الْمُسْلِمُونَ فِي صَلاَةِ الْفَجْرِ مِنْ يَوْمِ الاثنين وَأَبُو بَكْرٍ يُصَلِّي بَهُمْ لَمْ يَفْجَأْهُمْ إِلاّ رَسُولُ اللّه -ﷺ- قَدْ كَشَفَ سِتْرَ حُجْرَةِ عَائِشَةَ، فَنَظَرَ إِلَيْهِمْ وَهُمْ فِي صُفُوفِ الصّلاَةِ. ثُمّ تَبَسّمَ يَضْحَكُ!" [٤٩٠]ولهذا لم يكن عجيباً أن يملك قلوب أصحابه، وزوجاته، ومن لقيه من الناس!.

الطريق إلى القلوب!

لقد شقّ النبي -ﷺ- طريقه إلى القلوب بالابتسامة، فأذاب جليدها، وبث الأمل فيها، وأزال الوحشة منها، بل سنّ لأمته وشرع لها هذا الخلق الجميل، وجعله من ميادين التنافس في الخير، فقال: "وتبسمك في وجه أخيك صدقة"[٤٩١] .

ومع وضوح هذا الهدي النبوي ونصاعته، إلا أنك ترى بعض الناس يجلب إلى نفسه وإلى أهل بيته ومن حوله الشقاء بحبس هذه الابتسامة في فمه ونفسه.

([٤٨٩]) رواه البخاري، رقم: (٤٤١٨)، ومسلم، رقم: (٢٧٦٩) .

([٤٩٠]) رواه البخاري، رقم: (٤٤٤٨) .

([٤٩١]) رواه الترمذي، رقم: (١٩٥٦)البيهقي شعب الإيمان، رقم: (٣١٠٥) والبخاري في الأدب المفرد ، رقم: (٨٩١)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٩٠٨)

إنك تشعر أن بعض الناس من شدة عبوسه وتقطيبه- يظن أن أسنانه عورةٌ من قلة ما يتبسم! فأين هؤلاء عن هذا الهدي النبوي العظيم!.

نعم.. قد تمر بالإنسان ساعات يحزن فيها، أو يكون مشغول البال، أو تمر به ظروف خاصة تجعله مغتمًا، لكن أن تكون الغالب على حياة الإنسان "التكشير"، والانقباض، وحبس هذه الصدقة العظيمة، فهذا والله من الشقاء المعجّل لصاحبه والعياذ بالله.

ابتسامة ثنائية الأبعاد!

إن بعض الناس حينما يتحدث عن الابتسامة يربط ذلك ببعض الآثار النفسية الجيدة على المبتسم، وهذا حسن، وهو قدر يشترك فيه بنو آدم، إلا أن المسلم يحدوه في ذلك أمرٌ آخر، وهو التأسي به -ﷺ- والاقتداء به، وستأتيه الآثار النفسية والصحية التي تذكر في هذا المجال.

لقد أدرك العقلاء أهمية هذه الابتسامة، وعظيم أثرها في الحياة!

يقول ديل كارنيجي في كتابه المشهور (كيف تكسب الأصدقاء وتؤثر في الناس): إن قسمات الوجه خير معبر عن مشاعر صاحبه، فالوجه الصبوح ذو الابتسامة الطبيعية الصادقة خير وسيلة لكسب الصداقة والتعاون مع الآخرين، إنها أفضل من منحة يقدمها الرجل، ومن أرطال كثيرة من المساحيق على وجه المرأة، فهي رمز المحبة الخالصة والوداد الصافي.

ويقول: لقد طلبت من تلاميذي أن يبتسم كل منهم لشخص معين كل يوم في أسبوع واحد؛ فجاءه أحد التلاميذ من التجار، وقال له: اخترت زوجتي للابتسامة، ولم تكن تعرفها مني قط، فكانت النتيجة أنني اكتشفت سعادة جديدة لم أذق مثلها طوال الأعوام الأخيرة! فحفزني ذلك إلى الابتسام لكل من يتصل بي، فصار الناس يبادلونني التحية ويسارعون إلى خدمتي، وشعرت بأن

الحياة صارت أكثر إشراقًا وأيسر منالاً، وقد زادت أرباحي الحقيقية بفضل تلك الابتسامة إلى أن قال ديل كارنيجي : تذكر أن الابتسامة لا تكلف شيئا، ولكنها تعود بخير كثير، وهي لا تفقر من يمنحها مع أنها تغني آخذيها، ولا تنس أنها لا تستغرق لحظة، ولكنها تبقى ذكرى حلوة إلى آخر العمر. وليس أحد فقير لا يملكها، ولا أحد غني مستغن عنها.

كم نحتاج إلى إشاعة هذا الهدي النبوي الشريف، والتعبد لله به في ذواتنا، وبيوتنا، مع أزواجنا، وأولادنا، وزملائنا في العمل، فلن نخسر شيئا! بل إننا سنخسر خيرا كثيرا -دينيا ودنيويا- حينما نحبس هذه الصدقة عن الخروج إلى واقعنا المليء بضغوط الحياة.

إن التجارب تثبت الأثر الحسن والفعّال لهذه الابتسامة حينما تسبق تصحيح الخطأ، وإنكار المنكر، وبعد: فإن العابس لا يؤذي إلا نفسه، وهو بعبوسه يحرمها من الاستمتاع بهذه الحياة، بينما ترى صاحب الابتسامة دائما في ربح وفرح.

أجمل ما قال الشعراء عن الابتسامة:

قلتُ: ابتسمْ يكفي التجهُّمُ في السما!

قالَ: الصِّبا ولّى!

فقلتُ لهُ: ابتسمْ لن يُرجعَ الأسفُ الصبِّا المتصرِّما!

أجمل ما قيل عن الابتسامة:

لنبتسم، ونجعل الأمل أقرب إلينا. الابتسامة أمرها عجيب للغاية، إن رسمتها لحبيب شعر بالراحة، وإن رسمتها لعدو شعر بالندم، وإن رسمتها لمن لا تعرف أصبحت صدقةً لك، وإن رسمتها لنفسك ازددت قوة. ابتسامتك البريئة تكسبك المزيد من الأصدقاء. الابتسامة لا تكلف شيئاً ولكنها تعني الكثير.

التفاؤل سؤال نريد الإجابة: حساً وشعوراً جواباً قلبياً واقعاًي عملياً بصدق وصراحة.

هل مرَّ عليكم شخص دائم التفاؤل، مشرق الوجه، محب الحياة، لا يضيق بمشكلاتها وأحزانها؟

قد توكَّل على ربه، ومضى على صراطه، وعاش على بيناته، ومدرك أن الحياة لا تستحق الحزن والتضجر، فرسولنا الكريم كان دائم التفاؤل، منشرح الخاطر، فكن أنت ذلك المتفائل، ولا تقم للحزن وزنًا، ولا للغم بالاً، وامض متوكلاً على ربك.

استعن بالله وتوكل عليه:

فكن أنت ذلك المتفائل، ولا تقم للحزن وزنًا، ولا للغم بالاً، وامض متوكلاً على ربك، ساعيًا في رزقك، خادمًا لدينك؛ فها هو صلى الله عليه وسلم في أُتون محنة الطائف يقول: "بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِن أَصْلابِهِمْ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ وحْدَهُ لا يُشْرِكُ به شيئًا"[٤٩٢] ويوم الأحزاب لما انصرفوا، قال: "الآن نغزوهم ولا يَغزونَنا، نحن نَسير إليهم"[٤٩٣].

وهديه الدائم: "ويُعجبني الفأل"؛ الكلمة الطيبة. فطيبوا كلامكم، وحسّنوا فعالكم، واستحضروا أن دين الله غالب، وأن أمره نافذ، وأن جنده هم الغالبون.

التفاؤل بيوم عاشوراء:

خرجت لصلاة العصر في هذا اليوم، فتذكرت في طريقي يومين عظيمين يوماً نجى الله فيه موسى وقومه، من فرعون الطاغية وبطشه بهم، فأهلكه الله في مثل هذا اليوم ففيه تفريج هموم، وتنفيس كروب، ويوماً صام فيه النبي صلى الله عليه

---

(٤٩٢) رواه البخاري، رقم: (٣٢٣١) ومسلم، رقم: (١٧٩٥).

(٤٩٣) رواه البخاري، رقم: (٤١١٠).

وسلم يومه عاشوراء هو والصحابة ،وكان مفروضاً قبل فرض شهر رمضان شكراً لله وأنا في صدد كتابة مبحث التفاؤل بوابة النجاح الكبرى فقلت: لابد من عقد مبحث حول عاشوراء وأنه ينبغي لنا معشر المسلمين التفاؤل، بنصر الله عز وجل للمؤمنين، وهلاك الظالمين وشكر رب العالمين .

وفِي ذكرى عاشوراء مدرسة للتفاؤل وبناء الأمل، وموعظة للمتقين، ولا تجعلوا الأحزان تطغى عليكم، أو المآسي تشكّل حياتكم، فها هي الحياة فيها أشياء جميلة، والإسلام ينتشر، والخير في كل المعمورة، وتمددت الحسنات في الآفاق.

إن عاشوراء هو يوم فرح وسرور بنصر الله عز وجل، لكن المبتدعة جعلوا منه يوم حزن وبكاء وألم، ليخالفوا بذلك سنة النبي صلى الله عليه وسلم ويشوهوا تاريخ الإسلام.

وهذا موسى -عليه السلام- يُبتلى من آل فرعون، ويلاقي قومه بني إسرائيل المَلاقي، ويَصطلُون بالنكبات، وتخالطهم كل مواد العنف والشدة؛ ﴿يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾[٤٩٤].

ويقيّض الله لهم موسى عليه السلام فيستنقذهم، ويخرج بهم في القصة المشهورة، حتى يصل ساحل البحر، فيتبعه المجرمون، يبغون النَّيْل منهم، فينجيهمُ الله ويغرق آل فرعون؛ ﴿ فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ * قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾[٤٩٥].

هداه الله، وذلّل له طريقه، وجعل له البحر يبَساً يمشي بلا خوف ولا تردد، ثم أطبقه على القوم المعتدين؛ ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ * وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾[٤٩٦] .

---

(٤٩٤) سورة القصص ، الآية ٤ .

(٤٩٥) سورة الشعراء ، الآيات ٦١-٦٢ .

(٤٩٦) سورة الشعراء ، الآيات ٦٧-٦٨ .

فتفاءلوا ولا تيأسوا من رَوح الله، واجعلوا من موسم عاشوراء مصدرًا للنصر والسرور والانشراح، وأن اسوداد الحياة لن يطول، والبغي قصير، والكذب زائل، والمكر والخديعة في النار، وما ربك بغافل عما يعملون. ولذاك كان من حق هذا اليوم المجيد أن صامه موسى، و صامه صلى الله عليه وسلم تخليدًا لتلك الذكرى، فقد صح في الحديث أنه لما وصل المدينة، وجد اليهود تصوم عاشوراء وتعظّمه؛ فسألهم فقالوا: ذاك يوم نجّى الله موسى وقومه، وأغرق فرعون وقومه، فَصَامَهُ مُوسَى شُكْرًا فَنَحْنُ نَصُومُهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-: "نَحْنُ أَوْلَى بمُوسَى مِنكُم فأمَرَ بصَوْمِهِ" (٤٩٧).

فَصَامَهُ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-، وَأَمَرَ بِصِيَامِهِ. والسُّنَّة أن يُصام يومٌ قبله أو بعده؛ مخالفةً لليهود.

ومن أعظم دروس القصة: أن نعيش متفائلين منشرحين، فقدرة الله غالبة، ودينه منصور، ورسالته الخالدة، وذكراه تصنع ذلك، وأن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسرًا.

وكون المسلم يصومه كل سنة، فهو يجدّد عنده الإيمان، ويبعث الأمل، ويشرح الفؤاد، وأن الحق سينتصر، مهما كانت الظروف. قال -عز وجل-: ﴿ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ (٤٩٨) .

والتفاؤل منهج نبوي معهود، يمر -عليه الصلاة والسلام- على آل ياسر، وهم في شدائد المحنة والتنكيل فيصبّرهم: "صبرا آل ياسر فإن موعدَكم الجنة"(٤٩٩).

---

(٤٩٧) رواه البخاري، رقم: (٤٦٨٠)، ومسلم، رقم: (١١٣٠) واللفظ له.

(٤٩٨) سورة غافر، الآية ٥٠ .

(٤٩٩) رواه الحاكم في المستدرك، رقم: (٥٦٤٦) وقال صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه " والبيهقي في شعب الإيمان (١٥١٥) وصححه الألباني في صحيح السيرة النبوية (ص: ١٥٤)

والتفاؤل شعاع إيجابي يسري في الروح، فيجعلها سعيدة، فتنشط للتحرك والانطلاق. ولكن هذا التفاؤل، يسبقه إيمان بقطعيات الكتاب والسنة، وعقيدة راسخة تستعصي على الذوبان والانهيار من عوادي الدهر ﴿فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾[٥٠٠].وفي رحلة الهجرة، يهمس في أذن أبي بكر -رضي الله عنه- بعد الحالة التخويفية الحزينة التي اعترته ﴿ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾[٥٠١] ، وفي الحديث المشهور: "ما ظنُّك باثنين اللهُ ثالثهما"[٥٠٢].

لا تحزن اليومَ فالرحمنُ ناصرنا ومُظهِر الحق، رغم الهون والتعبِ
تلك البصائرُ أنوارٌ نُرتلها إن تنصروا الله ينصرْكم بلا عجَبِ

وما ضاقت أبواب إلا فتح الله من الخير أضعافًا؛ فثقوا بالله ووعده، واستعصموا بدينه، واذكروه على الدوام، واستعيذوا به من الهم والحزن، والعجز والكسل، واعمروا بالحياة الحب والأدب ومكارم الأخلاق، وصدق الله ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾[٥٠٣] .

وذروا عنكم الغضب والاشمئزاز، وكثرة التشكي والضجر، فالرزق مكتوب، والأجل محدود، والحياة هيّنة، والآخرة هي الحقيقة المرتقبة ﴿ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾[٥٠٤].

---

(٥٠٠) سورة آل عمران ، الآية ١٤٦ .

(٥٠١) سورة التوبة ، الآية ٤٠ .

(٥٠٢) رواه البخاري، رقم: (٤٦٦٣)ومسلم، رقم: (٢٣٨١) .

(٥٠٣) سورة فصلت ، الآية ٣٤ .

(٥٠٤) سورة العنكبوت ، الآية ٦٤ .

وقد تبلغها بذكر طيب، أو عمل صالح أو إحسان رطيب، فـ "كل معروف صدقة"، وقال -صلى الله عليه وسلم-: " مَن قال سبحانَ اللَّهِ العظيمِ وبحمدِه غُرِسَتْ لهُ نخلةٌ في الجنَّةِ)[٥٠٥] وفي حديث عظيم جميل يقول -عليه الصلاة والسلام-: عن اللهِ عز وجل أنه قال: "ابنَ آدمَ اركعْ لي أربعَ ركَعاتٍ من أولِ النهارِ أكْفِكَ آخِرَه"[٥٠٦]

فاللّٰهُمَّ اكفنا شر البلاء والأنكاد والأحزان، واملأ قلوبنا بالتفاؤل المستمر والثقة بك يا ذا الجلال والإكرام

التفاؤل والسعادة:

قليل من التفاؤل قد يصنع ألف طريقٍ للسعادة .

إذا ركزت على التفاؤل والسعادة والتيسير والشكر، فإن عقلك يتحفز للحصول على المزيد منها.

وعندما تركز على الألم والتشكي والخوف وصعوبة الحياة ..فإن عقلك يشعر بالعجز عن التفكير فيما يسعدك ولا يرى إلا ما يجلب الهم والتعاسة..

لأنك أعطيت عقلك رسالة ،بأنه لن يجد غيرها ،لذا قليلاً من التفاؤل قد يصنع ألف طريقاً للسعادة .

إذا أردت أن تعيش حياة مليئة بالفرح والرضى ،فما عليك إلّا أن تجعل التفاؤل والسعادة منهج وهدف تسير عليه، فبالتفاؤل تتحقق السعادة، وبالسعادة يتحقق الرضى، فهما من أساسيات الحياة المثالية التي يتمناها كل إنسان، لذلك نورد لكم

([٥٠٥]) رواه الترمذي، رقم: (٣٤٦٤) واللفظ له، والنسائي في السنن الكبرى، رقم: (١٠٦٦٣) باختلاف يسير وصححه الألباني في مشكاة المصابيح (٢٣٠٤) .

([٥٠٦]) رواه الترمذي، رقم: (٤٧٥)، وأبو داود، رقم: (١٢٨٩) وأحمد، رقم: (٢٢٤٦٩)والنسائي في السنن الكبرى (٤٦٦) وصححه الألباني في مشكاة المصابيح (١٣١٣)و صحيح الجامع (٤٣٣٩) .

هنا أجمل وأروع الكلمات التي تدل على السعادة والتفاؤل وبعض العبارات عن الأمل: إذا كان الأمس ضاع، فبين يديك اليوم وإذا كان اليوم سوف يجمع أوراقه ويرحل فلديك الغد، لا تحزن على الأمس فهو لن يعود ولا تأسف على اليوم فهو راحل واحلم بشمس مضيئة في غد جميل. لولا التفاؤل والأمل في الغد لما عاش المظلوم حتى اليوم. إنّ السعداء بالدنيا غداً، هم الهاربون منها اليوم. إذا نظرت بعين التفاؤل إلى الوجود، لرأيت الجمال شائعاً في كل ذراته.

لو كانت السعادة تعني الحياة بلا قلق، لكان المجانين هم أسعد الناس. قد يتحول كل شيء ضدك ويبقى الله معك، فكن مع الله يكن كل شيء معك. الناس تبحث عن السعادة، أما السعادة فتبحث عمن يستحقها.

التفاؤل هي تلك النافذة الصغيرة، التي مهما صغر حجمها، إلّا أنها تفتح آفاقاً واسعة في الحياة.

إنّنا نبحث عن السعادة غالباً وهي قريبة منا كما نبحث في كثير من الأحيان عن النظارة وهي فوق عيوننا.

لا أحد يستطيع العودة إلى الوراء ويبدأ بداية جديدة، لكن أي شخص يستطيع أن يبدأ من الآن ويصنع حياة جديدة.

إذا كانت سعادة الإنسان مرهونة بوجود شخص معين، أو بامتلاك شيء محدد فما هي بسعادة، أمّا إذا عرف الإنسان كيف يقف وحده في موقف عصيب، مؤدياً ما يجب عليه من عمل بكل ما في قلبه من حب وإخلاص فهذا الإنسان قد وجد إلى السعادة سبيلاً.

يرى المتشائم الصعوبة في كل فرصة، أما المتفائل فيرى الفرصة في كل صعوبة .

إن أحببت أن تكون أسعد الناس بما عملت فأعمل. لا تحاول البحث عن حلم خذلك وحاول أن تجعل من حالة الانكسار بداية حلم جديد.

لقد وجدت أن نصيب الإنسان من السعادة يتوقف غالباً على رغبته الصادقة في أن يكون سعيداً.

لا تنتظر حبيباً باعك ولكن انتظر من يضيء لك الحياة من جديد. كل شيء ينقص إذا قسمناه على اثنين، إلّا السعادة فإنّها تزيد.

لا تضع كل أحلامك في شخص واحد، ولا تجعل رحلة عمرك كلها لشخص واحد تحبه مهما كانت صفاته، ولا تعتقد أن نهاية الأشياء هي نهاية العالم فليس الكون هو ما ترى عيناك.

التعساء يتخيلون مشاكل لا حقيقة لها، ويناطحون مع أعداء لا وجود لهم، بينما السعداء يتعاملون مع المشاكل الموجودة وكأنهم من عالم الخيال، ومع الأعداء وكأنهم محايدون.

لا تحزن إذا غدرك أقرب الناس إليك، فسوف تجد من يخرجك من الحزن ويعيد لك الحياة والابتسامة، تتوقف السعادة على ما تستطيع إعطائه، لا على ما تستطيع الحصول عليه.

لا تيأس إذا تعثرت أقدامك وسقطت في حفرة واسعة، فسوف تخرج منها وأنت أكثر تماسكاً وقوة والله مع الصابرين.

عروس السعادة لا تُزف إلّا إلى من يدفع مهرها من كَد يمينه وعرق جبينه .

إذا أردت أن تسعد رجلاً فلا تعمل على زيادة ثروته، ولكن حاول أن تقلل من رغباته.

لا تجعل الحزن عنوان يومك حزينة، لا تيأس عند حدوث مشكلة أو عارض في حياتك، فثق تماماً بزواله عند تفاؤلك وهدوء أنفاسك وعند لجؤك إلى خالقك.

أنت لا تحتاج إلى البحث عن السعادة، فهي ستأتيك حينما تكون قد هيأت لها موقعاً في قلبك. التفت إلى ما حولك وانظر له بنظرة مشرقة ومتفائلة، حتماً ستجد الجمال والرضى والسعادة.

لا تقلق بشأن صغائر الأمور، فكل الأمور صغائر.

ما أجمل الحياة عندما ننظر لها بجانب مشرق، وما أجمل شعاع الشمس عندما تشرق أشعته الذهبية بالتفاؤل.

ننشأ وفي اعتقادنا أن السعادة في الأخذ، ثم نكتشف أنها في العطاء.

السعادة لا تُباع ولا تُشترى، السعادة مفتاح الحياة الجميلة، فلنؤمن بأقدارنا، ولنؤمن بأرزاقنا، فحياتنا ملك لنا بأيدينا نجعلها شقية حزينة، وبأيدنا نجعلها سعيدة عفيه.

ابتسم في وجه صغير، ولتستمد من عينيه السعادة، أربط على يد طفل يتيم أحنو عليه بدون تكبر ولا إظهار شفقة، وسترى في عينيه كل الحب وكل السعادة، ساعد امرأة نال العجز منها في عبور الطريق، أو الصعود في المواصلات وعندما تدعو لك دعوة من قلبها ستشعر حتما وقتها بالسعادة.

قل يا رب يا مفرج الهموم والكروب وأدعى لأخيك ولكل مسلم عن ظهر قلب حتماً ستشعر وقتها بالسعادة.

سعادة الناس في أن يستريحوا، وراحتهم في أن يعملوا.

السعادة فيك وأنت تبحث عنها في الناس، والحلول عندك وأنت تبحث عنها عند الآخرين.

السعادة كالشمس، كلما تقدمنا منها ألقت بظل متاعبها خلفنا.

السعادة أن تملك ضميراً نقياً، يلتقط ما يسعدك ليس في هذه الحياة فحسب بل وفيما بعدها أيضاً. إذا أسعدت نفسك أسعدت من حولك. سعادتك في ذاكرتك، وذاكرتك في ذكرياتك، فاجعلها جميلة تعش سعيداً.

الحياة باختصار شروق شمس وغروبها، فما أجمل أن تجعل الشروق للبسمة والعمل والغروب للراحة والهدوء.

السعادة هي الاستمتاع بما تجده مع البحث عما لا تجده، أما الشقاء فهو البحث عما لا تجده، من دون الاستمتاع بما تجده.

نحن لا نصنع التفاؤل فحسب بل نصنع الإنسانية ونبني الحضارة والمجد.

تذكر لحظات فرحك في ساعة الكارثة حتى لا تيأس، وتذكر ساعات شقائك في لحظات الفرح حتى لا تغتر.

إذا أفلت شمس يومك وحلّ الظلام، فلا تنس أن تشعل شمسك الداخلية.

كل شيء في الحياة يتبدد ويزول إلّا النور فإنّه يسعى ليتعرف على جمال الحياة.

شيآن في حياتك لا ثالث لهما، إمّا أن تكون متفائلاً دوماً، وإمّا أن تكون متشائماً لك الخيار.

في العبادة سعادة، فالمتفائل هو الشخص الوحيد الذي يعيش في كل مكان سعيداً.

كن قانعاً بما عندك وراضياً عن ما أنت عليه، وأنظر إلى من هو أقل منك في النعم، ومن هو أكثر منك في البلاء، وبذلك تنعم بالسعادة والهناء .

الشدة أكبر باب تلجا فيه إلى طريق السعادة.

كن سعيداً وأنت في الطريق إلى السعادة، فالسعادة الحقيقية هي في المحاولة وليست في محطة الوصول.

في أفق الحياة آمال وآلام ومن بينها تولد عصافير الجمال.

عش في حدود يومك فلا الماضي بآلامه وأفراحه يعيد لك البسمة أو الدمعة، ولا المستقبل في جفوته أو بسمته يسعدك فاسعد في لحظتك الآن.

ليست السعادة أن لا تمر بالآلام، وأن لا تواجه الصعاب، بل السعادة أن تحفظ على رباطة جأشك وهدوء أعصابك، وتفاؤل قلبك وأنت تواجه الصعاب والآلام.

صديقي أنا لست مسؤولاً عن إضفاء السعادة للآخرين أنت من تسعد نفسك أو تشقيها.

أفضل حالات السعادة هي ما تنسجم مع عقلك وقلبك وجوارحك.

التغيير لا يبدأ من الداخل فحسب، إنّما يبدأ من القناعة وقوة الإرادة.

كن قنوعاً بما عندك تكن سعيداً.

إذا كنت لا تستطيع أن تتفاءل في حياتك وتحسن الظن بربك، فأرجوك لا تكن إنساناً.

من كان ينتظر الحصول على كل شيء ليصبح سعيداً، لن يحصل على السعادة في أي شيء. هنالك صفات كثيرة تأتي ضد السعادة، وعلى رأسها تقف الأنانية وحب الذات.

كل يوم يشرق الإنسان بوجه جديد وفكر جديد وعقل جديد فلمَ يحزن إذن.

السعادة لا تهبط عليك من السماء، بل أنت من يزرعها في الأرض.

سافر في كل مكان فلن تجد سفراً هانئاً كسفرك إلى نفسك.

التفاؤل والاستبشار من علامات اليقين برب العالمين.

التفاؤل: هو الإيمان الذي يؤدي إلى الإنجاز، لا يمكن إنجاز شيء دون الأمل والثقة.

التفاؤل بالحياة واليقين بأن الأيام الجميلة قادمة، يزيدك ثقة بنفسك، فافتح قلبك واقترب من كُل شيء يجعلك ترى الحَياة جميلة، ومُفعمه بالأمل.

في التفاؤل بأقدار الله، واليقين في أن الأيام تُخبئ لك ما هو أجمل وأكمل، سرٌ عظيم لا يعلمه إلا من كان قلبه يعرف بان الله أكرم وأكثر جودًا مما يعتقد ويتخيل، اِصبر على ما أصابك واعلم أن فيه من الخير والحكمة فوق ما يستوعبه تفكيرك الإنساني البسيط، تأمل الخير دائمًا وتوكل على الله.

اليأس محطم للآمال ومثبط للعزائم، وهو حالة نفسية تعتري الإنسان تحت شدة الفتن والمحن، وكثرة الابتلاء، وتسلط الأعداء والظالمين، وقد يصل اليأس بصاحبه إلى القنوط وانقطاع الأمل، وفي ذلك سوء ظن بالله عز وجل، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾[٥٠٧] .

سيأتي ما يُفرح قلوبنا، ليس رجماً بالغيب، ولكن ثقةً برب رحيم، فلا يعقب الأحزان إلا سعادةً، ولا يعقب الوجع إلا راحةً، كما لا يعقب الظلم إلا عدالة السماء، ولا يعقب الانكسار إلا جبر الخواطر.. هذا يقيني الذي لا يتزعزع برب العالمين الذي يحنو تبارك وتعالى على عباده ،ويهيئ لهم مداخل الفرح والسرور والسعادة رغم أي ملمات تحل بهم.

ومن هنا، وجب على الإنسان دائما أن يتوقع الخير والتوفيق في أموره، وأن يلزم التفاؤل، فهذا باب من أبواب التوكل على الله سبحانه وإحسان الظن به، كما أن التشاؤم من أخلاق الجاهلية، وفيه ما فيه من إساءة الظن بالله جل وعلا.

وقد جاء هذا المعنى في قول رسولنا الكريم – صلى الله عليه وسلم- من حديث أنس: "والطيرة على من تطير[٥٠٨]..."والطيرة في الإسلام معناها التشاؤم.

---

(٥٠٧) سورة يوسف ، الآية ٨٧ .

(٥٠٨) تقدم تخريجه صفحة ١٤٣ .

يقول ابن القيم الجوزية – رحمه الله- في تعليقه على هذا الحديث في كتاب مفتاح دار السعادة ما يلي: (وقد يجعل الله سبحانه تطير العبد وتشاؤمه سبباً لحلول المكروه به، كما يجعل الثقة والتوكل عليه وإفراده بالخوف والرجاء من أعظم الأسباب التي يدفع بها الشر المتطير به، وسر هذا أن الطيرة إنما تتضمن الشرك بالله تعالى والخوف من غيره وعدم التوكل عليه والثقة به.. وكل من خاف شيئاً غير الله سُلط عليه، كما أن من أحب مع الله غيره عُذب به، ومن رجا مع الله غيره خُذل من جهته، وهذه أمور تجربتها تكفي عن أدلتها...)[٥٠٩]

و من تفاءل بالخير يجده بأمر الله تعالى، فقد كان النبي – صلى الله عليه وسلم- يحب الفأل الحسن، ويكره التشاؤم والطيرة، فعن صهيب – رضي الله عنه- قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم-: "عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله خير وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له"[٥١٠] .

فالتفاؤل إذا هو الذي يبعث بالنفس الأمل ويحفز على الإيجابية والعمل، ومن الأحاديث التي تدعم التفاؤل قول الرسول الكريم – صلى الله عليه وسلم-: " يَسِّرُوا ولا تُعَسِّرُوا، وبَشِّرُوا، ولا تُنَفِّرُوا"[٥١١]كما قال – صلى الله عليه سلم- قبيل موته بثلاثة أيام بحسب رواية جابر بن عبدالله: "لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله" [٥١٢] وهذه من أجلّ الصور في محبة الله والثقة به وحسن التوكل عليه.

---

(٥٠٩) مفتاح دار السعادة (٢/ ٢٥٦) .

(٥١٠) تقدم تخريجه صفحة ١٤٣ .

(٥١١) رواه البخاري، رقم: (٦٩) ومسلم، رقم: (١٧٣٤) .

(٥١٢) رواه مسلم، رقم: (٢٨٧٧) .

والمتأمّل في آيات القرآن الكريم يجدها تبثّ النور والأمل والبِشر والتفاؤل في نفس قارئها، وتدعوه إلى انتظار الفرج، وتُعينه على الصبر أثناء رحلة الحياة بذكر جزاء ومكانة الصابرين، ومن هذه الآيات الكريمة قوله جل وعلا:

﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾[٥١٣] .

وكذلك قوله – تعالى-: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ* فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾[٥١٤] .

وأيضاً قوله تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ* فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ﴾[٥١٥] ، وكذلك قول الحق: ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا* وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾[٥١٦]

وأخيراً.. إن لطف الله يجري، وعبده لا يدري. يأت بها الله، وإن كانت مخبأة، فالصبر باب لها، والفاتح هو الله. اللّهُمَّ دبر لنا المستقبل الذي نجهله، ويسّر الغد الذي يقلقنا، وقرّب الحلم الذي نرقبه، وهب لنا أملاً يملأ قلوبنا، وتول اللّهُمَّ أمرنا.

---

(٥١٣) سورة البقرة ، الآية ٢١٤ .

(٥١٤) سورة آل عمران ، الآيات ١٧٣-١٧٤.

(٥١٥) سورة الأنبياء ، الآيات ٨٣-٨٤ .

(٥١٦) سورة الطلاق، الآيات ٢-٣.

كيف تزرع التفاؤل بحياتك؟

يسيطر التّشاؤم على حياة الكثير من النّاس عندما يواجهون مصاعب الحياة المختلفة وتحدّياتها، وتراهم يقفون في محطّاتٍ كثيرةٍ من محطّات الحياة ليسيطر عليهم التّشاؤم، فترى عزيمتهم قد فترت، وقواهم قد ضعفت، وسيطر اليأس على قلوبهم ونفوسهم، وإنّ علاج ذلك التّشاؤم يكون بعلاج أسبابه، وبزرع روح التّفاؤل في حياة الإنسان، فالتّفاؤل هو نقيض التّشاؤم، فهو الحالة التي تجعل من الإنسان شخصاً محبّاً للحياة، يتطلّع إليها من منظورٍ إيجابيّ، ولا يرى الفشل في الحياة، ولكنّه دائماً يرى الأمل والنّجاح مهما خفت نوره، فكيف للإنسان أن يزرع التّفاؤل في حياته حتّى لا يجد التّشاؤم حالةً من الفراغ في قلبه فيستولي عليه، ولا شكّ بأنّ لزرع التّفاؤل في نفس الإنسان أساليب تنطلق من إرادة الإنسان في الحياة نذكر منها :

أن ينطلق الإنسان في صباح كلّ يومٍ وهو مفعمٌ بالحيويّة والنّشاط، وأن لا يجعل روح التّشاؤم تسيطر عليه، بل يمدّ نفسه بروح التّفاؤل فتكون خير قوةٍ له وزاد لتحقيق طموحاته وتطلّعاته، وإذا واجهته الصّعاب فلا يستسلم لذلك لعلمه بأنّ هذا من سنّة الحياة، وأنّ الحياة تستدعي من الإنسان الصّبر في أحيانٍ كثيرة، كما أنّ بعض المواقف قد تستدعي قوّة النّفس وإرادتها لمواجهتها .

ومن الأمور التي تجعل الإنسان أكثر تفاؤلاً بالحياة أن يعيش سلاماً داخليّاً مع نفسه، فمن تصالح مع نفسه قبل أن يتصالح مع النّاس سرت روح التّفاؤل في جسده وقلبه، فتراه إذا خرج من بيته وواجهته مصيبةٌ أو مشكلة قال بلسان المتفائل لعلّه خير، وهو بذلك يعبّر عن التّصالح والسّلام الدّاخلي الذي يعيشه في قلبه، كما يعبّر عن الإيمان بالله تعالى الذي بيّن حقيقة هذه الحياة الدّنيا، وأنّه

سوف يكون فيها ابتلاءات ومنغّصات، وأنّ الصّبر على ذلك كلّه ممّا يعين الإنسان على تجاوز تلك الابتلاءات .

وأخيراً على من يريد أن يزرع التّفاؤل في حياته أن يبتعد عن الكلمات السّلبيّة التي تزرع التّشاؤم في القلب وقد يتداولها الكثير من النّاس مثل كلمة مستحيل، ولا يمكن، لن يحدث ذلك، ولن أرى خيراً، بل يعوّد نفسه على سماع الكلمات التي تحمل البشرى والتّفاؤل للنّفس، والتي تكون دافعاً للبذل والعطاء في هذه الحياة.

التفاؤل ما تزرعه بعقلك تحصده في حياتك!

أكدت رهف تسابجي خبيرة التنمية البشرية في حديث لنشرة سانا الشبابية أن منظمة الصحة العالمية عرفت التفاؤل على أنه عملية نفسية إرادية تولد أفكار الرضا والأمل والثقة وتبعد مشاعر اليأس والانهزامية والعجز وهو يولد بالفطرة عند الإنسان فالأطفال يولدون مفعمين بالتفاؤل بطاقة الحياة الإيجابية الموجهة للنماء ويتعلمون التفاؤل أو التشاؤم من خلال علاقتهم بوالديهم خاصة الأم فإما أن تتأصل فيهم هذه الفطرة وتقوى وإما أن تنتكس وتضعف.

التفاؤل بالله رسالة من رسائل الأمل للقلب والروح والعقل رسالة تدعونا للحيـاة شعلة تبقى مضيئـة داخل كل إنسان .

التفاؤل وقود الحياة:

ابتسموا وافتحوا أبواب الأمل وانثروا عبير التفاؤل، واملوا قلوبكم بالمحبة، تنفسوا الحياة حباً ورضاً فلا شيء أجمل من قلوب باتت راضية وأصبحت متفائلة ومبتسمة، رضيت بما كُتب لها واستمرت في الحياة بكل تفاؤل ويقين وطمأنينة.

قال نبي الله يعقوب عليه الصلاة والسلام متفائلاً بالخير: ﴿إِنِّي لأجدُ ريحَ يُوسُف﴾[٥١٧] ، من يُحسن الظن بالله؛ وهو على يقين بذلك؛ يشمّ رائحة العطاء والكرم من الله رغم بُعد المسافات، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب الفأل الحسن الكلمة الطيبة، وقال جل وعلا: ﴿وَقُولُوا لِلنّاسِ حُسْنا﴾[٥١٨] فرُبّ كلمة طيبة لا تلقون لها بالاً، أيقظت أملاً في نفوس غيركم، وأنتم لا تدرون فلا تحتقروا من الطيبات شيئاً.

فنحن نعيش بين يسر وعسر، وكلاهما نعمة من الله تعالى ففي اليسر يكون الشكر، يقول تعالى: ﴿وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ [٥١٩]. وفي العسر يكون الصبر، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[٥٢٠] وكلّما اتّسعت مساحة التفاؤل في أعينكم، رأيتم نعيماً لا يبصرهُ إلا من أحسنَ ظنّهُ بالله.

فمارسوا التفاؤل والأمل لتتقنوا راحة البال، وكونوا لمن حولكم كالسّحابة إن لم تمطر غيثاً أمطرت تفاؤلاً وأملاً.

سيأتيكَ الَّذي تَرجوهُ يومًا ... فَلا تعجَلْ عليهِ وإنْ تأخّرْ

ولا تجزعْ وقُل يا نفسُ صبرًا ... فرحمنُ السَّماءِ قضى وقدّر

---

(٥١٧) سورة يوسف ، الآية ٩٤

(٥١٨) سورة البقرة ، الآية ٨٤ .

(٥١٩) سورة ال عمران ، الآية ١٤٤ .

(٥٢٠) سورة الزمر ، الآية ١٠.

سيلطفُ بالقلوبِ ويحتويها فــلا تعجَـلْ عليـهِ وإنْ تأخّــرْ

والتفاؤل والأمل بالله عبادة عظيمة:

فحلقوا في عالم التفاؤل والأمل، وثقوا بالله في كل خطوة تخطونها، وستجدون النتائج والثمرات الجميلة والرائعة، ففي الحديث: الله تعالى عند ظن عبده به، فإن ظن خيراً فله ذلك، وإن ظن غير ذلك فله ذلك، التفاؤل لا يعني أنكم لن تفشلوا، لن تمرضوا، لن تتعبوا، لن تبكوا، لن تحزنوا، التفاؤل يعني أن تملكوا الرضى عن كل أقدار الله، وتعيشوا حامدين شاكرين لله عز وجل؛ لأن الحزن لا يردُّ مفقوداً ، ولا يبعث ميتاً ، ولا يردُّ قدراً ولا يجلب نفعاً ، بل ربما يجعل منك ميتاً على قيد الحياة ، فتناسوا الحزن وأسعدوا أنفسكم ، السعادة لا تحتاج إلى إمكانيات كبيرة ؛ وإنما تحتاج إلى نفس متعلقة بالله وراضية وقنوعة.

فعيشوا على التفاؤل، واغرسوا الأمل، حتى تفوزوا بحسن ظنكم بربكم ، وتكسبوا الخير العظيم، وكلما اتسعت مساحة التفاؤل في أعينكم، اتسعت مساحة السعادة في حياتكم وعشتم النعيم الكبير.

أطمئنوا فأنتم تملكون الكثير، الدُنيا حين تضيقُ بكم من جانب فإنّ الله يُوسّعها لكم من جانبٍ آخر؛ فلا تيأسوا تشبثوا بخيوطِ الأمل مهما ازداد حجم الألم، فَإِنّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا.

كلمةُ الحمد الله وحدَها قادرة على أن تجعل في قلوبنا رضا كامل عن كل شيء في حياتنا، فلك الحمد يا رب على كلّ شيء.

وإذا وقعتم في مشكلة فابحثوا عن حلها، وإذا شعرتم بمرضٍ فتظاهروا بالعافية، وإذا مررتم بعسرٍ فتأمّلوا اليسر، وجهوا تفكيركم وعقولكم دائماً نحو الإيجابية والتفاؤل.

بالرضا تحلو الحياة، وبالابتسامة تهون المشكلات، وبحسن الظنّ بالله تتحقّق المستحيلات.

لنبحث عن قيمة الأشياء ولا يغرّنا ثمنها، الذهب غالٍ جداً ولكن نعيش دونه، الماء لا ثمن لهُ ولا نستطيع العيش دونه.

لن تستطيعوا تبديل الماضي لذلك ركّزوا على صنع مستقبل عظيم، وإذا لم تستطيعوا أن تعيشوا التفاؤل وتمنحوه غيركم، فلا تجبروا من حولكم أن يعيشوا إحباطاتكم.

لم تكن الحياة سيئةً يوماً، بل نحن من أسأنا التعامل معها، فالصلاةُ والدعاءُ، والأهلُ، والأصدقاءُ أربعةُ أشياء كفيلة بإسعادنا.

وحين تعتقدوا أن حلمكم مستحيل تحقيقه فسوف يصبح مستحيلاً، أما حين تؤمنوا أن حلمكم قابل للتحقيق فإنكم تصبحون أكثر قدرةً وتصميماً على تحقيقه.

عيشوا حياتكم وأسعدوا أنفسكم واستمتعوا بوقتكم؛ فهناك أشياء حلها عند الله، فلا ترهقوا أنفسكم بالتفكير فيها والله عنده حسن التدبير.

وتذكروا دائماً أن الحياةُ واسعةٌ جدًا، لكن يضيّقها الإنسان على نفسه عندما يظنّ أنّ سعادته مُرتبطة بأشياء مُعيّنة، غيّر مكانك قليلاً لترى النور من مكانٍ آخر، وتفاؤل بكل خير، فالتفاؤل وقود الحياة.

التفاؤل والأمل في الاسلام:

إن الإسلام هو دين التفاؤل، هو دين الظن الحسن بالله سبحانه وتعالى، دين الطموح، دين الأمل، دين الفرح ، دين الرضا ، دينٌ من أكرمه الله به انتظر الخير وتوقع الخير من رب الخير سبحانه وتعالى القرآن اهتم ودعا إلى وجوب التحلي بروح الأمل وجعله الله من علامات الايمان الصحيح الأمل مهم لحياة الناس

جميعاً فلولا الأمل ما نجح أحد ولا تقدم أحد وما قام بناء آيات قرآنية تبعث على الأمل يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ، وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ، وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ، الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾(٥٢١)

ويقول سبحانه: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾(٥٢٢) .

وقال تعالى: ﴿ وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾(٥٢٣) .

ويقول الحق تبارك وتعالى: ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾(٥٢٤)

ويقول تعالى: ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ ﴾(٥٢٥) .

﴿ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ، وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ، وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ، فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ

---

(٥٢١) سورة البقرة ، الآيات ١٥٣ . ١٥٧ .

(٥٢٢) سورة البقرة ، الآية ١٨٦ .

(٥٢٣) سورة الأنعام، الآيات ١٧ – ١٨ .

(٥٢٤) سورة يونس ، الآية ١٠٧ .

(٥٢٥) سورة الأنبياء ، الآية ٨٣- ٨٤.

مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ، وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ، فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ، وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ، إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾[٥٢٦] .

ويقول تعالى: ﴿ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾[٥٢٧] .

ويقول المولى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ، الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ﴾[٥٢٨] .

ويقول الحق سبحانه: ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ، الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾[٥٢٩] .

ويقول سبحانه: ﴿ قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[٥٣٠] .

ويقول سبحانه: ﴿ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ، ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ، وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ

---

(٥٢٦) سورة الأنبياء ، الآية ٨٥ -٩٢ .

(٥٢٧) سور الحج ، الآية ٣٥ .

(٥٢٨) سورة الرعد، الآيات ٢٨ – ٢٩ .

(٥٢٩) سورة العنكبوت ، الآيات ٥٨ – ٥٩.

(٥٣٠) سورة الزمر ، الآية ١٠.

رَحْمَةً مِنّا وَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ، وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنَثْ إِنّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنّهُ أَوّابٌ﴾(٥٣١) .

ويقول سبحانه: ﴿ يَا أَيّتُهَا النّفْسُ الْمُطْمَئِنّةُ، ارْجِعِي إِلَى رَبّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيّةً، فَادْخُلِي فِي عِبَادِي، وَادْخُلِي جَنّتِي﴾(٥٣٢) ومن هنا فقد اهتم القرآن بروح الأمل ودعا إلى وجوب التحلي به وجعله الله علامة من علامات الايمان الصحيح، وجعله علامة قوية لثقة الانسان بالله سبحانه وتعالى وحسن توكله عليه وتفويض كل أوامره له جل علاه، وهذه حقيقة لا مرية فيها، لأن الحركة والسكون بيده سبحانه وتعالى، فإذا ادرك الإنسان هذه المعاني عاش مطمئناً مرتاحاً متوكلاً على الله مؤملاً كل الخير فيه سبحانه، واثقا أن يومه سعيدا وغداه أسعد.

دور الأمل في حياة الانسان:

يدفع الأمل صاحبه الى الابداع و البناء يجعل حياته غاية بمعنى هادفة، ويجعل الأمل شخصية الانسان سليمة لا خلل ولا صراعات فيها، وبالأمل تتجدد ثقة الانسان بخالقه ثم تزداد ثقته بنفسه و هكذا يتسلح بالصبر والايمان، ويندفع الى الارتقاء بنفسه، والتشبث بالأمل هو الراحة النفسية و الشعور بالسعادة.

إن الأمل في الحياة ،يزرع في النفس الامن والطمأنينة ،والتطلع الى حياة أفضل خالية من الامراض والأحزان والمصائب والحرمان ،ويتحقق العدل الإلهي المطلق، وبالأمل ينطلق الإنسان إلي السعي على عيشه وكسبه فلا يقصر في عمله، ولا يتهاون في القيام بواجبه، وبالأمل لا يمني أحد الموت لضر نزل به، بل يأمل أشد الناس مرضا أن الشفاء العاجل التام قادم قائم بإذن الله تعالى:(وإذا مرضت فهو يشفين)(٥٣٣) .

---

(٥٣١) سورة ص ، الآية ٤١ . ٤٤ .

(٥٣٢) سورة الفجر، الآية ٢٧ _ ٣٠ .

(٥٣٣) سورة الشعراء ، الآية ٨٠ .

وبالجملة فالأمل مهم لحياة الناس جميعاً فلولا الأمل ما نجح أحد، ولا تقدم أحد، وما قام بناء، فالأمل بالنسبة للإنسان كالماء بالنسبة للسمك، وكالوقود بالنسبة للمركبات ،فلنعش بالأمل ولنحيا بالأمل.

التفاؤل والإيمان:

مهما تكاثرت البلايا ، مهما تزاحمت النوازل ،مهما تتابعت العقبات ، المؤمن لا يسمح لنوائب الدهر أن تأخذه إلى اليأس ، ليس في القرآن الكريم آية واحدة تشتم منها رائحة اليأس من روح الله ،أو تجد منها رائحة القنوط من رحمة الله، مهما كانت العراقيل والمعوقات ، لن تجد في القرآن الكريم آية واحدة تفهم منها أنها دعوة إلى الإحباط أو التشاؤم ... في حين تجد قول يعقوب عليه السلام لبنيه ﴿ يَابَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴾[٥٣٤] وفي نفس السياق يأتيك قول إبراهيم عليه السلام ﴿ قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ ﴾[٥٣٥] .

ولرُبَّ نازلةٍ يضيق بها الفتـــــى ذرعاً وعند الله منها المخرجُ
ضاقت فلما استحكمت حلقاتها فُرجت وكان يظنها لا تُفـــرجُ

الإسلام يربي الناس على الأمل في الله سبحانه وتعالى: ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾[٥٣٦] .

التفاؤل : هو ثمرة الإيمان : التفاؤل هو نتيجة الإيمان بأن الله عز وجل بيده مقاليد كل شيء ، وأن كل صغير أو كبير وقع أو سوف يقع في هذه الدنيا إنما أراده

---

(٥٣٤) سورة يوسف ، الآية ٨٧ .

(٥٣٥) سورة الحجر ، الآية ٥٦ .

(٥٣٦) سورة الزمر ، الآية ٨٣ .

الله سبحانه وتعالى ، وقدّره تقديراً، وسمح به ، وكل شيء أراده الله وسمح به إن لم يكن وقع فسوف يقع ، وإرادة الله تعالى تتعلق بالحكمة البالغة لله رب العالمين ، والحكمة المطلقة متعلقة بالخير المطلق ، لا يوجد بالكون شر مطلق أبداً ، هناك شر موظف للخير ، شر يتبعه خير ، وأمل يولد من رحم ألم ، ومنحة تولد من رحم محن .. قال تعالى : ﴿ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ * وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴾(٥٣٧)

القرآن الكريم: دعا في عموم الآيات البينات إلى التفاؤل ، إلى الاستبشار، دعا القرآن الكريم إلى التعلق بالأمل مهما كانت الأحوال سيئة ... قال الله تعالى ﴿ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾(٥٣٨)،وقال تعالى: ﴿ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴾(٥٣٩)، وقال تعالى: ﴿ وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ﴾(٥٤٠) ما بعث الله نبيا إلا وبعثه للناس مبشراً، قال الله تعالى: ﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ ﴾(٥٤١)، وما أرسل الله رسولا إلا أرسله للناس مبشراً قال تعالى: ﴿ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ ﴾(٥٤٢) .

وقالت الملائكة لمريم عليها السلام ﴿ يا مَرْيَمُ إِنَّ اللهَ يُبَشِّرُك ﴾(٥٤٣)،

وقالت الملائكة لزكريا ـ عليه السلام ـ ﴿ إِنَّا نُبَشِّرُكَ ﴾(٥٤٤).

---

(٥٣٧) سورة القصص ، الآية ٥.

(٥٣٨) سورة التوبة، الآية ١١٢ .

(٥٣٩) سورة البقرة ، الآية ١٥٥ .

(٥٤٠) سورة الحج ، الآية ٣٤ .

(٥٤١) سورة البقرة ، الآية ٢١٣ .

(٥٤٢) سورة الكهف ، الآية ٥٦ .

(٥٤٣) سورة آل عمران ، الآية ٤٥ .

(٥٤٤) سورة مريم ، الآية ٧ .

وقال الله تعالى في شأن إبراهيم عليه السلام ﴿ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ﴾[٥٤٥] وفي موضع ثان قال تعالى: ﴿ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴾[٥٤٦] وفي موضع آخر قال تعالى: ﴿ وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾[٥٤٧] .

فالإسلام دين التفاؤل، الإسلام دين الظن الحسن بالله رب العالمين ، الإسلام دين الطموح، دين الأمل ، دين البشر ، دين توقع الخير من الله سبحانه وتعالى ، دين ينادي في آذان العالمين أن الأمور كلها بيد الله وحده ، ولا أحد يبدل ولا أحد يغير إلا الله ، رفعت الأقلام وجفت الصحف على ذلك .

وكم أمرٍ تُساء به صبـــاحًا وتأتيك المسرة بالعشيِّ
إذا ضاقت بك الأحوالُ يومًا فثقْ بالواحدِ الفردِ العليِّ

قال النبي عليه الصلاة والسلام: " لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله عز وجل "[٥٤٨]

أيها الإخوة الكرام: من حياة النبي عليه الصلاة والسلام نضرب المثل في البشر والتفاؤل وحضور الأمل: النبي صلى الله عليه وسلم مرّ في دعوته بظروف عصيبة قاسية ، ورغما عن ذلك لم يغب التفاؤل عنه صلى الله عليه وسلم طرفة عين .

نظروا فرأوه ساجداً عند الكعبة، فقال شقي من ذا الذي يأتي بسلا جزور بني فلان فيجعله على ظهر محمد وهو ساجد ؟

فقال عدو الله عقبة بن أبي معيط: أنا آتيكم به فذهب فجاء بسلا الجزور فجعله على ظهر النبي عليه الصلاة والسلام فجاءت فاطمة بنت رسول الله تزيح

---

(٥٤٥) سورة الحجر، الآية ٥٣ .

(٥٤٦) سورة الصافات ، الآية ١٠١ .

(٥٤٧) سورة الصافات، الآية: ١١٢ .

(٥٤٨) رواه مسلم (٢٨٧٧) .

النجاسة عن ظهر النبي عليه الصلاة والسلام وهى تبكي وهو يبشرها ويقول يا بنية لا تحزني لا تجزعي إن الله مانع أباك[٥٤٩] .

وفي حادث الهجرة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إنسان ملاحق ، وضعت مائة ناقة لمن يأتي به حياً أو ميتاً ، وتبعه سراقة بن مالك ، طمع سراقة بمائة ناقة ، أراد أن يقتل محمدًا صلى الله وسلم على نبينا محمد ، أراد سراقة أن يقتله ليأخذ هذه المكافأة الكبيرة ، تعثرت به الفرس ، فنادى رسول الله ونادى أبابكر وكان بينهما كلام ، في نهاية اللقاء قال ذلك الملاحق المطارد في ذلك الوقت : قال النبي عليه الصلاة والسلام يا سراقة كيف بك إن لبست سواري كسرى ؟! إنسان ملاحق مائة ناقة لمن يأتي به حياً أو ميتاً ، ورغم ذلك يقول لمن أدركه في الطريق : يا سراقة كيف بك إن لبست سواري كسرى[٥٥٠] ؟ المعنى : أنني على يقين أنني سأصل المدينة سالماً ، وسأنشئ بالمدينة دولة ، وسأعد جيشاً ، وسأحارب أكبر دولتين في العالم ، وسأنتصر عليهما بإذن الله، وسوف تأتيني غنائم كسرى ملك الفرس إلى المدينة ، ولك يا سراقة سوار كسرى ..

وهذا وقع في عهد عمر ، جاءت الغنائم من بلاد الفرس، وقف صحابيان جليلان كل صحابي في جهة ورفع كل منهما رمحه أقصى ما يستطيع ، فلم ير الأول رمح الثاني ، خير واسع ، وأموال كثيرة ، وغنائم كبيرة .

فقال عمر رضى الله عنه : إن الذي أدى هذا كله لأمين ، فقال له علي رضى الله عنه: أعجبت من أمانتهم يا أمير المؤمنين ؟! "لقد عففت فعفوا ولو رتعت لرتعوا".

---

(٥٤٩) رواه البخاري، رقم: (٢٤٠) .

(٥٥٠) رواه البيهقي في السنن الكبرى، رقم: (١٣٠٣٣) .

والمعنى أن الرأس إن استقام استقام كل من تحته: " لقد عففت فعفوا ولو رتعت لرتعوا) التفاؤل : أن ترى أن يد الله تعالى هي اليد الوحيدة العاملة في هذا العالم ، لا إله إلا الله وحده لا شريك له في تدبير شؤون عباده ، الأمر كله بيد الحكيم سبحانه وتعالى .

هب أخي : أن وحوشاً كاسرة ، وحوشا جائعة وحوشا مسعورة مفترسة .. لكنها مربوطة ومقيدة بسلاسل وأغلال والسلاسل والأغلال موضوعة بيد مالك لها حكيم عليم قادر عادل ترى مع من تكون علاقتي مع الوحوش أم مع الحكيم العليم العادل القادر الذي يملكها ؟ طبعا علاقتي مع من يملكها لذلك سيدنا هود عليه السلام : ﴿ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمّ لاَ تُنظِرُونِ * إِنِّي تَوَكّلْتُ عَلَى اللّه رَبِّي وَرَبّكُم مّا مِن دَآبّةٍ إِلاّ هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾[٥٥١] .

ليس هناك حركة في هذا العالم إلا بمشيئة الله : أُخذ يوسف عليه السلام من أبيه ب(الحيلة) ثم جرد من ملابسه وألقى في الجب وتم (بيعه) بثمن بخس على أنه عبد ، وغُيب يوسف عن أبيه لعشرات السنين ،ثم تبعه أخوه بنيامين(تم احتجازه بمصر) بتهمة أنه سرق ورغم ذلك لم يفقد يعقوب الأمل ولم ييأس من رحمة الله لحظة واحدة .. ﴿ ارْجِعُوا إِلَى أَبِيكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ * وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ * قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ * وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ * قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ

(٥٥١) سورة هود ، الآية ٥٦.

حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ * قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ * ﴾[٥٥٢] .

ثم إن الآيات تمضي حتى تأتي إلى وقت بلوغ الأمل .. ﴿ وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ * قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ * فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ * ﴾[٥٥٣] .

الإنسان المتفائل ،الإنسان حسن الظن بالله تعالى ، الإنسان الذي ملأ قلبه أملا في الله سبحانه وتعالى ، وملأ يده عملا ، هو أحد الذين يدخلون الجنة يوم القيامة بلا سابقة حساب ولا عذاب، قال النبي عليه الصلاة والسلام "عُرِضَتْ عَلَيَّ الأُمَمُ، فَرَأَيْتُ النبيَّ ومعهُ الرُّهَيْطُ، والنبيَّ ومعهُ الرَّجُلُ والرَّجُلانِ، والنبيَّ ليسَ معهُ أحَدٌ، إذْ رُفِعَ لي سَوادٌ عَظِيمٌ، فَظَنَنْتُ أنَّهُمْ أُمَّتِي، فقِيلَ لِي: هذا مُوسَى صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ وقَوْمُهُ، ولَكِنِ انْظُرْ إلى الأُفُقِ، فَنَظَرْتُ فإذا سَوادٌ عَظِيمٌ، فقِيلَ لِي: انْظُرْ إلى الأُفُقِ الآخَرِ، فإذا سَوادٌ عَظِيمٌ، فقِيلَ لِي: هذِه أُمَّتُكَ ومعهُمْ سَبْعُونَ ألْفًا يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ بغيرِ حِسابٍ ولا عَذابٍ".

قال ابن عباس راوي هذا الحديث : ثم دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبين لهم فأفاض القوم في (أولئك الذين يدخلون الجنة بغير حساب) من هم ؟ فقالوا نحن الذين آمنا بالله واتبعنا رسوله فنحن هم أو أولادنا الذين ولدوا في الإسلام فإنا ولدنا في الجاهلية فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم فخرج فقال (هم الذين لا يسترقون ولا يتطيرون ولا يكتوون وعلى ربهم يتوكلون فقال عكاشة بن

---

(٥٥٢) سورة يوسف ، الآيات ٨١-٨٦ .

(٥٥٣) سورة يوسف ، الآيات ٩٤- ٩٦ .

محصن أمنهم أنا يا رسول الله قال نعم فقام آخر فقال أمنهم أنا قال سبقك بها عكاشة)[٥٥٤]

نسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يقر أعيننا بنصرة الإسلام والمسلمين وأن يعلى بفضله كلمة الحق والدين، إنه ولي ذلك ومولاه وهو على كل شيء قدير.

في ظل الأحداث الجارية ، وما تقاسيه الأمة هذه الأيام من التنكيل بها ومن الاستخفاف بها أصبح مخاضها عسير ووضعها صعب وفي ظل هذا الحال أود أن أقول : إن خلاص الأمة مما تعانيه يكمن في كلمتين اثنتين من القرآن الكريم : ﴿ وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً ﴾[٥٥٥] النصر يأتي بالصبر ، لكن لابد مع الصبر من عمل ولابد للعمل أن يكون صالحًا خالصًا لله رب العالمين ،الصبر مع المعصية ما بعده إلا القبر ، الصبر مع المخالفة ما جزاؤه إلا الهزيمة ، لكن الصبر مع الطاعة بعده النصر ﴿ وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً ﴾ نحن الآن كأمة عربية وإسلامية في مصيبة ، لكن علينا أن نفهم ما نحن فيه حتى لا تصبح المصيبة مصيبتين ،قد يكون للمصائب جانبا إيجابيا ، قد يكون للمصيبة هدفا تربويا ، هو أن ننتبه لأنفسنا ،هو أن نعلم العدو من الصديق ، نحن أمام عدو غادر ، عدو غاشم ، عدو مغتصب خائن ، هو لا يعاملنا كبشر ، إنما يعاملنا كعرب ، هو لا يرانا أصلا ، هو لا يريد إلا إذلالنا والحط من شأننا ﴿ وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾[٥٥٦] .

---

(٥٥٤) رواه البخاري (٥٧٠٥)، ومسلم (٢٢٠) واللفظ له.

(٥٥٥) سورة ال عمران ، الآية ١٢٠.

(٥٥٦) سورة آل عمران ، الآية ٧٥ .

عدونا جهول لا يعرف شيئا عن المروءة ، ولا يعرف عن الشهامة شيئًا ، ولا يؤمن بالأخلاق ، وهو مع كل ذلك عدو ذكي وقوي وغني ، فلا بد في التعامل معه من قدر كبير من الإيمان ، وبقدر مماثل من الذكاء والغنى والقوة والدهاء حتى نفسد عليه مكره وخداعه وفساد نيته .﴿ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ * هَا أَنْتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾[٥٥٧] من الأهداف الإيجابية لمصيبة الأمة هذه الأيام أن نعود إلى ديننا ، إلى طاعة ربنا ، فنحن بحاجة لأن نجدد الإيمان في قلوبنا ، نحن بحاجة لأن نطهر قلوبنا، وننقي سرائرنا ، ونلملم شتاتنا ، ونأخذ بجميع أسباب القوة ، ونحسن في الظن والاعتماد والتوكل على الله سبحانه وتعالى ، عندها وعندها فقط ننتظر نصرًا قريبًا، قال تعالى: ﴿ عَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾[٥٥٨] أسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يكتب للمسلمين نصراً قريبا تقر به العيود وتسعد به النفوس ويشف الله به صدور قوم مؤمنين .

التفاؤل والقرآن الكريم:

القرآن يدعو للتفاؤل ويبث روح الأمل بين المؤمنين.

---

(٥٥٧) سورة آل عمران الآيات ١١٨- ١١٩ .

(٥٥٨) سورة النور ، الآية ٥٥ .

القرآن الكريم مفتاح لكل خير وسعادة في الدنيا والآخرة، وهو أعظم مصدر للتفاؤل وانشراح الصدر وطمأنينته، ومن أقبل عليه؛ تلاوة، وتدبرًا، وعملًا مخلصًا لله- نال تلكم البركات.

القرآن فيه تسلية وعزاء للمنكوب والمهموم، والمحزون والمديون، والمريض والبائس، والفقير واليتيم.

إنَّ ما جاء في القرآن الكريم من آيات كثيرة عن قدرة الله على كل شيء، وأنه يحيي الموتى، ولا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء- باعث عظيم على الطمأنينة والتفاؤل.

جاء في القرآن ما تقر به أعين الصابرين، ويهونه عليهم، ويجدد لهم الأمل والتفاؤل.

مَن توكل على الله كفاه ما أهمه ولو كادته السموات والأرض ومن فيهن.

قصص الأنبياء في القرآن دعوة للتفاؤل، وتوقع العاقبة الحميدة مهما عظم البلاء.

التوبة والاستغفار يصنعان التفاؤل بحياة جديدة سعيدة مباركة عاجلًا، وبنعيم وفوز كبير في الآخرة. أسماء الله تعالى لها معانٍ عظيمة مباركة تفتح أبواب التفاؤل لكلِّ مَن تأملها.

القرآن يدعو للتفاؤل ويبث روح الأمل بين المؤمنين

لقد جعل الله هذه الحياة الدنيا كثيرة التقلب، لا تستقيم على حال، ولا تصفو لمخلوق من الكدر، فالمتأمل في هذه الدنيا بعين البصيرة، يجد فيها الخير والشر، الصلاح والفساد، السرور والحزن، ويجد الأمل واليأس، وهنا يأتي دور الأمل والتفاؤل كشعاع يضئ للمؤمن دروب الظلام، ويبعث في النفس البشرية الجد والصبر، والسعي نحو الفوز بسعادة الدارين.

في إطلالة نحو دعوات التفاؤل القرآنية المباركة، التي يتفيأ الناس ظلالها كل حين، ، أن القرآن يزخر بالآيات والقصص التي تدعو للتفاؤل وتعلم المسلمين الاستبشار بالخير، وانتظار الأفضل، فالذي يغري التاجر في الأسفار والمخاطرة هو أمله في الأرباح، والذي يحفز الطالب على الجد والمثابرة هو أمله في النجاح، والذي يدعو المؤمن أن يخالف هواه ويطيع مولاه، هو أمله في نيل رضا ربنا سبحانه وتعالى والفوز بجنته، فالإنسان المتفائل يقابل شدائد الحياة بقلب مطمئن، ووجه مستبشر، لا ينقطع أمله في تبديل حال العسر إلى يسر بأمر الله، وإذا اقترف ذنبا لم ييأس من رحمة الله ومغفرته، تعلقا وأملا بقول الله عز وجل:(قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيم)[٥٥٩] هذه الآية العظيمة دعوة ألا ييأس الإنسان من رحمته، من بسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل، وبسطها بالليل ليتوب مسيء النهار، حتى ولو تجاوز الحد في الخطايا والإسراف، فكيف تقنط أنت من رحمة الله بعد هذه الآية؟ ما أجمل الآيات الكريمة التي تبشر بالأمل، وتبث روح التفاؤل بين المؤمنين.

إن التفاؤل هو شعور داخلي بالرضا، وثقة تتحول إلى راحة نفسية لدى ذلك الإنسان الذي علق أمله بالله ولم يقنط، والتفاؤل أيضا هو النظرة الإيجابية عندما توصد الأبواب، وهو طوق النجاة عند الملمات .

فالمسلم المتفائل هو إنسان سعيد في دنياه، متوكل على مولاه، تجده طموحاً ومبادراً لكل جميل، والقرآن يحدثنا عن التفاؤل في ثنـــايا ســـورة آل عمران: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[٥٦٠] .

---

(٥٥٩) سورة الزمر ، الآية ٥٣.

(٥٦٠) سورة آل عمران، الآية ١٣٩.

ومن صور التفاؤل في حياة الأنبياء، ما قصه الله تبارك وتعالى في التنزيل عن يعقوب عليه السلام الذي ظل يرسل أبناءه يبحثون عن يوسف وأخيه دون يأس، يقول تعالى: ﴿يا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾(٥٦١) ، وموسى عليه السلام الذي خرج فقيراً مطارداً يناجي ربه، قال تعالى: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾(٥٦٢) .

فتأتيه الإجابة، وتتفتح له الأبواب، ويكلل بالنبوة، ويخص بأنه كليم الله سبحانه وتعالى، وهذا أيوب عليه السلام، أقعده المرض، وانقطعت عنه أسباب الشفاء من البشر، يرفع يديه ويتضرع لله، قال تعالى: ﴿ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ ﴾(٥٦٣)، فجاء الجواب وجاء الفرج المتتابع من رب الكون.

إذا أردنا أن نصلح المجتمع ، ينبغي أن ندرك أن أي واقع لا يخلو من عناصر إيجابية وفي مقابلها عناصر أخرى سلبية، ومهمة المصلح في خضم الأحداث وتقلبات الحياة تبدأ من تنبيه الناس إلى الإيجابيات الموجودة في حياتهم، وتقويتها، والسعي نحو محاصرة السلبيات وتجاوزها والتغلب عليها، إتباعا لمنهج القرآن الكريم الذي يبدأ دوما بذكر الإيجابيات ، وإن قَلّت ويؤخر ذكر السلبيات، وإن كثُرت، ليعلم الناس أن الصورة العامة للحياة ينبغي أن تكون ناصعة مشرقة وباعثة على الأمل.

إن الإسلام يريد أن يطهر قلوب أتباعه من التصورات السلبية، و يدعوهم أن ينشغلوا بالعمل الإيجابي المثمر الذي يجلب لهم النفع والخير، وسعادة الدنيا

---

(٥٦١) سورة يوسف ، الآية ٨٧.

(٥٦٢) سورة القصص، الآية ٢٤ .

(٥٦٣) سورة الأنبياء ، الآيات ٨٣-٨٤ .

والآخرة، والناس اليوم في أمس الحاجة إلى سماع من يبث في نفوسهم الأمل، ويدعوهم إلى التفاؤل، وييسر لهم طريق الخير، واستحضار النماذج المشرقة ليتخذوها أسوة وقدوة ترشدهم للطريق، فهذا هو التطبيق العملي الأمثل لمنهج التفاؤل في سيرة رسولنا الكريم - صلى الله عليه وسلم - أما فقه زمن الفتن، فيرى الشيخ أنه لن يساهم في أي رفعة ولا منفعة في ظل هذه الظروف التي تعيشها الأمة، وسيؤدي لاعتزال المخلصين لمعترك الحياة، مخافة التورط في الفتنة، وترك الساحة لأصحاب الدعوات الهدامة وما أكثرهم في زمننا الحاضر.

التفاؤل في الحياة له معنى آخر

تفاءلوا في حياتكم سيروا دون إحباط دون ملل دون عتب دون قهر فالحياة لا تستحق ذلك، فهي تستحق كل الحب والاحترام كل الشكر والعرفان كل التقدير والمودة، هنا أقف واسالك هل فكرت وشعرت بالتفاؤل؟! أم غلبت عليك نفسك! لذلك أود أن اقترح عليكم قانون جذب التفاؤل هو كلما ارتفع عدد الشحنات الموجبة لديك نحو القمة في التفاؤل كلما قل عندك عدد الشحنات السالبة التي تجعلك محبط في حياتك.

النتيجة تفاؤلك في حياتك يجعلك شخص لائقاً ولبقاً في كلامك وعبقري أثناء تحدثك، ومبدعاً أثناء قدراتك، ومسيطراً على أفكارك، باعثاً لنفسك الضياء، باغياً للخير، متعاوناً للغير، حاملاً هدفاً واضحاً.

تفاءل مهما كبر همك ومهما قلت قيمتك ومهما تعبت من الآراء السلبية، تفاءلوا بحجم السعادة لديكم، وبكل حب وعزم، فالتفاؤل هو سر الناجحين في حياتهم، سر المبدعين، سر البارعين لأنه كمية إيجابية في حياتك أنت كشخص لأنك تعطي للتفاؤل عنوان في كل صفحة تعيشها طالما كنت أنتَ متوازنا بين أحلامك وبين طموحك وبين مستقبلك ،فلماذا لا تجعل التفاؤل إشراقاً

لصباحك؟!، فالتفاؤل جعل للحياة نور، وللصباح إشراقاً يهل علينا من جميع النواحي ومن جميع الجهات.

فتفاؤلنا سيعكس على حياتنا الأثر الجميل، وقد قيل تفاءلوا بالخير، تجدوه، تحصدونه، في حياتكم تبصرونه، وتنجحون به، لتحققون كل احلامكم، تفاءلوا عيشوا حياتكم بالتفاؤل.

جميعنا نعلم أنّ الحياة مليئة بالتقلّبات، والقدرة على البقاء متفائلاً على الدوام ستساعدك على تجاوز الكثير من الأوقات الصعبة، لكن كثيرون من يجهل ما يعنيه التفاؤل حقًا.

إنّه في الواقع لا يتعلّق برؤية أقواس قزح أو فراشات ملوّنة في كلّ مكان حولك، وإنما يتيح لنا التعلّم من المواقف حولنا، والعثور على الإيجابيات مهما كانت بسيطة ،ورؤية الفرص الجديدة في كلّ الأوقات مهما كانت صعبة.

قانون التفاؤل والأمل عند المتفائلين

قانون المتفائلين هو: حسن الظن برب العالمين فمن أحسن ظنه بربه نال أعلى درجات التفاؤل ووفقه الله لكل خير.

ومن الخطأ أن نفهم التفاؤل على أنه مجرد كلمات، أو صورة شكلية، نتجمل بها في مواجهة الحياة، ولا أثر لها في تحقيق النجاح، لأن التفاؤل أكبر من ذلك لأنه حالة نفسيه وجدانية قوامها الثقة بالله، وطاقة روحية تشكل قوة جاذبة للنجاح.

يقول سبحانه وتعالى في حديث قدسي: "أنا عند ظن عبدي بي؛ فليظن بي ما شاء)[٥٦٤] فإذا ظن العبد بربه خيرا فهو يحوز نظرة إيجابية تقربه من النجاح لأنه يشعر أنه معان وقادر على الفعل وينتظر عطاء الكريم فيصل إلى غرضه بإذن ربه، أما إذا تشاءم فهو يشعر بالضعف والعجز وانعدام الثقة بالنفس

(٥٦٤) تقدم تخريجه صفحة ١٥ .

،وبالتالي لا يسعى السعي المطلوب، ويقصر في الفعل فيكون الفشل أقرب إليه من النجاح.

كذلك حديث المصطفى صلى الله عليه وسلم القائل: "ادْعُوا اللَّهَ وأَنتمْ مُوقِنُونَ بالإجابةِ، واعلمُوا أنَّ اللهَ لا يَستجيبُ دُعاءً من قلْبٍ غافِلٍ لَاهٍ"(٥٦٥) .

فيه أيضاً ربط بين الحالة النفسية للمتفائل الذي يوقن باستجابة الله لدعائه، ولذلك فهو يتحرك من هذا المنطلق ويسعى ويجتهد ويصل بتوفيق الله لغرضه، وهو بهذا يختلف عن المتشائم الذي يقل حماسه ويخبو أمله، ويقل عمله ويترك داعي الرحمن ،ويستجيب لداعي الشيطان الذي يعده الفقر ، وبئس الوعد هو ، ويأمره بالفحشاء، بينما المؤمن يستجيب لداعي الرحمن الذي يعده بالمغفرة والفضل، فشتان شتان.

وإذا أخذنا في الاعتبار أن الفقر في حقيقته لا يعني قلة المال فحسب بل هو أكبر وأعم، ومن أشكاله الفقر النفسي الذي يتمثل في النظرة المتشائمة وتحكم عقلية الشح التي ترى أن الكون ليس فسيح الأركان ،واسع الرحاب يسع الجميع، بل هو ضيق شحيح الموارد والناس يتنافسون للحصول على ما يستطيعون، وما تحصل عليه أنت يكون خصما على نصيبي أنا لأن الخير لا يسعنا معا.

هذه صورة من الفقر النفسي المدقع وهي التي يشيعها الشيطان في أوليائه ويدخلهم في دوامة التشاؤم من خلالها، ويبقيهم بها في دائرة الفقر والبخل ولو حازوا المليارات.

التفاؤل كذلك له تعلق كبير بكلماتنا التي نستعملها، ولغتنا التي نستخدمها، لأن الكلمات هي انعكاس لما في النفس، فالمتفائل يكثر من قول: أستطيع،

---

(٥٦٥) رواه الترمذي، رقم: (٣٤٧٩) واللفظ له، والبزار، رقم: (١٠٠٦١)، والطبراني في المعجم الأوسط، رقم: (٥١٠٩) والحاكم في المستدرك (١٨١٧) وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٢٤٥) .

وأفضل، وسأفعل ونحوه، بينما المتشائم يكثر من لا يمكن، ولا أستطيع، وفقط لو، ونحوه.

أركب سيارة الأمل وأسرع نحو طريق التفاؤل:

التفاؤل أول طريق النجاح، والأمل أهم دوافع العمل، انظر إلى الجانب المشرق من الحياة وكن إيجابياً.

التفاؤل هو السلاح الأساسي الذي يجب على كل إنسان أن يتمسك به ليتمتع بسعادةٍ كبيرةٍ في الحياة، وليُبعد عنه كل آثار الحقد والاستسلام والتشاؤم الذي يُدمّر نفسيته ويتسبّب في تراجعها يومًا بعد يوم، فيما يلي سنقدّم لك مجموعةً من النصائح الفعّالة التي يجب أن تتقيّد بها لتزرع التفاؤل في حياتك.

أولاً: التركيز على الأشياء الإيجابيّة.

لتزرع التفاؤل في حياتك اليومية عليك أن تُركّز نظرك على الأشياء الإيجابيّة الموجودة في الحياة، وأن تسلط كل اهتمامك عليها فقط، دون التركيز على الأشياء المزعجة، وحاول قدر المستطاع أن تدوّن هذهِ الأشياء الإيجابيّة، وأن تستمتع وتركّز عليها بشكلٍ جيد.

ثانياً :التخلّص من السلبيّة:

في حال واجهت بعض المواقف والأحداث السلبيّة في حياتك، عليك أن تتخلّص منها بشكلٍ سريع، وأن تقطع الطريق الذي يؤدي إلى تفشيها وانتشارها في حياتك، كأن تقوم بالاستماع إلى صوت شجي للقران الكريم ، أو الخروج في نزهةٍ خارج المنزل مع أحد الأصدقاء أو المقربين.

ثالثاً: المشاركة في الأعمال الخيريّة:

إنّ العمل في المجال الخيري والإنساني يُساهم وبشكلٍ كبير بزرع الإيجابيّة والتفاؤل في حياة الإنسان، لهذا ننصحك بأن تسعى وبجديّةٍ كبيرة في المشاركة بالأعمال الخيريّة المحليّة التي تقام في مجتمعك، وأن تسارع كذلك في الأعمال التطوعيّة التي تهدف لمساعدة الآخرين والحفاظ على نظافة المدينة، كزرع الأشجار في الحدائق، أو تنظيف الشوارع.

رابعاً :المواظبة على الرياضة.

إنّ التمارين الرياضيّة تساهم وبشكلٍ فعّال في توليد الإيجابيّة والتفاؤل لدى الإنسان، لهذا فإننا ننصحك بأن تواظب على ممارسة التمارين الرياضيّة اليوميّة،وبشكلٍ خاص في الطبيعة والهواء الطلق.

خامساً: التقرّب من الله سبحانه وتعالى.

إنّ تقرّب الإنسان من الله سبحانه وتعالى والالتزام بأداء كل العبادات من صلاة، وصيام، وذكاة، وقراءة قرآن، يُساهمُ وبشكلٍ فعّال في تحسين نفسيّة الإنسان ،وزرع التفاؤل والسعادة و البهجة في نفس الإنسان بعيدًا عن أشكال السلبيّة والتشاؤم.

سادساً: احتفظ بابتسامة جذابة على وجهك.

حتى إذا لم تكن تشعر أنك تريد أن تبتسم فتظاهر بالابتسامة، حيث أنّ العقل الباطن لا يستطيع أن يفرّق بين الشيء الحقيقي والشيء غير الحقيقي، وعلى ذلك فمن الأفضل أن تقرر أن تبتسم باستمرار.

قصة ممتعة في باب التفاؤل وحسن التوكل على الله.

خرج رجل في سفر مع ابنه إلى مدينه تبعد عنهم قرابة يومين وبينما هما يسيران كسرت ساق الحصان في منتصف الطريق ..

فقال الرجل : رضيت بقضاك واعلم أنه خير، فأخذ كل منهما متاعه على ظهره وتابعا السير، و بعد مدة تعثر الرجل بحجر أصاب قدمه فأصبح يجر ساقه جراً فقال : ما حجبه الله عنا كان أعظم ! فقام الابن وحمل متاعه ومتاع أبيه على ظهره ، وانطلقا يكملان سيرهما وفي الطريق لدغت الابن أفعى، فوقع على الأرض وهو يتألم ..

فقال الرجل لعلة خير إن شاء الله، وهنا غضب الابن وقال لأبيه : أين هو الخير؟ وعندما شُفي الابن أكملا سيرهما فوصلا إلى المدينة فإذا بها قد أزيلت عن بكرة أبيها بسبب زلزال أبادها بمن فيها.

فنظر الرجل لابنه، وقال له : هذا هو الخير لو لم يُصبنا ما أصابنا في رحلتنا لكنا وصلنا في ذلك اليوم وكنا مع من هلك في هذه المدينة !

ليكن هذا منهجاً لحياتنا اليومية لكي تستريح القلوب من القلق .

أثق يا الله أن كل ما تكتب لي هو الخير كل الخير .

قصة طريفة في التشاؤم :

من مخلّفات أعداء الرسل التشاؤم بالأشخاص، فقد تشاءم قوم صالح بنبيهم عليه السلام حيث قالوا له: ﴿ اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ ﴾[٥٦٦] وكان فرعون وقومه إذا أصابتهم سيئة: ﴿ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ ﴾[٥٦٧] .

---

(٥٦٦) سورة النمل ، الآية ٤٧.

(٥٦٧) سورة الأعراف ، الآية ١٣١.

وتطير أصحاب القرية برسل الله عز وجل حيث قالوا لهم: ﴿إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ﴾ (٥٦٨).

وقد كان الرد عليهم جميعاً: ﴿ أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللهُ ﴾ (٥٦٩) .

أي: أن ما حل بكم من شر وبلاء إنما هو بسبب ذنوبكم وكفركم.

أما اليوم، فقد يتطير أحدهم بملاقاة شخص في الصباح الباكر، ويقول له بالعامية: أيش من وجه أصبحت عليه.

ومنهم: من يتطير بالبشر ذوي العاهات، فإذا رأى رجلاً أعور قال: هذا عوار في حرفتي ومهنتي، لا أذهب إليها اليوم، وإذا رأى امرأة عجوزاً يقول: هذه عجوز نحس لا يمكن أن أذهب إلى العمل هذا اليوم !

قال العلامة الحافظ الحكمي رحمه الله في معارج القبول :(وأما الطيرة، فهي ترك الإنسان حاجته ، واعتقاده عدم نجاحها ، تشاؤما بسماع بعض الكلمات القبيحة ، كي يا هالك أو يا ممحوق ونحوها ، وكذا التشاؤم ببعض الطيور كالبومة وما شاكلها إذا صاحت)

قالوا : إنها ناعبة أو مخبرة بشر، وكذا التشاؤم بملاقاة الأعور، أو الأعرج أو المهزول، أو الشيخ الهرم، أو العجوز الشمطاء، وكثير من الناس إذا لقيه وهو ذاهب لحاجة ، صده ذلك عنها ، ورجع معتقداً عدم نجاحها ، وكثير من أهل البيع لا يبيع ممن هذه صفته إذا جاءه أول النهار ، حتى يبيع من غيره تشاؤما به وكراهة له ، وكثير منهم يعتقد أنه لا ينال في ذلك اليوم خيرا قط)(٥٧٠).

---

(٥٦٨) سورة يس ، الآية ١٨.

(٥٦٩) سورة الأعراف ، الآية ١٣١

(٥٧٠) معارج القبول بشرح سلم الوصول (٣/ ٩٩٠).

وذكر ابن القيم رحمه الله في كتابه (مفتاح دار السعادة): أن أحد الولاة خرج لبعض مهماته فاستقبله رجل أعور فتطير به وأمر به إلى الحبس فلما رجع أمر بإطلاقه ، فقال : سألتك بالله ما كان جرمي الذي حبستني لأجله ؟ فقال : تطيرت بك ، فقال : فما أصبت في يومك برؤيتي ؟ فقال : لم ألق إلا خيرا . فقال : أيها الأمير أنا خرجت من منزلي فرأيتك فلقيت في يومي الشر والحبس ، وأنت رأيتني فلقيت الخير والسرور فمن أشأمنا؟ والطيرة بمن كانت ؟ فاستحيا منه الوالي ووصله[٥٧١]"

اليأس والقنوط والتشاؤم:

إن حظي كدقيق فوق شوكٍ نثروه ثم قـــالـوا لحـفـاة يـوم ريـحٍ اجمعـوه
صـعـب الأمـر عـليهم فقالوا اتركوه إن من أشقاه ربي كيف أنتم تسعـدوه[٥٧٢] ؟

نعوذ بالله من الخذلان:

شرح حديث أبي هريرة: المؤمن القوي خير وأحبُّ إلى الله من المؤمن الضعيف

عَنْ أبي هُريرةَ - رضْيَ اللهُ عنه - قالَ: قال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: (المؤمنُ القويُّ خيرٌ وأحبُّ إلى اللهِ مِنَ المؤمنِ الضَّعيفِ وفي كلٍّ خيرٌ. احْرِصْ على ما يَنفعُكَ، واسْتَعنْ باللهِ ولا تَعجزْ. وإنَّ أصابك شيءٌ فلا تقلْ: لو أنِّي فعلتُ كان كذا وكذا، ولكن قُلْ: قدَرُ اللهِ وما شاءَ فَعَل، فإنَّ (لَوْ) تَفتحُ عملَ الشَّيطانِ)[٥٧٣]

.

(٥٧١) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة (٢/ ٢٣١)

(٥٧٢) هذه الأبيات للشاعر السوداني المرهف إدريس محمد جماع من مواليد مدينة حلفاية الملوك (١٩٢٢م) تخرج من كلية دار العلوم، وعمل مدرساً في معهد التربية بمدينة شندي شمال الخرطوم ثم ببخت الرضا بمدينة الدويم ، له ديوان شعر تحت اسم (لحظات باقية).. توفي رحمه الله في عام (١٩٨٠م

(٥٧٣) رواه مسلم، رقم: (٢٦٦٤) .

قال العلَّامةُ ابنُ عثيمين - رحمه الله -:قال المؤلف - رحمه الله تعالى - فيما نقله عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «المؤمنُ القويُّ خيرٌ وأحبُّ إلى الله من المؤمنِ الضَّعيفِ».

المؤمن القوي: يعني في إيمانه، وليس المراد القوي في بدنِه؛ لأن قوة البدن قد تكون ضررًا على الإنسان إذا استعمل هذه القوة في معصية الله، فقوة البدن ليست محمودة ولا مذمومة في ذاتها، إن كان الإنسان استعمل هذه القوة فيما ينفعه في الدنيا والآخرة صارت محمودة، وإن استعان بهذه القوة على معصية الله صارت مذمومةً.

لكن (القوَّة) في قوله - صلى الله عليه وسلم-: «المؤمن القوي»، تعني قوة الإيمان، لأن كلمة القوي تعود إلى الوصف السابق وهو الإيمان، كما تقول: الرجل القوي، أي في رجولته، كذلك المؤمن القوي يعني في إيمانه؛ لأن المؤمن القوي في إيمانه تحمله قوة إيمانه على أن يقوم بما أوجب الله عليه، وعلى أن يزيد من النوافل ما شاء الله، والضعيف الإيمان يكون إيمانه ضعيفًا لا يحمله على فعل الواجبات، وترك المحرمات فيُقصِّر كثيرًا.

وقوله: (خيرٌ) يعني: خير من المؤمن الضعيف، وأحبُّ إلى الله من المؤمن الضعيف، ثم قال - عليه الصلاة والسلام -: « وفي كُلٍّ خيرٌ»، يعني المؤمن القوي والمؤمن الضعيف كل منهما فيه خير. وإنما قال: «وفي كلٍّ خيرٌ»؛ لئلا يتوهم أحد من الناس أن المؤمن الضعيف لا خير فيه، بل المؤمن الضعيف فيه خير، فهو خير من الكافر لا شك.

وهذا الأسلوب يسميه البلاغيون الاحتراز، وهو أن يتكلم الإنسان كلامًا يوهم معنى لا يقصده، فيأتي بجملة تبين أنه يقصد المعنى المعين، ومثال ذلك في القرآن

قوله تبارك وتعالى: ﴿ لا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى ﴾[٥٧٤] .

لما كان قوله: ﴿ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا ﴾[٥٧٥] يوهم أن الآخرين ليس لهم حظ من هذا، قال: ﴿ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى ﴾.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ ﴾[٥٧٦] لما كان هذا يوهم أن داود عنده نقص، قال تعالى: ﴿ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾[٥٧٧].

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ لا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى ﴾[٥٧٨] .

فهنا قال النبي صلى الله عليه وسلم: «وفي كلٍّ خيرٌ»، أي: المؤمن القوي والمؤمن الضعيف، لكن القوي خير وأحبُّ إلى الله.

ثم قال عليه الصلاة والسلام: «احرصْ على ما ينفعُك» هذه وصية من الرسول عليه الصلاة والسلام لأمته، وهي وصية جامعة مانعة «احرصْ على ما ينفعُكَ» يعني أجتهد في تحصيله ومباشرته، وضد الذي ينفع الذي فيه ضرر، وما لا ينفع فيه ولا ضرر، وذلك لأن الأفعال تنقسم إلى ثلاثة أقسام: قسم ينفع الإنسان، وقسم يضره، وقسم لا ينفع ولا يضر.

---

(٥٧٤) سورة الحديد، الآية ١٠.

(٥٧٥) سورة الحديد، الآية ١٠.

(٥٧٦) سورة الأنبياء، الآية ٧٩.

(٥٧٧) سورة الأنبياء، الآية ٧٩.

(٥٧٨) سورة النساء، الآية ٩٥.

فالإنسان العاقل الذي يقبل وصية النبي صلى الله عليه وسلم هو الذي يحرص على ما ينفعه، وما أكثر الذين يضيعون أوقاتهم اليوم في غير فائدة، بل في مضرة على أنفسهم وعلى دينهم، وعلى هذا فيجدر بنا أن نقول لمثل هؤلاء: إنكم لم تعملوا بوصية النبي صلى الله عليه وسلم؛ إما جهلًا منكم وإما تهاونًا، لكن المؤمن العاقل الحازم هو الذي يقبل هذه النصيحة، ويحرص على ما ينفعه في دينه ودنياه.

وهذا حديث عظيم ينبغي للإنسان أن يجعله نبراسًا له في عمله الديني والدنيوي، لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «احرص على ما ينفعك»، وهذه الكلمة كلمة جامعة عامة، «على ما ينفعك»، أي: على كل شيء ينفعك، سواء في الدين أو في الدنيا، فإذا تعارضت منفعة الدين ومنفعة الدنيا فقدِّمْ منفعة الدين؛ لأن الدين إذا صلح صلحت الدنيا، أما الدنيا إذا صلحت مع فساد الدين فإنها تفسد.

وفي قوله: «احرص على ما ينفعك» إشارة إلى أنه إذا تعارضت منفعتان إحداهما أعلى من الأخرى، فإننا نقدم المنفعة العليا؛ لأن المنفعة العليا فيها المنفعة التي دونها وزيادة، فتدخل في قوله: «احرص على ما ينفعك».

فإذا اجتمع صلة أخ وصلة عم كلاهما سواء في الحاجة، وأنت لا يمكنك أن تصل الرجلين جميعًا، فهنا تقدم صلة الأخ لأنها أفضل وأنفع، وكذلك أيضًا لو أنك بين مسجدين كلاهما في البعد سواء لكن أحدهما أكثر جماعة فإننا نقدم الأكثر جماعة لأنه الأفضل، فقوله: «على ما ينفعك» يشير إلى أنه اجتمعت منفعتان إحداهما أعلى من الأخرى فإنها تقدم الأعلى.

وبالعكس إذا كان الإنسان لابد أن يرتكب منهيًا عنه من أمرين منهي عنهما وكان أحدهما أشد، فإنه يرتكب الأخف، فالمناهي يقدم الأخف منها، والأوامر يقدم الأعلى منها.

وقوله عليه الصلاة والسلام: «واستعن بالله»: ما أروع هذه الكلمة بعد قوله: «احرص على ما ينفعك»؛ لأن الإنسان إذا كان عاقلًا ذكيًّا فإنه يتتبع المنافع ويأخذ بالأنفع ويجتهد ويحرص، وربما تغره نفسه حتى يعتمد على نفسه وينسى الاستعانة بالله، وهذا يقع لكثير من الناس، حيث يعجب بنفسه ولا يذكر الله عزَّ وجلَّ ، ويستعين به، فإذا رأى من نفسه قوة على الأعمال وحرصًا على النافع وفعلًا له، أعجب بنفسه ونسى الاستعانة بالله، ولهذا قال: « احرصْ على ما ينفعك واستعنْ باللهِ»، أي: لا تنس الاستعانة بالله ولو على الشيء اليسير، وفي الحديث: «ليسأل أحدكم ربَّه حاجتَه حتى يسأله الملح، وحتى يسأله شِسْعَ نعله إذا انقطع»[٥٧٩]، يعني حتى الشيء اليسير لا تنس الاستعانة بالله عزَّ وجلَّ، حتى ولو أردت أن تتوضأ أو تصلي أو تذهب يمينًا أو شمالًا أو تضع شيئًا فاستحضر أنَّك مستعينٌ بالله عزَّ وجلَّ، وأنه لولا عون الله ما حصل لك هذا الشيء.

ثم قال: « ولا تعجز »، يعني استمر في العمل ولا تعجز، وتتأخر، وتقول: إن المدى طويل والشغل كثير، فما دمت صممت في أول الأمر أن هذا هو الأنفع لك ،واستعنت بالله وشرعت فيه فلا تعجز.

وهذا الحديث في الحقيقة يحتاج إلى مجلدات يتكلم عليه فيها الإنسان؛ لأن له من الصور والمسائل ما لا يحصى، منها مثلًا طالب العلم الذي يشرع في كتاب يرى أن فيه منفعة ومصلحة له، ثم بعد أسبوع أو شهر يمل، وينتقل إلى كتاب آخر، هذا نقول عنه: إنه استعان بالله وحرص على ما ينفعه ولكنه عجز، كيف عجز؟ بكونه لم يستمر، لأن معنى قوله: «لا تعجزْ»، أي: لا تترك العمل؛ بل ما دمت دخلت فيه على أنه نافع فاستمر فيه، ولذا تجد هذا الرجل يمضي عليه الوقت ولم يحصل شيئًا؛ لأنه أحيانًا يقرأ في هذا، وأحيانًا في هذا.

---

(٥٧٩) رواه الترمذي، رقم: (٣٦٠٤) وابن حبان، رقم: (٨٩٤)، وحسنه الألباني في مشكاة المصابيح (٢٢٥١) .

حتى في المسألة الجزئية؛ تجد بعض طلبة العلم مثلًا يريد أن يراجع مسألة من المسائل في كتاب، ثم يتصفح الكتاب، يبحث عن هذه المسألة، فيعرض له أثناء تصفح الكتاب مسألة أخرى يقف عندها، ثم مسألة ثانية، فيقف عندها، ثم ثالثة، فيقف، ثم يضيع الأصل الذي فتح الكتاب من أجله، فيضيع عليه الوقت، وهذا ما يقع كثيرًا في مثل «فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله» تجد الإنسان يطالعها ليأخذ مسألة، ثم تمر مسألة أخرى تعجبه وهكذا، وهذا ليس بصحيح؛ بل الصحيح أن تنظر الأصل الذي فتحت الكتاب من أجله.

كذلك أيضًا في تراجم الصحابة، في «الإصابة - مثلًا - لابن حجر رحمه الله» حين يبحث الطالب عن ترجمة صحابي من الصحابة، ثم يفتح الكتاب من أجل أن يصل إلى ترجمته، فتعرض له ترجمة صحابي آخر، فيقف عندها وقرؤها، ثم يفتح الكتاب، يجد صحابيًّا آخر، ثم هكذا يضيع عليه الوقت ولا يحصل الترجمة التي من أجلها فتح الكتاب، وهذا فيه ضياع للوقت.

ولهذا كان من هدي الرسول - عليه الصلاة والسلام - أن يبدأ بالأهم الذي تحرك من أجله، ولذلك لما دعا عتبان بن مالك الرسول صلى الله عليه وسلم، قال له: أريد أن تأتي لتصلي في بيتي؛ لأتخذ من المكان الذي صليت فيه مصلى لي، فخرج النبي - عليه الصلاة والسلام - ومعه نفر من أصحابه، فلما وصلوا، إلي بيت عتبان واستأذنوا ودخلوا، وإذا عتبان قد صنع لهم طعامًا، ولكن الرسول - عليه الصلاة والسلام - لم يبدأ بالطعام، بل قال: « أَيْنَ تُحِبُّ أَنْ أُصَلِّيَ مِن بَيْتِكَ؟ فأَشَرْتُ له إلى المَكَانِ الذي أُحِبُّ، فَقَامَ وصَفَفْنَا خَلْفَهُ، ثُمَّ سَلَّمَ وسَلَّمْنَا)[٥٨٠] .

فهذا دليل على أن الإنسان يبدأ بالأهم، وبالذي تحرك من أجله؛ من أجل ألا يضيع عمله سدى.

---

(٥٨٠) رواه البخاري، رقم: (٦٨٦)

فقول الرسول -صلى الله عليه وسلم-: «لا تعجزْ»، أي: لا تكسل وتتأخر في العمل إذا شرعت فيه، بل استمر لأنك إذا تركتَ ثم شرعتَ في عمل آخر، ثم تركت ثم شرعت ثم تركت، ما تم لك عمل.

ثم قال عليه الصلاة والسلام: «فإنْ أصابك شيءٌ فلا تقلْ: لو أني فعلتُ لكان كذا وكذا». ويعني بعد أن تحرص وتبذل الجهد، وتستعين بالله، وتستمر، ثم يخرج الأمر على خلاف ما تريد، فلا تقل: لو أني فعلت لكان كذا، لأن هذا أمر فوق إرادتك، أنت فعلت الذي تؤمر به، ولكن الله - عزَّ وجلَّ غالب على أمره ﴿ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴾[٥٨١] ونضرب مثالًا لذلك: إذا سافر رجل يريد العمرة، ولكنه في أثناء الطريق تعطلت السيارة، ثم رجع فقال: لو أني أخذت السيارة الأخرى لكان أحسن، ولما حصل على التعطل. نقول: لا تقل هكذا؛ لأنك أنت بذلت الجهد، ولو كان الله عزَّ وجلَّ أراد أن تبلغ العمرة ليسر لك الأمر، ولكن الله لم يرد ذلك.

فالإنسان إذا بذل ما يستطيع مما أُمِر ببذله، وأخلفت الأمور؛ فحينئذ يفوض الأمر إلى الله؛ لأنه فعل ما يقدر عليه، ولهذا قال: «إنْ أصابَك شيءٌ»، يعني بعد بذل الجهد والاستعانة بالله - عزَّ وجلَّ – «فلا تقلْ لو أني فعلتُ لكان كذا وكَذا».

وجزى الله عنَّا نبينا خير الجزاء؛ فقد بيَّنَ لنا الحكمة من ذلك، حيث قال: «فإنَّ لو تفتحُ عمل الشيطانِ»، أي تفتح عليك الوساوس والأحزان والندم والهموم، حتى تقول: لو أني فعلتُ لكان كذا. فلا تقل هكذا، والأمر انتهى، ولا يمكن أن يتغير عما وقع، وهذا أمر مكتوب في اللوح المحفوظ قبل أن تخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، وسيكون على هذا الوضع مهما عملت.

---

(٥٨١) سورة يوسف، الآية ٢١.

ولهذا قال: « ولكن قلْ: قدَرُ اللهِ»، أي هذا قدَرُ اللهِ، أي تقدير الله وقضاؤه، وما شاء الله - عزَّ وجلَّ - فعله ﴿ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ ﴾(٥٨٢) .

لا أحد يمنعه أن يفعل في ملكه ما يشاء، ما شاء فعل - عزَّ وجلَّ - ولكن يجب أن نعلم أنه سبحانه وتعالى لا يفعل شيئًا إلا لحكمة خفيت علينا أو ظهرت لنا، والدليل على هذا قوله تعالى: ﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾(٥٨٣) .

فبيَّن أن مشيئته مقرونة بالحكمة والعلم، وكم من شيءٍ كره الإنسان وقوعه، فصار في العاقبة خيرًا له، كما قال تعالى:﴿ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ ﴾(٥٨٤) .

ولقد جرت حوادث كثيرة تدل على هذه الآية، من ذلك: قبل عدة سنوات أقلعت طائرة من الرياض متجهة إلى جدة، وفيها ركاب كثيرون، يزيدون عن ثلاثمائة راكب، وكان أحد الركاب الذين سجلوا في هذه الطائرة في قاعة الانتظار، فغلبته عيناه حتى نام، وأعلن عن إقلاع الطائرة، وذهب الركاب وركبوا، فإذا بالرجل يستيقظ بعد أن أغلق الباب، فندم ندامة شديدة؛ كيف فاتته الطائرة؟ ثم إن الله قدر بحكمته أن تحترق الطائرة وركابها، فسبحان الله! كيف نجا هذا الرجل؟ كره أنه فاتته الطائرة، ولكن كان ذلك خيرًا له.

فأنت إذا بذلت الجهد، واستعنت بالله، وصار الأمر على خلاف ما تريد، لا تندم، ولا تقل: لو أني فعلت لكان كذا، إذا قلت هذا انفتح عليك من الوساوس والندم والأحزان ما يكدر عليك الصفو، فقد انتهى الأمر وراح، وعليك أن تسلم الأمر للجبار عزَّ وجلَّ قل: قدر الله وما شاء فعل.

---

(٥٨٢) سورة هود، الآية ١٠٧.

(٥٨٣) سورة الإنسان، الآية ٣٠ .

(٥٨٤) سورة البقرة ، الآية ٢١٦.

والله، لو أننا سرنا على هدي هذا الحديث لاسترحنا كثيرًا، لكن تجد الإنسان منا، أولًا: لا يحرص على ما ينفعه، بل تمضي أوقاته ليلًا ونهارًا بدون فائدة، تضع عليه سدى.

ثانيًا :إذا قدر أنه اجتهد في أمر ينفعه، ثم فات الأمر، ولم يكن على ما توقع، تجده يندم، ويقول: ليتني ما فعلت كذا، ولو أني فعلت كذا لكان كذا، وهذا ليس بصحيح، فأنت أدّ ما عليك، ثم بعد هذا فوض الأمر لله عزَّ وجلَّ.

فإذا قال قائل: كيف احتج بالقدر؟ كيف أقول: قدَرُ اللهِ وما شاء فعل؟

والجواب أن نقول: نعم؛ هذا احتجاج بالقدَر، ولكن الاحتجاج بالقدر في موضعه لا بأس به، ولهذا قال الله لنبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿ اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا ﴾(٥٨٥)

فبيَّن له أن شركهم بمشيئتِه، والاحتجاج بالقدر على الاستمرار في المعصية هذا حرام لا يجوز، لأنَّ الله قال: ﴿ سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلا آبَاؤُنَا وَلا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا ﴾(٥٨٦)

لكن الاحتجاج بالقدر في موضعه هذا لا بأس به، فإنَّ النبي - عليه الصلاة والسلام - دخل ذات ليلة على عليّ بن أبي طالب وفاطمة بنت محمد - عليه الصلاة والسلام - فوجدهما نائمين، فقال لهما: « ما منعكما أنْ تقوما؟» يعني تقوما تتهجدان، فقال علي: يا رسول الله، إن أنفسنا بيد الله؛ لو شاء أن نقوم لقمنا، فخرج النبي عليه الصلاة والسلام وهو يضرب على فخذيه، ويقول: ﴿ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴾(٥٨٧) .

---

(٥٨٥) سورة الأنعام ، الآيات ١٠٦- ١٠٧.

(٥٨٦) سورة الأنعام، الآيات ١٤٨.

(٥٨٧) سورة الكهف، الآية ٥٤.

هذا جدال لكنَّ احتجاج علي بن أبي طالب في محله؛ لأن النائم ليس عليه حرج، فهو لم يترك القيام وهو مستيقظ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «رُفِع القلمُ عن ثلاثةٍ»(٥٨٨)، ولا يبعد أنَّ الرسول - عليه الصلاة والسلام - أراد أن يختبر علي بن أبي طالب: ماذا يقول في الجواب؟ وسواء كان ذلك أم لم يكن. فاحتجاج علي بالقدر هنا حجة وذلك لأنه أمر ليس باختياره؛ هل النائم يستطيع أن يستيقظ إذا لم يوقظه الله؟... لا إذن هو حجة.

فالاحتجاج بالقدَر ممنوع إذا أراد الإنسان أن يستمر على المعصية ليدفع اللوم عن نفسه، نقول مثلًا: يا فلان، صل مع الجماعة، فيقول: والله لو هداني الله لصليت، فهذا ليس بصحيح. يقال لآخر: أقْلِع عن حلق اللحية، يقول: لو هداني الله لأقلعتُ، وأقلع عن الدخان، يقول: لو هداني الله لأقلعت، فهذا ليس بصحيح؛ لأن هذا يحتج بالقدر ليستمر في المعصية والمخالفة.

لكن إن وقع الإنسان في خطأ وتاب إلى الله، وأناب إلى الله وندم وقال: إن هذا الشيء مقدر علي، ولكن أستغفر الله وأتوب إليه؛ نقول هذا صحيح، إن تاب واحتج بالقدر فليس هناك مانع"(٥٨٩).

---

(٥٨٨) رواه الترمذي، رقم: (١٤٢٣) وأبو داود، رقم: (٤٣٩٨) وصححه الألباني في مشكاة المصابيح، رقم: (٣٢٨٧) وصحيح الجامع ، رقم: (٣٥١٢) .

(٥٨٩) شرح رياض الصالحين، (٢ /٧٦ - ٨٦) .

سر الحياة السعيدة وكيف ذلك؟

مفهوم الحياة قد تتساءل عن ماهية الحياة، وما السبب وراء وجودك فيها، وكيف يمكنك أن تعيش فيها بسعادة دون وجود أي منغصات، في البداية يمكننا تعريف الحياة بمعناها العلمي هي الحالة التي تميّز الكائنات الحيّة عن غيرها من الكائنات غير العضوية والكائنات الميتة ويتجلّى مفهوم الحياة من خلال عملية التمثيل الغذائي والتكاثر وقوة التكيّف مع البيئة بواسطة التغييرات التي تنشأ داخل الكائن الحي، وترتبط الحياة بالموت فكل شيء حي سيموت في النهاية، فالحياة فترة زمنية مؤقتة يعيشها الإنسان لهدف معين ويختلف هدف الإنسان من حياته بناءً على خلفيته وبيئته، ومهما كان هدفك في الحياة عليك أن تعيشها بسعادة وهناء وتسعى لتحقيق أهداف سامية ونبيلة ترضى عنها، وتؤثر بعض العوامل على مسيرتك في الحياة كالبيئة والتربية والعائلة والأصدقاء، ولكن عليك أن تضع الاخلاق والقيم والمبادئ الحسنة نصب عينيك أثناء مسيرتك في هذه الحياة، إذ لديك القدرة على الحكم على الخير من الشر وعلى الصواب من الخطأ وتمييز التصرفات القانونية والأخلاقية من التصرفات غير الأخلاقية أو غير القانونية والتي ستمكنك من عيش حياة سعيدة وآمنة ومنتجة تفيدك وتفيد مجتمعك وأسرتك، فالتعايش السلمي هو سر الحياة السعيدة.

كيف تعيش حياتك بطريقة سعيدة؟

قد تسعى إلى عيش حياة سعيدة وقد لا تعرف الطريقة الأنسب لذلك ولكن السعادة تأتي في أبسط الأمور في الحياة ومن النصائح التي تجعلك سعيدًا في حياتك ركّز على الإيجابيات: أعد ترتيب أفكارك ،وبدل أفكارك السلبية بأخرى إيجابية لتعثر على السعادة طويلة المدى، ولهذا خصص دقيقتين من يومك لتفكّر بالأمور الإيجابية في حياتك وافعل هذا ثلاث مرات في اليوم لمدة ٤٥ يومًا وسيبدأ دماغك بالتفكير الإيجابي بشكل تلقائي دون وعيٍ منك.

احتفل بالانتصارات الصغيرة: ستواجه الفشل والنجاح في حياتك ولكنك غالبًا ما تتجاهل الانتصارات الصغيرة التي تحدث في حياتك وهذا أمر خاطئ، احتفل بأبسط وأصغر الإنجازات والانتصارات التي تقوم بها.

وازن بين عملك وحياتك: يقضي معظمنا أكثر ساعات يومه ومعظم أيام حياته في العمل ومع أن العمل مهم في الحياة إلا أنه عليك أن توزان بين عملك وحياتك الشخصية لتحصل على السعادة ،فمارس أنشطتك واهتماماتك في أوقات الفراغ أو في أيام العطلة، واقضِ وقتًا اطول مع عائلتك وأصدقائك، وخصص وقتًا لك افعل به ما يحلو لك لتستمتع بالحياة.

كن مبدعًا: أظهرت الدراسات أن الانخراط في الأنشطة الإبداعية بشكل منتظم يجعل الإنسان أكثر سعادة، وأولئك الأشخاص الذين يستخدمون خيالهم ويبدعون في مجال ما لديهم المزيد من الحماس ومن المرجح أنهم أكثر سعادة من غيرهم، ولهذا مارس بعض الأنشطة الإبداعية التي تحفز خيالك .

تقبّل النقص: لا يوجد إنسان كامل على وجه الأرض كلّ منا لديه نقص ،وإذا أردت أن تكون سعيدًا عليك أن تقبل نقصك لأنه جزء منك وجزء من حياتك وتجنب إخضاع نفسك لمعايير تعدها مثالية سواء كانت من حيث الشكل أو

الفكر أو أي شيء آخر، هذا لا يعني أن الإنسان لا يطوّر من نفسه ،فإذا كان لديك نقاط ضعف في مجال ما يجب أن تعمل جاهدًا على تحسينها ولكن من أجل نفسك لا لأجل الآخرين.

افعل ما تحب: يصعب عليك أن تشعر بالسعادة إذا كنت لا تحب عملك وستقضي أيامًا وسنوات طويلة في شيء لا تحبّه ولهذا افعل الأشياء التي تحبّها أنت، ادرس التخصص الذي تحبه واعمل بالمكان والمجال الذي يثير اهتمامك وحماسك لتشعر بالرضى عن نفسك وحياتك وبالتالي ستشعر بالسعادة حتمًا.

عش اللحظة: تدور أفكار الإنسان حول الماضي والمستقبل وقد يندم على ما مضى ويفكّر كثيرًا في المستقبل ،وبالطبع هذه الأفكار لا تجلب السعادة ،ولهذا عليك أن تعيش اللحظة الراهنة استمتع بها لأنها ستمضي ولن تعود.

كوّن علاقات ذات مغزى: ترتبط السعادة بالحب والصداقة والمجتمع فلا يستطيع الإنسان أن يعيش وحيدًا ويكون سعيدًا، لأن الإنسان بحاجة إلى العلاقات والتفاعل مع الآخرين، ولهذا عليك أن تحيط نفسك بالأشخاص الإيجابيين الذين يقدمون الدعم لك، ويبقون معك في رحلة الحياة فستكون أكثر سعادة عندما يكون لديك علاقات اجتماعية ذات مغزى تضفي معنى على حياتك. ما هي أسباب الفشل في الحياة وكيف يمكن تجنّبها؟

الفشل والإخفاق جزء لا يتجزأ من الحياة ولا وجود لنجاح دون الفشل، فالفشل جزء أساسي من حياتك، ستواجه حتمًا ولكن ستكون أكثر سعادة عندما تستطيع أن تتجاوزه وتتعلّم منه، وفيما يلي بعض أسباب الفشل التي قد تواجهك في الحياة وكيف يمكنك التعامل معها لتجاوزها:

أولاً: انعدام الثبات: قد تفشل ليس بسبب افتقارك للمعرفة أو الموهبة وإنما لأنك استسلمت، لذا ذكّر نفسك دومًا بالمثابرة والمقاومة وبأنه عليك أن تجرّب أساليب جديدة فالإصرار عامل مهم في النجاح ولكن لا تصرّ على نفس الإجراءات لأنها ستؤدي إلى نفس النتائج وإنما غير أسلوبك في حل المشكلات وانظر إلى جهودك السابقة وطوّرها لتصبح أكثر ملاءمة لهدفك.

ثانياً: عدم القناعة: من المعروف أن القناعة كنزًا لا يفنى، فالأشخاص غير القنوعين في حياتهم وبما يملكون لن يجدوا السعادة في حياتهم أبدًا ولن يستطيعوا تحقيق أهدافهم أو تجنب الوقوع والفشل لأنهم يفتقرون إلى الثقة والشجاعة، وإذا كنت غير قنوع عليك أن تقرر ما هو المهم في حياتك وما الشيء الذي يستحق القيام بخطوة جديّة لأجله وأظهر شغفك في كل شيء تفعله لتحقق النجاح، ولا بأس من التعاون مع الآخرين لتبادل الخبرات.

البحث عن المبررات: قد تلجأ إلى البحث عن مبررات لفشلك وإلى اختلاق الكثير من الأعذار حول عدم وصولك إلى النجاح، غير وجهة نظرك إذا كنت تبرر كل إخفاقاتك ولا تفكر بكل محاولة على أنها فاشلة لأن قلة من الناس مَن ينجحون من المرة الأولى فالنجاح لا يتحقق إلا من خلال المحاولة والجهد المتكرر ولهذا ابذل قصارى جهدك لتعلم ما حدث وكيف تستطيع تطويره لتحقق النجاح.

ثالثاً: عدم الانضباط: الانضباط والالتزام أساس النجاح في الحياة ولن تحقق أي شيء له قيمة ما لم تكن منضبطًا، والانضباط هو التضحية وضبط النفس وتجنب الإغراءات والانحرافات والاستمرار في التركيز على الهدف المنشود، وإذا كنت تفتقر للانضباط عليك أن تحدد أهدافك وتكون واقعيًا وكن واضحًا بشأن ما يرضي أهدافك، ولا تأخذ التفاصيل السطحية بعين الاعتبار.

رابعاً: ضعف احترام الذات: يعدّ ضعف احترام الذات من أبرز أسباب الفشل في الحياة ،فعليك أن تقدّر نفسك وتحترمها وأن تعزز ثقتك بها ،ولا تتوقف عن المحاولة مهما فشلت في البداية وفكر بنفسك على أنك شخص يسعى لتحقيق هدف ما لتكون أكثر قدرة على الاحتفاظ بصبرك ومثابرتك على المدى الطويل.

مَعْلومَة يرتبط الشعور بالسعادة بصحتك النفسية، وتوجد علاقة قوية بينهما فعندما تكون سعيدًا ستكون صحتك النفسية جيدة وستكون علاقاتك أفضل؛ إذ يمكنك تكوين صداقات بسهولة أكثر من غيرك، كما أنك ستكون أكثر قدرة على العثور على مزيد من النجاح في حياتك، فالمصادر التي تساهم في السعادة هي نفسها التي توفر لك حاجزًا يحميك من الأمراض النفسية، إذ اكتشفت الدراسات الحديثة وجود ارتباط إيجابي قوي بين السعادة والصحة النفسية ،وتصبح صحتك النفسية أفضل كلما أضفت متغيرات جديدة ذات علاقة بالسعادة إلى حياتك، فهذه العلاقة الوثيقة سبب كافي لجعل السعادة أولوية في حياتك وحياة أسرتك ،وتستحق مزيدًا من الجهد لتحقيقها والشعور بها.

من أسـباب الحـياة السعيدة:

١- الهدى والإيمان ، والاستقامة على أَمر الرحمن ، و مخالفة الهوى والشيطان ، ومجانبة الكفر والفسوق والعصيان .

٢- العلم النافع فانه يشرح الصدر، ويعظم الآجر، ويرفع الذكر، ويحط الوزر، وهو من اعظم الذخر، وبركته العمل به في التصديق والنهى والآمر.

٣- كثرة الاستغفار والتوبة من الذنوب، وإدمان قرع باب علام الغيوب، وسؤله الفتح على القلوب، فإنه التواب على من يتوب.

٤- دوام ذكره على كل حال، في الحل والترحال، والثبات والانتقال، واللهج بيا ذا الجلال، مع موافقة القلب واللسان عند نطق هذه الأقوال.

٥- الإحسان إلى العباد، ونفع الحاضر والباد، وتفقد الفقراء، أهل البؤس والإجهاد، وقضاء حوائجهم بالإمداد ، وإدخال الفرح عليهم والإسعاد .

٦- شجاعة القلب في الأزمات ، وثباته في الملمات ، وقوته عند الكربات، وعدم انزعاجه للواردات ، ومجانبة قلقه في المصيبات .

٧- تصفية القلب من الأحقاد ، وتطهيره من الفساد كالغل وحسد الحساد ، وترك الانتقام من العباد ، والحلم على أهل العناد .

٨- اطراح فضول النظر والكلام ، والخلطة والمنام ، والتوسط في الأمور على الدوام ، ومجانبة الإسراف والتبذير في كل أمر هام .

٩- محاربة الفراغ ، والقناعة من الدنيا بالبلاغ ، وعدم الروغان مع من راغ ، ومجافاة كل طاغ وباغ .

١٠- العيش في حدود اليوم الحاضر ، ونسيان أمس الدابر، وعدم الاشتغال بالغد لأنه في حكم المسافر ، فأمس ميت ، واليوم مولود ، وغداً للناظر .

١١-النظر إلى من هو دونك في المواهب ، من الصحة والعلم والمكاسب ، وكيف أنك فوقهم بفضل الواهب وأن عندك ما ليس عندهم من المطالب .

١٢- نسيان ما مضى من الأقدار ، والغفلة عما سبق من الأخطار ، وتجاهل ما سبق في الزمان وصار، فلا تفكر فيه ما تعاقب الليل والنهار ، فهو كالزجاجة التي أصابها الانكسار .

١٣- وإن حصلت نكبة فقدر أسوأ ما يكون ، ثم وطن نفسك على احتمالها في سكون ،واجعل التوكل على الله والركون ، فإنه كفاك ما كان وسيكفيك ما يكون.

١٤- ترك التوقع للأزمة ، ولا تكن فيما يخاف منه في غمة ، فمن صدق مع ربه كفاه ما أهمه ، وما تدري لعل هذا اليوم لا تتمه .

١٥- وأعلم أن الحياة قصيرة ، فلا تقصرها بالأفكار الخطيرة ، والهموم المثيرة ، والأحزان الكثيرة ، فإن الحياة حياة الفرح والسرور ولله الخيرة .

١٦- وإنْ أَصابك مكروه فقارن بين ما بقي وما فات ، لتجد أَنّك في نعم وخيرات ، وأَنّه بقيت لك مسرات ، وأَن ما عندك يزيد على ما فقدته مرات.

١٧- ولا تخف من كلام الحسّاد ، ولو كان غاية في الخبث والفساد ، فما يُحْسَدُ إلا من ساد ، وليس عليك من ضرر ، إنّما الضرر على أُولئك الأوغاد ، وسيكفيهم الله إن الله بصير بالعباد .

١٨- واجعل أفكارك فيما يفيد ، واجعل نصب عينيك كل أَمر حميد . وإِن حسنت أَفكارك فأَنت سعيد ، لأنك من صنعها كما يصنع الحديد .

١٩- ولا تؤخَّر عمل اليوم إلى غد ، فتتراكم عليك الأَعمال وتجهد ، فلكل يوم عمل محدد ، فكن مع كل يوم مولود أَمجد .

٢٠- وابدأ بالأعمال بالأَهم ، وجوده حتى يتم ، وعليك بالكيف لا بالكم ،واستخر الله قبل أن تهم ن فإنّ العناية تَمَّ .

٢١- وتخيّر من الأَعمال ما يناسبك ، وصاحب من على التقوى يصاحبك ، فإنّ صاحبك ساحِبُك ، واعلم أَن هناك رقيباً يحاسبك .

٢٢- وتحدّث بالنعم الباطنة والظاهرة ،والمواهب الباهرة، فإنّ التحدّث بها يطرد الهموم القاهرة، ويعيد السعادة النافرة.

٢٣- وعامل الزوجة والولد والأَقارب برؤية المناقب، ونسيان المثالب، فما من أَحد إلا فيه معاتب، ولو تركت كل ذي عيب ما وجدت من تصاحب، يطيب جانب ويسوء جانب.

٢٤- وعليك بكثرة الدُّعاء، والفأل وحسن الرجاء، ولا تيأس مهما عظم البلاء، واشتدت الظلماء، وكثر الأعداء، فإنَّ الأَمر بيد رب الأَرض والسماء.

٢٥- ولا تخف من الثقلين، ولو ملأوا الخافقين، فإنّهم لن يضرونك إلا بإذن رب العالمين، فنواصيهم في قبضته وهو ذو الكيد المتين.

٢٦- وكل شيء بقضاء وقدر، فاصبر عند نزول المصاب أو فذر، فكل شيء في أُم الكتاب مسطر، وإذا وقع القضاء حار الفكر، وعمي البصر.

٢٧- ورب مكروه عندك نعمة، نجاك الله به من نقمة، وأَحلك به صهوة القمة، فلا تكره ما قدّره الله وأَتمه.

٢٨- وتأَسّى بالمصابين، ففي العالم آلاف المنكوبين، والناس بالكوارث مطلوبين، ومن النعم مسلوبين، وبالأَقدار مغلوبين.

٢٩- وكل هذا الخلق يشكو دهره ، ويبكي عصره، ويندب أَمره، وقد أَنهى بالهم عمره، فاعلم أن مع كل تمرة جمرة.

٣٠- واعلم أَن اليسر مع العسر، ومع الصبر النصر، وأَن الغنى بعد الفقر، والعافية بعد الضر، والدهر حلو ومر.

٣١- وعليك بالصبر الجميل، وتفويض الأمر إلى الجليل، والرضا بالقليل، والعمل بالتنزيل، والاستعداد ليوم الرحيل.

٣٢- وأعلم أن فضول العيش أشغال ، وكثرة المال أغلال، وإقبال الدنيا هموم وأثقال، وأن خير النعيم راحة البال.

٣٣- وكوز ماء ورغيف، على بساط نظيف، مع كتاب شريف، أفضل من ملك صنعاء إلى القطيف، وأهنأ من سكنى القصر المنيف، وأين الملوك والدول يا لطيف.

٣٤- ومن وقع في عرضك وفجر، وأسمعك ما يوجب الضجر، فتجاهله ولا تجبه حتى يندحر، والكلب لا يملأ فمه إلا الحجر.

٣٥- وما رأيت مثل العزلة، يملك فيها العبد دينه وعقله، ويرتاح من كل سفيه وأبله، فإن أكثر الناس لا يساوي بقلة، فالزم بيتك فلن تجد مثله .

- ولا يعجبك إقبال الناس إليك، فإنهم مع الدهر عليك، وما أتوا إلا لمرادهم فيك، وما مضى من التجارب يكفيك.

٣٦- والبس الملابس البيض النقية وعليك بالروائح الزكية، ومارس الرياضة البدنية، وقلل من شرب المنبهات الردية، وادمن الاوراد الشرعية.

٣٧- وردد دعوة ذي النون، وأكثر ذكر المنون ، وهون الأمر يهون ، ولا ترضى في الدين الدنية ، وارض من الدنيا بالدون ، وسبحان ربك رب العزة عما يصفون.

السكينة والهدوء:

من أراد السكون والهدوء، ومفارقة الأحزان والهموم والغموم والتشاؤم ،فليقرأ آيات السكينة مع التدبر والخشوع ،وحضور القلب ،وطلب الشفاء من الشافي جل جلاله .

تعريف السكينة:

السكينة: هي الطمأنينة التي يلقيها الله في قلوب عباده، فتبعث على السكون والوقار، وتثبت القلب عند المخاوف، فلا تزلزله الفتن، ولا تؤثر فيه المحن، بل يزداد إيماناً ويقيناً.

وقد ذكرها الله عز وجل في ستة مواضع من كتابه الكريم، كلها تتضمن هذه المعاني من الجلال والوقار الذي يهبه الله تعالى موهبة لعباده المؤمنين، ولرسله المقربين.

يقول ابن القيم رحمه الله في شرح منزلة "السكينة" من منازل السالكين إلى الله:" هذه المنزلة من منازل المواهب، لا من منازل المكاسب، وقد ذكر الله سبحانه السكينة في كتابه في ستة مواضع:

الموضع الأولى: قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾(٥٩٠).

الموضع الثاني: قول المولى تبارك وتعالى: ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾(٥٩١) .

الموضع الثالث: قوله تعالى: ﴿ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا﴾(٥٩٢) .

---

(٥٩٠) سورة البقرة ، الآية ٢٤٨.

(٥٩١) سورة التوبة، الآية ٢٦.

(٥٩٢) سورة التوبة ، الآية ٤٠.

الموضع الرابع: قوله تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ﴾ (٥٩٣)

الموضع الخامس: قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾(٥٩٤) .

الموضع السادس: قوله تعالى: ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٥٩٥) .

وكان شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله إذا اشتدت عليه الأمور: قرأ آيات السكينة، وسمعته يقول في واقعة عظيمة جرت له في مرضه تعجز العقول عن حملها، من محاربة أرواح شيطانية ظهرت له إذ ذاك في حال ضعف القوة، قال: فلما اشتد علي الأمر قلت لأقاربي ومن حولي: اقرأوا آيات السكينة، قال: ثم أقلع عني ذلك الحال، وجلست وما بي قَلَبَة(٥٩٦).

وقد جربت أنا أيضاً قراءة هذه الآيات عند اضطراب القلب مما يرد عليه، فرأيت لها تأثيراً عظيماً في سكونه وطمأنينته.

أصل السكينة:

وأصل السكينة هي: الطمأنينة والوقار والسكون، الذي ينزله الله في قلب عبده عند اضطرابه من شدة المخاوف، فلا ينزعج بعد ذلك لما يرد عليه، ويوجب له زيادة الإيمان، وقوة اليقين، والثبات، ولهذا أخبر سبحانه عن إنزالها على رسوله، وعلى المؤمنين في مواضع القلق والاضطراب كيوم الهجرة، إذ هو وصاحبه في الغار، والعدو فوق رءوسهم، لو نظر أحدهم إلى ما تحت قدميه لرآهما، وكيوم

---

(٥٩٣) سورة الفتح ، الآية ٤.

(٥٩٤) سورة الفتح ، الآية ١٨.

(٥٩٥) سورة الفتح ، الآية ٢٦.

(٥٩٦) مدارج السالكين (٢/ ٤٧١).

حنين حين ولوا مدبرين من شدة بأس الكفار لا يلوي أحد منهم على أحد، وكيوم الحديبية حين اضطربت قلوبهم من تحكم الكفار عليهم، ودخولهم تحت شروطهم التي لا تحملها النفوس، وحسبك بضعف عمر رضي الله عنه عن حملها، وهو عمر، حتى ثبته الله بالصدِّيق رضي الله عنه.

وفي الصحيحين عن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال:

"رَأَيْتُ النبيَّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ يَومَ الخَنْدَقِ وهو يَنْقُلُ التُّرَابَ حتَّى وارَى التُّرَابُ شَعَرَ صَدْرِهِ، وكانَ رَجُلًا كَثِيرَ الشَّعَرِ، وهو يَرْتَجِزُ برَجَزِ عبدِ اللَّهِ اللَّهُمَّ لَوْلَا أَنْتَ ما اهْتَدَيْنَا... ولَا تَصَدَّقْنَا ولَا صَلَّيْنَا فَأَنْزِلَنْ سَكِينَةً عَلَيْنَا... وثَبِّتِ الأَقْدَامَ إنْ لَاقَيْنَا إنَّ الأَعْدَاءَ قدْ بَغَوْا عَلَيْنَا... إذَا أَرَادُوا فِتْنَةً أَبَيْنَا يَرْفَعُ بهَا صَوْتَهُ "[٥٩٧] .

وفي صفة رسول الله في الكتب المتقدمة: إني باعث نبياً أمياً، ليس بفظ، ولا غليظ، ولا صخاب في الأسواق، ولا متزين بالفحش، ولا قوال للخنا، أسدده لكل جميل، وأهب له كل خلق كريم، ثم أجعل السكينة لباسه، والبر شعاره، والتقوى ضميره، والحكمة معقوله، والصدق والوفاء طبيعته، والعفو والمعروف خلقه، والعدل سيرته، والحق شريعته، والهدى إمامه، والإسلام ملته، وأحمد اسمه[٥٩٨].

فمن قرأ آيات السكينة في مواقف الخوف والفزع، أو في مواقف الشبهات والفتن، أو عند الهم والحزن، أو عند اشتداد وسواس الشيطان، يقرها رجاء أن يثبت الله قلبه بما ثبت به قلوب المؤمنين فلا حرج عليه، ورجي أن يكون له ذلك، كما كان لشيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم، ولكن على ألا ينسب استحباب قراءة هذه الآيات ـ وبهذه الكيفية ـ إلى الشريعة، ولا يتخذه عبادة تشبه عبادة الأذكار والأدعية الشرعية الثابتة في الكتاب والسنة.

---

(٥٩٧) رواه البخاري، رقم: (٣٠٣٤)، ومسلم (١٨٠٣.)

(٥٩٨) مدارج السالكين" (٢/٥٠٢-٥٠٤).

وصلنا إلى نهاية كتابنا المبارك المفيد الذي يحمل في طياته التفاؤل:

ولنكرر القول التفاؤل هو حسن الظن بالله ، والتفاؤل توقع الخير ، والتفاؤل ألا تسمح للمصائب أن تأخذك إلى اليأس ، التفاؤل أن ترى ما عند الله ، وأن تكون واثقاً بما في يدي الله أوثق منك بما في يديك ، التفاؤل أن تكون غنياً بالله ، التفاؤل أن تنقل اهتماماتك إلى الدار الآخرة ، فالدنيا عندئذٍ لا تعنيك ، التفاؤل أن ترى الهدف البعيد ، فإذا حالت عقبات دونه وأنت مُصر عليه فأنت متفائل ، والتفاؤل صفة العظماء ، والتفاؤل صفة المؤمنين ، والتفاؤل صفة الذين عرفوا أن الأمر بيد الله ، صفة الموحدين ، فالتفاؤل توقع الخير ، والتفاؤل حسن الظن بالله ، والتفاؤل أن تكون محصناً من أن يأخذك اليأس إلى مكان بعيد ،التفاؤل من صفات المؤمنين ، أرشدنا القرآن الكريم إلى أن التفاؤل من صفات المؤمنين .

التفاؤل أساسه الإيمان و هو ثمرة من ثمراته

المؤمن متفائل حتماً ، لأنه يعلم علم اليقين أن الأمر بيد الله ، وأن الله قوي ،وأن الله في أية لحظة بيده المعادلات كلها ، بيده موازين القوى ، وأن الأمر يرجع إليه ، وما أمرك الله أن تعبده إلا بعد أن طمأنك فقال :

﴿ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ﴾[٥٩٩] .

﴿ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾[٦٠٠] .

---

(٥٩٩) سورة هود ، الآية ١٢٣ .

(٦٠٠) سورة الزمر ، الآية ٦٢ .

﴿ وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ ﴾[٦٠١] .

﴿ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَداً ﴾[٦٠٢] .

ما دام الله عز وجل ، صاحب الأسماء الحسنى ، هو الرحيم ، هو العدل ، هو القوي ، هو الغني ، هو الحنان ، هو المعطي ، ما دام الأمر بيد الله عز وجل قال :﴿ إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾[٦٠٣]

ألزم ذاته العلية إلزاماً ذاتياً في الاستقامة ، هو العدل ، وسعت رحمته كل شيء ، لا يمكن أن يجتمع إيمان بالله مع التشاؤم ، إيمان بالله مع اليأس ، إيمان بالله مع السوداوية ، لذلك قال تعالى :﴿ إِنَّهُ لَا يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴾[٦٠٤] .

أي كأن التشاؤم من صفات الكفار ، وكأن التفاؤل من صفات المؤمنين .

الإيمان بالله أثمر التفاؤل ، وعدم الإيمان به يؤدي إلى التشاؤم ، إنسان لا يرى أن الله بيده كل شيء ، يرى قوى مخيفة ، طاغية ، معتدية ، حاقدة ، جبارة ، لا ترحم ، وأنه ضعيف أمامها ، طبعاً تحصيل حاصل أن يكون متشائماً ، تحصيل حاصل أن يسحق نفسياً ، أن يحس بالإحباط ، كل مشاعر الإحباط ، والخوف الشديد القاتل ، واليأس القاتل ، بسبب ضعف الإيمان .

مثلاً لا أعتقد أن هناك حالة أصعب من أن يكون عدواً قوياً ، حاقداً ، ظالماً ، متغطرساً ، وراءك بكل قوته ، وأنت مع بعض الأشخاص قلة قليلة لا تملكون شيئاً ، والبحر أمامكم .

﴿ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ * قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴾[٦٠٥]

---

(٦٠١) سورة الزخرف ، الآية ٨٤ .

(٦٠٢) سورة الكهف ، الآية ٢٦ .

(٦٠٣) سورة هود ، الآية ٥٦ .

(٦٠٤) سورة يوسف ، الآية ٨٧ .

(٦٠٥) سورة الشعراء ، الآية ٦٢.

لا يعقل أن يكون النبي عليه الصلاة والسلام وهو في الغار ، وقد وصلوا إليه ، وقد وضعت مئة ناقة لمن يأتي به حياً ، أو ميتاً ، وأن يبقى ثابتاً ، واثقاً من الله عز وجل ، قال يا رسول الله ، في رواية : لقد رأونا ، وفي رواية :((لو أن أحدهم نظر إلى قَدَمْيه أبْصَرَنَا تحت قدميه ،فقال : يا أبا بكر ، ما ظنك باثنين الله ثالثهما ؟))[٦٠٦] .

طبعاً هذه صفات الأنبياء ، لكن لكل مؤمن من هذه الصفات نصيب بقدر إيمانه ، فأنت حينما ترى أن الله سبحانه وتعالى حينما يقول :﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾[٦٠٧] .

هذه آية تملأ القلب تفاؤلاً ، أنت إنسان مستقيم ، وقاف عند حدود الله ، دخلك حلال ، بيتك إسلامي ، عملك إسلامي ، لا تعصي الله ، لا تكذب ، لا تغش المسلمين ، لم تبنِ مجدك على أنقاضهم ، ولا حياتك على موتهم ، ولا غناك على فقرهم ، ولا أمنك على خوفهم ، ولا عزك على ذلهم ، إنسان تخشى الله ، لا بدّ لك من معاملة خاصة ، لا بدّ لك من أن تكون متميزاً عن بقية الناس .

إنّي صنعتُ من التّفاؤلِ مَركباً وَشددتُ من عزمِ اليَقينِ شراعَه.
أبْحرتُ فيه.ِ علَى الإلهِ توكُّلي مَا خابَ من للّـه مدّ ذراعَـــه

آيات من القرآن الكريم تثبت أن الإيمان والتوحيد يورثا التفاؤل :

لذلك الإيمان والتوحيد يورثا التفاؤل ، والشواهد كثيرة جداً ، هذه الآية أوضح آية:

---

(٦٠٦) رواه البخاري، رقم: (٣٦٥٣)، ومسلم، رقم: (٢٣٨١)

(٦٠٧) سورة الجاثية، الآية ٢١ .

﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾(٦٠٨) .

﴿ أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِناً كَمَنْ كَانَ فَاسِقاً لَا يَسْتَوُونَ ﴾(٦٠٩) .

﴿ أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ * مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾(٦١٠) .

﴿ أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْداً حَسَناً فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴾(٦١١) .

﴿ قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا ﴾(٦١٢) .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ، نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴾(٦١٣) .

القرآن الكريم يملأ القلب تفاؤلاً قال الله عز وجل:﴿ فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴾(٦١٤) ﴿ وَكَانَ حَقّاً عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٦١٥)﴿ وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴾(٦١٦) .

﴿ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾(٦١٧) .

الآيات كثيرة جداً

---

(٦٠٨) سورة الجاثية، الآية ٢١ .

(٦٠٩) سورة السجدة، الآية ١٨.

(٦١٠) سورة القلم ، الآيات ٣٤-٣٥ .

(٦١١) سورة القصص ، الآية ٦١ .

(٦١٢) سورة التوبة ، الآية ٥١ .

(٦١٣) سورة فصلت ، الآيات ٣٠-٣١ .

(٦١٤) سورة طه ، الآية ١٢٣ .

(٦١٥) سورة الروم و الآية ٤٣.

(٦١٦) سورة الصافات ، الآية ١٧٣ .

(٦١٧) سورة غافر ، الآية ٥١ .

﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً ﴾[٦١٨] ﴿ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً ﴾[٦١٩] .

هذه آيات في كتاب الله ، هذه وعود رب العالمين ، وزوال الكون أهون على الله من ألا يحقق وعوده للمؤمنين .

ولقد بلغت من التفاؤل أوجه وقلائل من يفعلون قلائل

حتى تفاعيل البحور قرأتهـــا متفائل متفائل متفائـــل

المؤمن دائماً متفائل و لا يسمح لشيء أن يسحقه أو يشلّ قدراته :

كيف لا يكون المؤمن متفائلاً وقد يرى أن الله سبحانه وتعالى معه ؟

﴿ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾[٦٢٠] .

أي الله معهم بالنصر ، والتأييد ، والحفظ ، والتوفيق ، هذه معية خاصة ، لذلك المؤمن قطعاً متفائل ، ولا يسمح لمصيبة أن تسحقه ، ولا يسمح لمصيبة أن تأخذه إلى اليأس ، ولا يسمح لمصيبة أن تشل قدراته ، ولا يسمح لمصيبة أن تجعله سوداوياً متشائماً ، لكن ضعف الإيمان يودي إلى التشاؤم ، ضعف الإيمان يودي إلى السوداوية ، واليأس .

ضعف الإيمان يودي إلى السوداوية واليأس ، ولكن لايمكن لإنسان أصابه شيء من اليأس ، أن يصل به يأسه إلى الكفر ؟.

الإنسان يتشاءم بقدر ضعف إيمانه ويتفاءل بقدر قوة إيمانه :"التشاؤم حالة مؤلمة كن متفائلا ترى الصباح مشرقاً"

وتضيق دنيانا فنحسب أننا سنموت يأسا أو نموت نحيبا

---

(٦١٨) سورة النور ، الآية ٥٥ .

(٦١٩) سورة النساء ، الآية٤١ .

(٦٢٠) سورة الانفال ، الآية ١٩.

وإذا بلطف الله يهطل فجتـــأة يربي من اليبس الفتات قلوبا

قل للذي ملأ التشاؤمُ قلبـــه ومضى يضيق حـــــولنا الآفاقا

سر السعادةِ حسن ظنك بالذي خلـــق الحياةَ وقسّـــم الأرزاقا

فهرس الموضوعات

التفاؤل.....١
بوابة النجاح الكبرى.....١
المقدمة.....١
منطلقات وأسس مهمة:..... ٩
المطلب الأول: إيراد نماذج عن تفاؤل الصالحين..... ١٣
المبحث الأول:..... ١٥
معنى التفاؤل وأهميته، ومشروعيته، وفيه ثلاثة مطالب:..... ١٥
المطلب الأول: التفاؤل في اللغة العربية:..... ١٦
الفرع الثاني :معنى التفاؤل في الاصطلاح:..... ١٦
التفاؤل سنة نبوية : ١٨
التحذير من التشاؤم ٢١
أعلى درجات التفاؤل..... ٢٢
صفات المتفائل..... ٢٢
أعظم مصدر للتفاؤل..... ٢٢
التفاؤل في حياة الأنبياء ٢٣
فوائد التفاؤل وثمراته ٢٧

أهمية التفاؤل في الإسلام: ٢٨

كن متفائلاً بالخير دائماً تجده ٣٠

المطلب الثالث مشروعية التفاؤل : ٣١

والتفاؤل له أساسان: ٣٣

المبحث الثاني: أسلوب القرآن الكريم في تربية النفوس على التفاؤل وفيه مطلبان:.....٣٧

المطلب الاول: ايراد نماذج من تفاؤل الصالحين المؤمنين الموقنين، ونماذج من أحوال المتشائمين. .....خطأ! الإشارة المرجعية غير معرّفة.

المطلب الثاني: إشاعة التفاؤل في وقت الأزمات والشدائد والمعضلات. ٣٨

التفاؤل يصنع الحياة ٤١

التفاؤل سر السعادة والنجاح والرزق ٤٢

التفاؤل في زمن اليأس.....٤٣

السيدة آسية بنت مزاحم رضي الله عنها..... ٥٢

النبي صلى الله عليه وسلم يعلم الصحابة التفاؤل ٥٥

نماذِجُ وأحوال مِن التَّفاؤُلِ عِندَ النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم ٥٨

نماذِجُ من التَّفاؤُلِ عِندَ الأنبياءِ والمُرسَلينَ ٦٠

نماذِجُ مِن التَّفاؤُلِ عِندَ الصَّحابةِ.....٦٢

نماذِجُ مِن التَّفاؤُلِ عِندَ السَّلَفِ: ٦٤
نماذِجُ مِن التَّفاؤُلِ عِندَ العُلَماءِ المُتَقَدِّمينَ:..... ٦٤
التفاؤل في حال تكالب الأعداء على الأمة وقلة المعين ٦٦
أولاً: التفاؤل بقرب النصر على الأعداء ٦٦
ثانياً :عدم اليأس..... ٦٧
ثالثًا : اليقين. ٦٨
رابعاً: السيرة النبويّة ٦٨
١ ـ الهجرة النبوية: ٧١
٢ـ غزوة بدر: ٧٣
٣ ـ غزوة الأحزاب: ٧٣
٤ ـ غزوة خيبر:..... ٧٤
نشر الأمن والطمأنينة من منهج الأنبياء عليهم السلام..... ٧٧
ومن مصادر الاطمئنان؛ الإيمان بالله عز وجل: ٧٩
التفاؤل في حال الفقر وضيق العيش..... ٨٢
الإضاءة الأولى: الرزق مُقَدَّر ومضمون ٨٣
الإضاءة الثانية: الرزق مقرون بالأجل ٨٤
الإضاءة الثالثة: رزق الله واسع ٨٥

الإضاءة الرابعة: الرزق نوعان: مادي ومعنوي: ٨٦
الإضاءة الخامسة: الرزق بين العطاء والمنع، وبين البسط والقَدْر..... ٨٧
أسباب البسط في الرزق والعطاء؛ منها الأسباب الآتية:..... ٨٨
أولاً: تقوى الله عز وجل وعبادته:..... ٨٨
ثانياً: اجتناب المعاصي، والإكثار من الاستغفار: ٨٩
ثالثاً: صلة الرحم ٨٩
رابعاً: الصدقة والإنفاق في سبيل الله:.....٨٩
قواعد هامة في قضية الرزق..... ٩٠
قواعد في قضية الرزق ٩١
أولاً: إن كره الفقر وحب الغنى أمران فطريان: ٩١
ثانياً: أن الله تعالى قد تكفل بأرزاق الخلائق وضمنها لهم:..... ٩٢
ثالثاً: الرزق مضمون والسعي مطلوب: ٩٣
رابعاً: الغنى والفقر ابتلاء ٩٤
خامساً: السعادة ليست في المال فقط ٩٥
سادساً: إياك والحرام ٩٦
مفاتيح الفرج ٩٧
المفتاح الأول: قراءة سورة الفاتحة بالتدبر: ٩٨

المفتاح الثالث: إقامة الصلاة فرضاً ونفلاً. ٩٩

المفتاح الرابع: لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين ٩٩

المفتاح الخامس : لا إله إلا الله العظيم الحليم لا إله إلا الله رب العرش الكريم لا إله إلا الله رب السماوات ورب الأرض ورب العرش العظيم.٩٩

المفتاح السادس : اللّٰهُمَّ اني اعوذ بك من الهم والحزن والعجز والكسل والجبن والبخل وضلع الدين، وغلبة الرجال.....١٠٠

المفتاح السابع: تفويض الأمر لله الدعاء بهذا الدعاء العظيم.....١٠٠

المفتاح الثامن : اللّٰهُمَّ رحمتك ارجو فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين .. ١٠١

المفتاح العاشر : لاحول ولا قوة الا بالله فهي كنز من كنوز الجنة وهي كلمة استعانة وتفويض..... ١٠١

المفتاح الحادي عشر: حسبي الله ونعم الوكيل. ١٠٢

المفتاح الثاني عشر: قراءة سورة الشرح..... ١٠٢

المفتاح الثالث عشر : الدعاء المستجاب. ١٠٣

آلاء الله تعالى وفضله على عباده..... ١٠٥

لا تخاف على رزقك ١٠٦

الآجال والأرزاق مكتوبة ومحسوبة.....١٠٦

أسباب شرعية للرزق علينا الحرص عليها ومنها: ١١٧

- التقوى: ١١٧
- إقامة الصلاة: ١١٧
- التوكل على الله: ١١٧
- صلة الرحم: ١١٨
- المتابعة بين الحج والعمرة: ١١٨
- دوام شكر الله وحمده: ١٢٠
- صلة الرحم ولو كان الغير قطعها: ١٢٠
الفرع الثالث: ١٢٢
التفاؤل سر من أسرار النجاح ١٢٢
الفرع الرابع: النفس المتفائلة تؤمن بقضاء الله ولا تقنط من رحمته ... ١٣٠
الفرع الخامس :التفاؤل من كمال الإيمان والثقة في الله ١٣٤
أولاً: أن يكون التفاؤل مقرونا بالإيمان..... ١٣٤
الثاني: أن يكون التفاؤل مقرونا بالعمل الصالح: ١٣٧
الثالث: أن يكون التفاؤل مقرونا بالطلب: ١٣٨
الرابع: ألا يغيب التفاؤل سنن الله في الكون..... ١٣٩
أنواع التفاؤل: ١٤٦
التفاؤل باب من أبواب التوكل على الله ١٤٨

حاجتنا إلى التفاؤل في جوانب الحياة..... ١٥٢
التفاؤل بالخير في السفر ١٥٧
التفاؤل في مجال الدعوة إلى الله تعالى..... ١٥٨
التفاؤل للطالب بالنجاح والتوفيق..... ١٥٩
فوائد التفاؤل: ١٦١
انتظار الفرج عبادة..... ١٦٣
المتفائل يقرأ الأحداث على أحسن الوجوه..... ١٦٤
تفاؤله ﷺ بالاسم الحسن: ١٦٧
النظرة الإيجابية للأشياء: ١٦٩
ما أضيق العيش لولا فسحة الأمل!! ١٧٠
حكم التفاؤل؟: ١٧٦
عواقب التَّفاؤل وعواقب التشاؤم: ١٨٠
التفاؤل عند رؤية الشيب: ١٨٥
التفاؤل والأمل منظور الشعر: ١٩٠
ثمار التفاؤل المباركة..... ١٩٨
- حسن الظن بالله تعالى :..... ١٩٨
-التوكل على الله سبحانه : ١٩٩

- الاقتداء بالرسول ﷺ : ١٩٩
- تجديد الأمل : ١٩٩
- القدرة على مواجهة العقبات:.....١٩٩
- المرونة في العلاقات الاجتماعية: ٢٠٠
صناعة التفاؤل..... ٢٠١
من أساليب صناعة التفاؤل هي: ٢٠٢
التفاؤل يقاوم الاكتئاب..... ٢٠٤
أنصح الشخص الكئيب قبل التفاؤل: ٢٠٥
فوائد الابتسامة؟.....٢٠٨
ابتسامة الرسول ﷺ .. حقائق وأسرار.....٢٠٩
الطريق إلى القلوب!..... ٢١٠
ابتسامة ثنائية الأبعاد!..... ٢١١
التفاؤل بيوم عاشوراء.....٢١٣
التفاؤل والسعادة:.....٢١٧
التفاؤل وقود الحياة..... ٢٢٨
والتفاؤل والأمل بالله عبادة عظيمة ٢٢٩
التفاؤل والأمل في الاسلام:.....٢٣٠

التفاؤل والإيمان: ٢٣٤

التفاؤل والقرآن الكريم..... ٢٤١

ثانيا :التخلّص من السلبيّة..... ٢٤٨

ثالثاً: المشاركة في الأعمال الخيريّة : ٢٤٩

رابعاً :المواظبة على الرياضة..... ٢٤٩

خامسا: التقرّب من الله سبحانه وتعالى ٢٤٩

سادسا :احتفظ بابتسامة جذابة على وجهك ٢٤٩

اليأس والقنوط والتشاؤم: ٢٥٢

من أسـباب الحـياة السعيدة: ٢٦٧

الخاتمة: ٢٧٥